الشعبوية تهدد الانتقال السياسي في تونس

ص2

خالد آيت الطالب

تحت حصار كورونا والفساد والعدالة والتنمية

ص8

«قنبلة» تطيح بإمبراطور فوكس نيوز

ص15

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2020/03/08

13 رجب 1441

السنة 42 العدد 11640

Sunday 08/03/2020

42nd Year, Issue 11640

السودان يعيد هيكلة الجيش و«الدعم السريع» لمنع عودة الإسلاميين

أطراف سودانية تخشى من تحكم المؤسسة العسكرية في اللعبة السياسية

الخرطوم – أعلن رئيس مجلس السيادة السوداني، عبدالفتاح البرهان، السبت، عن مشروع لإعادة هيكلة قوات الجيش وقوات "الدعم السريع" يراعي متطلبات المرحلة الحالية والمستقبلية، في خطوة تهدف إلى تحييد المؤسسة العسكرية وشبه العسكرية عن التسييس وقطع الطريق على محاولات انقلابية قد يلجأ إليها الإسلاميون الذين خسروا نفوذهم بفعل الثورة الشعبية.

ولم يتطرق البرهان، في كلمته التي ألقاها أثناء حفل تخريج الدفعة الثامنة من قوات "الدعم السريع"، في الخرطوم إلى تفاصيل مشروع الهيكلة، غير أنه شدد على أن بلاده "على مشارف مرحلة جديدة بحاجة إلى وجود قوات محترفة ومتخصصة تؤدي مهامها بالطريقة التي تخدم مصالح الوطن".

وتنطوي هذه الإشارة على رغبة في تقويض أجسام عسكرية ظهرت في عهد النظام السابق، كما تضع خطوطا حمراء أمام القوات المرجح استيعابها من الحركات المسلحة.

ويرى مراقبون أن البرهان استبق الأوضاع السياسية التي سوف يفرزها توقيع اتفاق سلام شامل ونهائي بين الحركات المسلحة والسلطة الانتقالية، ما يؤدي إلى دخول طرف جديد في إدارة المرحلة الانتقالية يتمثل في الأطراف المنضوية تحت لواء الجبهة الثورية، ما يجعل المكوّن العسكري بحاجة إلى توافق مع القوى التي قد تُغير من معادلة الحكم الحالية والتي تم اقتسامها بين قوى الحرية والتغيير المهيمنة على الحكومة، والشق العسكري في مجلس السيادة الذي يتشكل نصفه من قوى مدنية.

وتتفاوض الجبهة الثورية الممثلة للحركات المسلحة مع وفد السلطة الانتقالية في جوبا على نسب تمثيل الأقاليم في السلطات الثلاث العليا، وهي المجلس التشريعي ومجلس الوزراء ومجلس السيادة، ومتوقع أن يصل تمثيل الحركات إلى 30 في المئة من إجمالي أعضاء المجالس الثلاث.

حمدان دقلو (حميدتي)

واجب القوات المسلحة تأمين الديمقراطية وإجراء انتخابات نزيهة

وتعد عملية إعادة هيكلة قوات الجيش أحد المطالب الرئيسية للحركات المسلحة التي تتطلع إلى دمج عناصرها داخل الأجهزة العسكرية والأمنية.

وتصب مسألة طرح إعادة هيكلة الجيش في صالح الجبهة الثورية التي تضم في عضويتها حركات مسلحة وقوى سياسية، وتبرهن على أن مسار السلام يسير في الطريق الذي رسمته، وانخراطها في اجتماعات لفترات طويلة مع قيادات المجلس العسكري، وعلى رأسهم نائب رئيس مجلس السيادة السوداني، محمد حمدان دقلو (حميدتي) الذي يترأس وفد الحكومة قد بدّد الكثير من مخاوف العسكريين.

وتسعى قيادات الجيش إلى محاولة التحكم في الخيوط السياسية بعد إنجاز السلام، بما يضمن عدم ترجيح كفة أحد الأطراف، لأن الجبهة الثورية تعد جزءاً من قوى الحرية والتغيير المهيمنة حالياً على الحكومة.

وطرح نائب رئيس مجلس السيادة، حمدان دقلو، على القوى السياسية مسألة التوقيع على ميثاق شرف لحماية الديمقراطية في البلاد، بما يضمن عدم حدوث اختلالات تؤثّر على سير المرحلة الانتقالية جراء مشاركة قيادات الحركات المسلحة في السلطة، كنوع من طمأنة القوى المدنية حيال نوايا المؤسسة العسكرية.

وقال أستاذ العلوم السياسية بجامعة بحري في الخرطوم، محمد إسماعيل شقيلة، إن السلوك السياسي لقيادات الجيش داخل المجلس السيادي يبرهن على أنهم أكثر رغبة في إحداث التغيير بالمقارنة مع القوى السياسية التي غرقت في مشكلاتها الداخلية.

وتخشى بعض الأطراف السودانية من محاولة تحكم الجيش في مفاتيح إدارة البلاد بطريقة تمكنه من وضع قواعد اللعبة السياسية وإدارتها من وراء ستار.

وأضاف شقيلة، لـ"العرب"، أن الحركات المسلحة ستكون جزءاً من الحكومة الانتقالية على مستوى مؤسساتها الدستورية والخدمة المدنية والعسكرية، وتواجدها في هذه المؤسسات يعد ضمانة لتمرير المرحلة الانتقالية في ظل ضغوط مكثفة تواجهها السلطة الانتقالية من قوى الحرية والتغيير التي ترى أن حضور الأقاليم يفقدها كثيراً من زخمها.

وأكد حميدتي، السبت، أن "أوجب واجبات القوات المسلحة والدعم السريع حماية العملية الديمقراطية وصولا إلى انتخابات حرة ونزيهة ينتخب الشعب فيها قياداته بإرادة حرة".

ويرى متابعون أن زيادة الهوة بين قوى الحرية والتغيير والمكوّن العسكري على وقع جملة من الأحداث التي مرت بها الفترة الانتقالية، على رأسها الأوضاع الاقتصادية المتدهورة وإساءة بعض الشيوعيين الذين يلعبون دورا مهما في عملية صناعة القرار داخل الحكومة لبعض الدول العربية الداعمة للثورة قد يجعل من مسألة دخول طرف ثالث متوازن أمرا مطلوبا في الفترة المقبلة.

وذهب هؤلاء للتأكيد على أن الخلافات التاريخية بين قادة الحركات المسلحة والقيادات المحسوبة على الحزب الشيوعي، تفسح المجال أمام تحالفات جديدة بين بعض أحزاب قوى الحرية والتغيير.

وقالت مصادر داخل قوى الحرية والتغيير لـ"العرب"، إن هيمنة تيار داخل الحزب الشيوعي، بجانب البعثيين والجمهوريين، على قرارات الحكومة تسبب في انحراف مهامها، وتسكين نحو 70 في المئة من أعضائها في مناصب حكومية جرى تفريغها وفقاً لقانون إزالة التمكين، وهو أمر أثار غضب قوى ثورية والمجلس العسكري.

هل يمكن تحييد «الدعم السريع»

قطار الإصلاحات في السعودية انطلق ولن تعود عقارب الساعة

الرياض – بات خيار الإصلاحات الذي يقوده وليّ العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان واقعا ملموسا، وحدثت تغيرات عميقة في المجتمع لا يمكن التراجع عنها تحت أيّ مسوّغات أو ضغوط من مراكز النفوذ والمصالح ودوائر التشدد التي تحاول عرقلة تلك الإصلاحات بتغذية الخلافات داخل فروع العائلة في المملكة.

وقالت أوساط سعودية إن المملكة لم تعد تقبل العودة إلى فترة أفرع العائلة التي تتوزّع مؤسسات الحكم، وأن المركزية الآن بيد الملك سلمان بن عبدالعزيز ووليّ عهده الأمير محمد، وذلك في تعليق على تقارير بشأن توقيفات لشخصيات من الأسرة الحاكمة.

ورغم عدم تأكيد السعودية ما تم تداوله في وسائل إعلام غربية عن توقيفات شملت الأمير أحمد بن عبدالعزيز والأمير محمد بن نايف، ولي العهد السابق، إلا أن مصادر سعودية أكدت لوكالة رويترز التوقيفات وأشارت إلى أنها ذات طبيعة مختلفة عن تلك التي صاحبت توقيفات أمراء ورجال سياسة ومال ممن واجهوا تحقيقات تتعلق بقضايا مالية بالدرجة الأولى.

وصرحت أربعة مصادر لرويترز بأنه تم احتجاز الأمير أحمد بن عبدالعزيز والأمير محمد بن نايف.

وقال مصدران، أحدهما من المنطقة، إن احتجاز الأمير محمد بن نايف وأخيه غير الشقيق نواف تم أثناء وجودهما في مخيم خاص بالصحراء الجمعة.

وذكر المصدر الإقليمي أن وليّ العهد "اتهمهم بإجراء اتصالات مع قوى أجنبية، منها الأميركيون وغيرهم، لتنفيذ انقلاب"، وأن الملك سلمان وافق على عملية الاحتجاز.

ويعتقد متابعون للشأن السعودي أنّ ما يجري من ترتيبات أمر متوقع وكان سيجري الآن، أو في وقت آخر، لأن المملكة التي تبحث عن أدوار إقليمية ودولية لم يعد بمقدورها أن يظل قرارها مرتهنا لجهات متعددة تنظر إلى الأشياء بأمزجة ووفق علاقات وحسابات متناقضة، ما يجعل من الصعوبة بمكان الخروج بموقف موحّد في ظل تطورات إقليمية تحتاج إلى الجرأة والحسم.

وبعد أن تجاوزت الارتباك الناجم عن تعدد مراكز القرار، باتت السعودية تتحرك بأكثر قوة وفاعلية في القضايا الإقليمية مثلما بدا بشكل جليّ في الأزمة مع قطر، فضلا عمّا قطعته من خطوات لتطويق التمدد الإيراني.

وأشار هؤلاء إلى أن إصلاحات وليّ العهد، رغم العوائق والاعتراضات التي تقابلها، باتت تلقى تفاعلا كبيرا في الداخل والخارج، خاصة مع التحديات الكبرى التي حددها من خلال رؤية 2030، وهذا ما يدفع بعض مراكز النفوذ التقليدية، في مسعى للدفاع عن مصالحها، إلى محاولة تغذية الصراع على الحكم داخل العائلة الحاكمة.

ويحظى الأمير محمد بن سلمان بتأييد قوي من شخصيات داخل الأسرة الحاكمة التي تضم قرابة عشرة آلاف فرد. كما يتمتع بدعم شعبي خصوصا في قطاع الشباب بعد نجاحه في قطع خطوات كبيرة نحو الانفتاح ومقاومة المتشددين.

ومنذ تسلمه ولاية العهد تمكّن الأمير محمد بن سلمان من تقليص نفوذ الشرطة الدينية في المملكة، وإعادة الحفلات الموسيقية إلى العاصمة الرياض ومدن أخرى، وفتح دور السينما من جديد، متعهدا باعتماد إسلام معتدل قريب من حياة الناس.

ويعرف السعوديون أن حملات التشويه ضد خيارات وليّ العهد تقف وراءها دوائر متشددة، خاصة من الجماعات التي حظرتها السعودية بالقانون وصنفتها كيانات إرهابية مثل جماعة الإخوان المسلمين، وتنظيمي القاعدة وداعش، وذلك لأن قرارات الأمير محمد بن سلمان سحبت من تحت أقدامها أهم الأوراق التي كانت تسطير بها على القرار السعودي، مثل المنابر الدينية والتعليمية والإعلامية، فضلا عن شبكات التمويل والتبرعات.

وتركز وسائل إعلام غربية على قضيتين هما مقتل الصحافي جمال خاشقجي وحرب اليمن في محاولتها النيل من سمعة وليّ العهد السعودي، لكنّ مراقبين يرون أن هذين الملفين ليسا سوى ورقة ضغط على السعودية بسبب عزمها على التحول إلى قوة إقليمية ودولية وبناء علاقات خارجية على قاعدة تبادل المصالح، فضلا عن قطعها مع الرضوخ للابتزاز الذي دأبت عليه بعض المنظمات ووسائل الإعلام.

الاتحاد الأوروبي يلوّح بخفض مساعدات اللاجئين قبل زيارة أردوغان

الرئيس التركي يضغط في بروكسل لزيادة الدعم

بروكسل - أعلن مفوض الاتحاد الأوروبي لشؤون الموازنة يوهانس هان السبت أن المساعدة المالية المقدمة لتركيا للاعتناء باللاجئين على أرضها قد تكون أقل من السابق وأنها سوف تتوقف على مدى التزام أنقرة باتفاق الهجرة، في ورقة ضغط تسبق زيارة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان إلى مقر الاتحاد المقررة غدا الاثنين بحثا عن زيادة الدعم مقابل الحراسة.

وقال هان لصحيفة "دي فيلت" الألمانية "لقد جرى تشييد الكثير من المدارس ودور رياض الأطفال والمستشفيات للاجئين وأنه لا يتعين تمويل ذلك مجددا".

وأضاف أن الاتحاد الأوروبي سوف "يكون مستعدا من حيث المبدأ لتقديم مزيد من المساعدة لدعم اللاجئين في تركيا" في حال أنهت تركيا "سياساتها الابتزازية" بالتهديد بإرسال المزيد من المهاجرين إلى الاتحاد الأوروبي.

وأفادت الرئاسة التركية أن أردوغان سيتوجّه إلى بلجيكا حيث مقر الاتحاد الأوروبي لزيارة تستمر ليوم واحد الاثنين، دون إعطاء تفاصيل إضافية.

وقال مراقبون إن الاتحاد الأوروبي يتبع أسلوب الضغط نفسه الذي لجأ إليه أردوغان لتحصيل المكاسب من خلال استثمار معاناة الآلاف من اللاجئين، مشيرين إلى أن تركيا لا تريد إفراغ المناطق تحت سيطرتها في سوريا من المدنيين كونهم الورقة الأهم في يدها.

وذكرت صحيفة "فيلت" أن الهدف من الزيارة هو التوصل إلى حل لأزمة المهاجرين الحالية على الحدود التركية – اليونانية، وإعادة توجيه العلاقات بين الاتحاد الأوروبي وتركيا على نحو مبدئي، بدل أسلوب الابتزاز والضغط لتحسين المكاسب الذي لجأت إليه أنقرة.

وبحسب البيانات، فإن زيارة أردوغان المرتقبة لبروكسل تأتي بناء على دعوة من رئيس مجلس الاتحاد الأوروبي تشارلز ميشيل، الذي زار أنقرة الأربعاء والتقى الرئيس التركي.

وأجرت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل اتصالا هاتفيا بأردوغان الجمعة. وبحسب بيانات متحدثة باسم المركز الصحافي الاتحادي في برلين، تناولت المحادثات الوضع على الحدود التركية – اليونانية، وكذلك نتائج لقاء أردوغان ونظيره الروسي فلاديمير بوتين في موسكو قبل ثلاثة أيام.

من ناحية أخرى، كشفت اليونان عن أنها سوف تقيد المساعدة لهؤلاء الذين يقدّمون طلبات للحصول على اللجوء بدءا من 15 مارس لتقليل الضغط الذي تشهده نتيجة لاستضافتهم.

واحتشد الآلاف من المهاجرين عند الحدود البرية مع اليونان بعدما قال أردوغان الأسبوع الماضي إن تركيا لن تمنع المهاجرين من التوجّه لأراضي الاتحاد الأوروبي، ما تسبب باندلاع أعمال عنف وتصاعد حدة التوتر بين أنقرة وبروكسل.

وخلال مواجهة استمرت لساعات السبت، استخدمت الشرطة اليونانية الغاز المسيل للدموع وخراطيم المياه ضد المهاجرين الذين حاولوا كسر الحواجز في محافظة أدرنة الحدودية.

وفي وقت لاحق السبت، تبادل المسؤولون اليونانيون والأتراك حربا كلامية.

وقال وزير الداخلية التركي سليمان صويلو إن رئيس الوزراء اليوناني كرياكوس ميتسوتاكيس "لن يكون بإمكانه السيطرة على الحدود" مع تحسّن أحوال الطقس، مضيفا أن منسوب نهر ميريش (إيفروس في الجانب اليوناني) انخفض إلى 40 وحتى 45 سنتمترا في بعض المناطق.

من جانبه، قال المتحدث باسم الحكومة اليونانية ستيليوس بيتساس لقناة "أوبن تي في" إنه تم تهديد الناس "للصعود على متن حافلات باتّجاه اليونان" بينما "تعرّض آخرون للضرب للعودة إلى كاستانييس" الحدودية.

وطالب رئيس الوزراء البلغاري بويكو بوريسوف بتطبيق اتفاق اللاجئين بين الاتحاد الأوروبي وتركيا "بكامل قوّته".

وفي ظل الهدوء على الحدود التركية البلغارية، قال بوريسوف السبت "إن بلاده اتخذت الإجراءات اللازمة لحماية الحدود قبل بضعة أعوام حتى "انعدم" تأثير الضغط من قبل المهاجرين.

التأميم عدوّ لبنان

خيرالله خيرالله

ص4

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

«فايروس الشعبوية» يهدد الانتقال السياسي في تونس

ائتلاف الكرامة يستنجد بالخطاب التكفيري لمواجهة خصومه

تتوجس الأوساط السياسية التونسية من انزلاق البلاد مجددا إلى مربع العنف، بعد أن غزا خطاب التكفير والتخوين البرلمان التونسي المنقسم على نفسه. وتدفع أحزاب الإسلام السياسي باتجاه تأزيم المشهد والعودة به إلى مرحلة الاستقطاب (إسلاميون، علمانيون) التي عرفتها تونس سنة 2011 ودفعت البلاد ثمنا باهظا (اغتيالات سياسية، عمليات إرهابية) لتجاوزها.

الدفع لعودة الاستقطاب

صغير الحيدري

تونس - مثلت هذا الأسبوع حادثة تبرير نائب تونسي عن ائتلاف الكرامة الإسلامي للتكفير كـ"حكم شرعي" داخل البرلمان التونسي الحدث الأبرز الذي شد التونسيين وأعاد إلى أذهانهم ذكريات أليمة عاشوها بسبب تصريحات مشابهة، وأخذ البعض الحديث الصادر عن "ممثل الشعب" على محمل الجد بعد أن شن إرهابيون هجوما على دورية أمنية بالقرب من السفارة الأميركية في تونس، الجمعة، ما أسفر عن مقتل أمني.

ويزداد التوجس من عودة خطابات التحريض والتكفير في تونس بسبب الأجواء السياسية المشحونة، والتي كانت متوقعة منذ صدور نتائج الانتخابات التشريعية الأخيرة التي أفرزت برلمانا مشتتا.

والثلاثاء الماضي توجه النائب محمد العفاس -وهو نائب عن محافظة صفاقس (جنوب تونس)- بالحديث لزعيمة الحزب الدستوري الحر عبير موسي قائلا إنه "لا يجب أن يخجل التونسيون من التكفير فهو حكم شرعي وورد في القرآن أيضا".

محمد العفاس

لا يجب أن نخجل من التكفير فهو حكم شرعي

ويوصف ائتلاف الكرامة بأنه واجهة من واجهات حركة النهضة الإسلامية التي ندد زعيمها ورئيس البرلمان راشد الغنوشي بحادثة التكفير والحادثة الإرهابية التي جدت بمحيط السفارة الأميركية.

وبالتوازي مع خطاب النائب عن ائتلاف الكرامة الذي بث فوضى عارمة في أروقة البرلمان التونسي وزاد من منسوب الاحتقان داخل مجلس النواب المنقسم بطبعه، أصدر مركز كارنيغي للأبحاث دراسة تطرق فيها إلى إمكانية صعود الشعبوية في تونس وأبرز فيها الأخطار التي تُحدق بالديمقراطية الناشئة في حال حصل ذلك.

ولئن ألف التونسيون مظاهر التشتت التي طغت على مجلس النواب في عهدته الحالية فإن خطاب العفاس يمثل تهديدا جديا للسلم المُجتمعي في البلاد حيث ينظم دستور 2014 طريقة عيش التونسيين دون تمييز على أساس "اللون" أو "الدين" أو "الجنس".

ولا يمكن لعودة التكفير وتوعد الآخر غير المسلم إلا أن "تُشرعن" لعودة تحشيد أنصار الشريعة وهي جماعة "احتكرت" في فترة الترويكا (فترة حكم امتدت من 2011 إلى 2014) الدفاع عن الدين.

ويغذي تمكن هذه الجماعة -وغيرها من الجماعات التي قامت بتعبئة كبيرة للتنظيمات المتطرفة المتواجدة في مرتفعات الجبال التونسية وفي سوريا والعراق وليبيا- من العودة إلى الساحة غياب الاستقرار السياسي في تونس.

وغير بعيد عن تكهنات مركز كارنيغي الذي حذر من عدة عوامل قد تغذي صعود الشعبوية في تونس دقت مجموعة الأزمات الدولية بدورها ناقوس الخطر بشأن الوضع السياسي الذي ينبغي "تقدير الموقف" بشأنه.

ولم تتوان دراسة أصدرتها المجموعة الدولية الأسبوع الماضي عن التطرق إلى إمكانية أن تنتج الانتخابات التي نظمتها تونس مؤخرا نسخة أخرى مطابقة لروابط حماية الثورة، وذلك من خلال ائتلاف الكرامة الذي أصبح له باع وذراع في المشهد السياسي بعد أن حصد 21 مقعدا في الانتخابات الأخيرة.

وخلصت الدراسة، التي صدرت الأسبوع الماضي، إلى أن تونس مقبلة على أزمات حادة وعميقة خاصة أن المشهد السياسي "المشتت" يدفع نحو هذا الاتجاه.

وما ذهبت إليه المجموعة الدولية يعد صائبا خاصة عندما تطرقت إلى شخصية رئيس الجمهورية قيس سعيد التي وصفتها بالغامضة.

ففي الماضي القريب مثل الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي شخصية التوازن والتوافق في تونس إذ نجح في ضم الإسلاميين بكل شقوقهم ("المتطرف" و"المعتدل") إلى الحكم معه ومع حزبه نداء تونس، وبذلك عاشت البلاد استقرارا نسبيا سياسيا وأمنيا وإن لم يحقق نتائج إيجابية اقتصاديا فإنه نجح في الحد من منسوب الاحتقان.

واليوم ظلت شخصية وحيدة تبحث عن التحكم في المشهد السياسي وإمساك خيوطه وهي شخصية زعيم حركة النهضة الإسلامية الذي يقف "عاجزا" عن "لجم" قيادي ائتلاف الكرامة الذين يتبنون خطابا متطرفا، وبات ذلك واضحا خلال إدانته تكفيرهم لبعض زملائهم داخل البرلمان.

وتغيرت المعطيات بعد وفاة قائد السبسي مع صعود الحزب الدستوري الحر الذي يتبنى بدوره خطابا معاديا لكل من تعمد التحالف مع "الإسلاميين"، وهو خطاب يغري في الواقع الغاضبين من توافق أحزاب العائلة الوسطية مع حركة النهضة في السنوات الماضية.

وبات مجلس النواب التونسي مشلولا بسبب خلافات عبير موسي -وهي رئيسة كتلته في البرلمان- مع نواب آخرين، إضافة إلى أنها تمثل "الأمل الوحيد" لدى التونسيين الذين يهزهم الحنين للعودة إلى النظام السابق وعودة رموز الدولة الوطنية إلى الحكم.

وبالإضافة إلى ذلك حقق ائتلاف الكرامة اختراقا في الانتخابات الأخيرة حوّله إلى قوة فاعلة في المشهد بفضل خطاب سياسي طغت عليه "النزعة المتطرفة" من خلال توعد السفير الفرنسي أوليفي بوافر دارفور (باعتبار أن تونس مستعمرة فرنسية سابقة) أو إقصاء كل رموز الدولة الوطنية.

ونجح هذا الائتلاف بالفعل في استمالة الناخبين من خلال تعهدهم باسترجاع "الثروات المنهوبة" وغير ذلك من الوعود التي يرى فيها بعض التونسيين خلاصا من مشهد طغت عليه الحسابات السياسية على مطالب التنمية وتحسين الأوضاع المعيشية.

ولكن بعد وصولهم إلى البرلمان تغير الخطاب وعاد نواب ائتلاف الكرامة يجترون عبارات التكفير والتحريض التي من شأنها أن تنزلق بتونس مجددا نحو مربع الفوضى.

وما يمكن أن يُعاب على الدولة التونسية التي تعيش مخاضا عسيرا لإرساء ديمقراطية مستقرة هو عدم سن قوانين تمنع هذه الظاهرة (التكفير) التي تؤشر على عودة غير مستبعدة للعنف السياسي الذي دفع التونسيون ثمنه غاليا في 2013 بعد اغتيال الزعيم اليساري شكري بالعيد ومن بعد رفيقه الناصري محمد البراهمي.

فاليوم تُكافح دول أوروبية عديدة، على غرار ألمانيا وفرنسا وإسبانيا، التطرف اليميني بقوانين تحظر خطابات تنم عن الكراهية أو التحريض والعنف.

وبالإضافة إلى ضرورة تجفيف منابع التطرف ينبغي على تونس ألا تعلق خيباتها على الوضعين الإقليمي والعالمي المتوترَين نسبيا حيث تشهد جارتها ليبيا نزاعا مستمرا، بل عليها أن تعمل على تحيين بياناتها بشأن الإرهابيين العائدين من بؤر التوتر والاستعداد لكيفية التعامل معهم لأنهم يمثلون "الوجه العنيف للشعبوية".

ولا يجب أن تقتصر مكافحة الشعبوية الصاعدة في تونس على العاملَين اللذين تم ذكرهما بل ينبغي إيلاء المناطق المهمشة، التي قد تمثل في سباقات انتخابية قادمة خزانا انتخابيا هاما للشعبويين، أهمية "قصوى".

تركيا تواصل إرسال المرتزقة إلى ليبيا

دمشق - وثق المرصد السوري لحقوق الإنسان المزيد من القتلى في صفوف الفصائل الموالية لتركيا بمعارك ليبيا، ليرتفع عدد القتلى جراء العمليات العسكرية في طرابلس إلى 117 مقاتلا، فيما يواصل النظام التركي تجنيد المزيد من المرتزقة في خرق لقرارات مؤتمر برلين.

وينتمي مُعظم هؤلاء إلى أقلية التركمان الموالية للرئيس التركي رجب طيّب أردوغان في سوريا، والذي قدّم لهم عبر استخباراته وعودا بمنح الجنسية التركية والأموال القطرية مقابل القتال إلى جانب حكومة الوفاق المحاصرة في العاصمة الليبية طرابلس. ووفقاً لمعلومات المرصد فإن هؤلاء المُرتزقة قتلوا خلال الاشتباكات على محاور حي صلاح الدين جنوب طرابلس، ومحور الرملة قرب مطار طرابلس بالإضافة إلى محور مشروع الهضبة ومناطق أخرى في ليبيا.

وقال مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان رامي عبدالرحمن إنّه تمّ رصد ارتفاع أعداد المجندين الذين وصلوا إلى العاصمة الليبية حتى الآن إلى نحو 4750 مرتزقا، في حين أن عدد المجندين الذين وصلوا إلى المعسكرات التركية لتلقي التدريب بلغ نحو 1900 مجند.

ورغم ارتفاع أعداد المتطوعين وتخطيها للرقم المطلوب من قبل تركيا، 6000 مرتزق، إلا أن عمليات التجنيد متواصلة سواء في عفرين أو في مناطق درع الفرات ومنطقة شمال شرق سوريا.

والمتطوعون هم من فصائل "لواء المعتصم وفرقة السلطان مراد ولواء صقور الشمال والحمزات وفيلق الشام وسليمان شاه ولواء السمرقند".

وتُقدّم تركيا مغريات كبيرة للمرتزقة تتمثل في راتب شهري يقدر بـ2000 دولار بينما كان يعمل المقاتلون ضمن الأراضي السورية في تلك الفصائل بـ300 دولار فقط في أفضل الحالات.

واعترف أردوغان للمرة الأولى نهاية فبراير الماضي بوجود مقاتلين سوريين موالين لأنقرة في ليبيا إلى جانب عناصر التدريب الأتراك.

وقال أردوغان "تركيا متواجدة هناك عبر قوّة تجري (عمليات) تدريب. هناك كذلك أشخاص من الجيش الوطني السوري"، في إشارة إلى مقاتلي المعارضة الذين كان يطلق عليهم سابقا اسم الجيش السوري الحر.

ومثّل إرسال المرتزقة إلى ليبيا خرقا لتعهدات مؤتمر برلين وتأكيدا على استمرار التدخلات الأجنبية في ليبيا رغم إدانة القوى الإقليمية والدولية لهذه الممارسات وخطورتها على أمن واستقرار البلد.

وقضت محكمة تركية الجمعة بحجب موقع "أودا تي.في" الإخباري، وعزت الحكم إلى انتهاك قانون ينظم استخدام شبكة الإنترنت، وفقا لمذكرة رسمية نشرها الموقع.

وألقي القبض على رئيس قسم الأخبار في الموقع، باريش ترك أوغلو، والمراسلة هوليا كيلينتش، في إسطنبول، بسبب تقرير عن جنازة ضابط مخابرات تركي رددت أنباء أنه قتل في ليبيا، حسب ما ذكره الموقع.

وأفاد الموقع بأن نائبا برلمانيا معارضا هو من كشف النقاب عن هوية الضابط في وقت سابق.

وتمت إحالة رئيس تحرير الموقع باريش بهلوان إلى إحدى محاكم إسطنبول بناء على طلب الادعاء، بحسب ما أوردته وكالة أنباء "الأناضول" التركية. وكان قد تم استدعاؤه للإدلاء بشهادته في وقت سابق.

رامي عبدالرحمن

أعداد المجندين الذين وصلوا إلى ليبيا حتى الآن بلغت 4750 مرتزقا

وتدعم تركيا حكومة الوفاق المحاصرة في طرابلس وتوفر لها التدريب العسكري والمعدات في مواجهة الجيش الوطني الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر.

وبات القلق يساور الرئيس التركي من الرهان على فرض سياسة أمر واقع في ليبيا تقلب المعادلة لصالح حلفائه في حكومة الوفاق المحاصرة في العاصمة طرابلس والمتحكمة في ثروات الشعب الليبي.

وأمام فشل هذا السيناريو، انتقلت أنقرة إلى الرهان على تعميق الفوضى علّها تخلق واقعا مغايرا وتطيل حكم أذرعها الإسلامية وسيطرتها على حركة الأموال، وهو ما عبر عنه الناطق باسم الرئاسة التركية إبراهيم قالن بقوله "من الواضح أن الأزمة في ليبيا ستتفاقم وتتسبب في المزيد من الخسائر".

رفض شعبي للمرتزقة السوريين

البوليساريو في أكبر عزلة دبلوماسية منذ 4 عقود

العيون (المغرب) - قال رئيس الحكومة المغربية سعدالدين العثماني السبت، في لقاء بمدينة العيون (كبرى مدن إقليم الصحراء)، إن المرحلة الحالية تشكل أكبر عزلة دبلوماسية للبوليساريو منذ 40 سنة، فيما تناقص الدعم الدولي للجبهة الانفصالية.

وأوضح العثماني أن "عددا من الدول سحبت اعترافها بالبوليساريو منذ مدة، ومؤخرا ارتفع هذا العدد بشكل ملحوظ"، مضيفا "عدد الدول التي تعترف بالبوليساريو انخفض إلى أقل من 28 دولة من أصل 84 في السابق".

وأكد رئيس الحكومة المغربي أن التعامل مع قضية الصحراء يتطلب مقاربة شمولية تدمج الأبعاد التنموية والإنسانية والاجتماعية. وانتقد بعض الجهات (لم يحددها) التي تهاجم بلاده، وتستهدف استقرارها وأمنها.

ويشهد إقليم الصحراء منذ عام 1975 نزاعا بين المغرب وجبهة البوليساريو، وذلك بعد إنهاء الاحتلال الإسباني وجوده في المنطقة، ليتحول النزاع إلى مواجهة مسلحة بين الجانبين، توقفت عام 1991، بتوقيع اتفاق لوقف إطلاق النار، برعاية الأمم المتحدة.

وتقترح الرباط حكما ذاتيا موسعا تحت سيادتها، بينما يدعو الانفصاليون إلى استفتاء لتقرير المصير، وهو طرح تدعمه الجزائر، التي تؤوي عشرات الآلاف من اللاجئين من الإقليم.

ونجحت الرباط في تشكيل استراتيجية ناجحة في التعامل مع قضية الصحراء المغربية ما انعكس على المستويات الدبلوماسية والاستثمارية والقانونية.

ويتجلى النجاح من خلال افتتاح عدد من البلدان الأفريقية قنصليات لها في الإقليم، مرورا برصد الرباط استثمارات لتنميته، وصولا إلى مدّ ترسيم الحدود البحرية المغربية لتشمل الصحراء.

وعملت الدبلوماسية المغربية على مد يدها لدول تخالفها الرأي بشأن الملف، ونجحت في إقناع عدد منها بأهمية بدء علاقات جديدة.

والأسبوع الماضي افتتحت كل من جمهورية بوروندي وجمهورية جيبوتي قنصليتين في الصحراء المغربية، ما يرفع عدد التمثيليات القنصلية في الإقليم إلى 9 تمثيليات في أقل من ثلاثة أشهر.

وقبل ذلك، افتتحت 5 دول أفريقية قنصليات في إقليم الصحراء، ليرتفع بذلك عدد القنصليات الأجنبية في الإقليم إلى 7.

> الرباط تمكنت من تشكيل استراتيجية ناجحة في التعامل مع قضية الصحراء المغربية، ما انعكس على المستويات الدبلوماسية

وهددت الجبهة الانفصالية في أكثر من مرة بإشعال المنطقة ولوحت بالحل العسكري في تصعيد يخالف كل القرارات الأممية التي تحث على الحلول السلمية.

وقال عبدالقادر الطالب عمر، ممثل الجبهة بالجزائر، إنه لم يعد أمامهم سوى التصعيد واستعمال كل الوسائل من أجل تقرير المصير، بما في ذلك العمل المسلح، في حال فشلت كل الحلول السياسية.

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

غريفيث يدعو من مأرب للتهدئة واستئناف العملية السياسية

رفض حوثي لمساعي السلام في اليمن

تعنت حوثي

يواصل المبعوث الأممي إلى اليمن مارتن غريفيث جهوده لإحياء عملية السلام في اليمن رغم إدراكه لكل ما يقع على الأرض ووعيه التام بتواصل التصعيد من قبل المتمرّدين الحوثيين. ورهن الحوثيون مواقفهم وسيادة الشعب اليمني خدمةً لأهداف إيران في وقت يسعى فيه التحالف العربي إلى تخفيف التوتر وإنهاء المأساة التي يتعرض لها الشعب اليمني.

مأرب (اليمن) - دعا المبعوث الأممي إلى اليمن مارتن غريفيث، السبت، إلى التهدئة بين القوات الحكومية وجماعة الحوثي واستئناف العملية السياسية في البلاد، في وقت تصاعدت فيه حدة المعارك على جبهات القتال المختلفة.

وتحدث غريفيث للصحافيين في مكتب محافظ مأرب سلطان العرادة قائلاً "يمر اليمن بمنعطف خطير، فإما تصمت البنادق ويتم استئناف العملية السياسية، وإما ينزلق البلد مرة أخرى نحو نزاع ومعاناة واسعي النطاق كما نشهد اليوم في مأرب".

ولم يسلم الدور الأممي في اليمن، طيلة فصول الأزمة الحادّة التي يعيشها البلد منذ تفجّر الحرب هناك على أيدي جماعة الحوثي الموالية لإيران قبل خمس سنوات، من انتقادات بفعل ما بدا لكثيرين أنّه تراخٍ في تنفيذ مقرّرات صارمة صادرة عن الهيئة الأممية ذاتها تدين الحوثيين وتحمّلهم مسؤولية ما يجري.

وبعد ساعات من حثّ المبعوث الأممي إلى اليمن على التهدئة في البلاد والعودة إلى استئناف العملية السياسية، قالت جماعة أنصار الله إن الحل في اليمن يرتكز على وقف عمليات التحالف العربي في البلاد.

وقال محمد عبدالسلام، المتحدث الرسمي باسم جماعة الحوثي في تغريدة عبر حسابه بموقع تويتر، "الحل في اليمن يرتكز أولا على وقف العدوان ورفع الحصار، ثم إجراء مفاوضات سياسية جادة".

وفي وقت سابق السبت، وصل غريفيث إلى مأرب قادما من العاصمة السعودية الرياض التي عقد فيها الجمعة لقاء مع رئيس الحكومة اليمنية معين عبدالملك تناولت تطورات الوضع في البلاد وأهمية وقف التصعيد العسكري.

مارتن غريفيث

إما تصمت البنادق وإما ينزلق البلد مرة أخرى نحو النزاع

ويأتي تحرك المبعوث الأممي بعد قرابة أسبوع من سيطرة جماعة الحوثي على مدينة الحزم عاصمة محافظة الجوف (الاستراتيجية)، ما أدى إلى نزوح آلاف الأسر إلى محافظة مأرب المجاورة.

ويأتي ذلك وسط عزم الجيش اليمني على إعادة السيطرة على مدينة الحزم وطرد الحوثيين من كامل المحافظة، فيما تواترت دعوات أممية إلى ضرورة التخلي عن النهج العسكري والعودة إلى طاولة المفاوضات.

وجاءت سيطرة الحوثيين على الحزم بعد أسابيع من سيطرتهم على مساحات واسعة من مديرية نهم الجبلية التي توصف بأنها البوابة الشرقية للعاصمة صنعاء. وبالسيطرة على معظم المحافظة ومديرياتها، تصبح الجوف ثالث محافظة يمنية ملاصقة للسعودية تسيطر عليها ميليشيا الحوثي بعد محافظتي صعدة وحجة.

وتلا سقوط محافظة الجوف تبادل للاتهامات بين العديد من مكونات "الشرعية" حول أسباب الفشل ومن يتحمل مسؤولية انهيار الجبهات وعودة خارطة النفوذ العسكرية إلى ما قبل خمس سنوات ماضية.

واعتبرت مصادر سياسية يمنية حديث مستشار الرئيس اليمني أحمد عبيد بن دغر حول النتائج المترتبة على سيطرة الحوثيين على محافظة الجوف بمثابة رسائل سياسية موجهة للتحالف العربي، وتعبير عن حالة الإحباط في مكونات الشرعية اليمنية، إضافة إلى كونه محاولة مبكرة لإبراء الذمة من التطورات المترتبة على فشل الشرعية ومؤسساتها في إدارة الملفين السياسي والعسكري وتحميل التحالف مسؤولية الإخفاق في استعادة الدولة اليمنية من قبضة الميليشيات الحوثية.

وفتح السقوط المفاجئ لمحافظة الجوف في أيدي الميليشيات الحوثية الحديث مجددا حول أسباب التراجع الكبير في أداء الشرعية اليمنية على الصعيدين السياسي العسكري، وانعكاسات التحولات في خارطة موازين القوى في المشهد اليمني.

وبينما جدد سياسيون تابعون لجماعة الإخوان اتهام التحالف العربي بالتسبب في انهيار الجبهات، ووقف الدعم، حمّلت مكونات سياسية يمنية أخرى قيادة الشرعية وجماعة الإخوان المسيطرة على مفاصلها المسؤولية عن تفكيك الجبهات والانشغال باستكمال سياسة الاستحواذ وإقصاء المكونات الأخرى واختطاف القرار السياسي للشرعية وتكريس ذلك لخدمة الأجندة القطرية.

وربطت مصادر سياسية بين تجدد الاتهامات للتحالف العربي من قبل قيادات يمنية مرتبطة بدائرة مصالح الإخوان وبين الأخبار المسرّبة عن اعتزام قيادة التحالف العربي تغيير سياستها تجاه حالة الترهل والفشل في الحكومة الشرعية والبحث عن مسارات جديدة لمواجهة المشروع الإيراني في اليمن.

واعتبرت مصادر عربية أن سيطرة الحوثيين (أنصار الله) على محافظة الجوف ذات الحدود الطويلة مع المملكة العربية السعودية تشير إلى نيّة هؤلاء التوسّع في اتجاه مناطق يمنية أخرى، خصوصا في اتجاه محافظات جنوبية أُخرجوا منها في عام 2015.

وأوضحت أن ذلك يشير إلى رغبة في زيادة خياراتهم ذات الطابع الجغرافي بما يشمل اليمن كلّه ويؤكّد الطموحات الإيرانية القديمة في إيجاد موطئ قدم للجمهورية الإسلامية في هذا البلد ذي الموقع الاستراتيجي والذي هو جزء لا يتجزّأ من شبه الجزيرة العربيّة.

ولاحظت في هذا المجال أن أهمّية الجوف لا تعود إلى الحدود القائمة بينها وبين السعودية فحسب، بل إلى كونها على تماس أيضا مع محافظات أخرى هي صعدة وعمران وحضرموت.

وأشارت هذه المصادر إلى أن أيّ تمدّد حوثي داخل حضرموت سيعني العودة إلى الحلم القديم لـ"أنصار الله" والقاضي بالسيطرة على اليمن كلّه.

لبنان يسعى لإعادة هيكلة ديونه بعد تعثر تسديدها

بيروت - أعلن لبنان السبت تعليق سداد سندات يوروبوند، في تخلّف عن دفع ديون للمرة الأولى في تاريخه، مع تأكيده السعي إلى التفاوض حول إعادة هيكلة الدين في ظل أزمة مالية تطال الاحتياطات بالعملات الأجنبية.

وقال رئيس الحكومة اللبنانية حسان دياب في رسالة وجهها إلى اللبنانيين، إنّ الاحتياطات "بلغت مستوى حرجا وخطيرا، يدفع الحكومة اللبنانية إلى تعليق استحقاق الـ9 من مارس من سندات اليوروبوند".

وأضاف دياب "ستسعى الدولة اللبنانية إلى إعادة هيكلة ديونها بما يتناسب مع المصلحة الوطنية عبر خوض مفاوضات منصفة وحسنة النية مع الدائنين كافة".

ويمثل تخلف لبنان عن سداد ديونه بالعملات الأجنبية مرحلة جديدة من مراحل أزمة مالية تعصف باقتصاده منذ أكتوبر الماضي، حيث فقدت الليرة نحو 40 في المئة من قيمتها، ما دفع البنوك إلى فرض قواعد قيدت تعاملات المودعين وأججت الاضطرابات.

وتعتبر الأزمة أكبر خطر على استقرار لبنان منذ نهاية الحرب الأهلية التي استمرت من عام 1975 إلى عام 1990.

ولدى لبنان سندات دولية بقيمة 1.2 مليار دولار يحين أجل استحقاقها في التاسع من مارس الجاري وتشكل جزءا من ديون لبنان بالعملات الأجنبية البالغة نحو 31 مليار دولار.

وجاء الإعلان الصادر عن الرئاسة عقب اجتماع ضم الرئيس ميشال عون ورئيس الوزراء حسان دياب ورئيس البرلمان نبيه بري وحاكم المصرف المركزي رياض سلامة ورئيس جمعية المصارف سليم صفير.

وجاء في البيان الذي تلاه مدير عام الرئاسة أنطوان شقير "استنادا إلى الخيارات والتصورات المتاحة، قرر المجتمعون بالإجماع الوقوف إلى جانب الحكومة في أي خيار ستعتمده في مجال إدارة الديون باستثناء دفع الديون المستحقة".

وعين لبنان بنك الاستثمار الأميركي "لازارد" ومكتب المحاماة "كليري جوتليب ستين آند هاملتون" الأسبوع الماضي لتقديم المشورة في ما يتعلق بإعادة الهيكلة على نطاق واسع.

وبلغت الأزمة المالية أوجها العام الماضي مع تباطؤ تدفقات رؤوس الأموال واندلاع مظاهرات احتجاجا على الفساد في أجهزة الدولة وسوء الإدارة، وهي الأسباب الجذرية للأزمة.

وشهد الاقتصاد اللبناني المعتمد على الاستيراد تقلصا في الوظائف وارتفاعا في التضخم مع تراجع الليرة، ما زاد من تأجيج الأزمة التي أشعلت الاحتجاجات.

وتشير تقديرات صندوق النقد الدولي إلى وصول دين لبنان العام إلى نحو 155 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي بحلول نهاية 2019، بقيمة تبلغ حوالي 89.5 مليار دولار، مع حوالي 37 في المئة من الدين بالعملة الأجنبية.

وقال نك إزينغر مدير الأسواق الناشئة ذات الدخل الثابت في فانغارد التي تحوز بعض السندات اللبنانية "يبدو التخلف عن السداد متوقعا ومرجحا جدا".

وأضاف "ليس من الواضح مدى السرعة التي يمكن أن يسيروا بها في طريق إعادة الهيكلة أو تأمين صفقة، لأنهم يحتاجون إلى إصلاحات أولا أو حتى إصلاحات مواكبة".

التطبيع مع جبهة النصرة

بهاء العوام
صحافي سوري

تتخذ الولايات المتحدة قرارات متناقضة في الأزمة السورية منذ تفجرها قبل تسع سنوات. لا أجد ذلك عفويا أبدا، ولا أجد مبررا له سوى الرغبة في إطالة أمد الأزمة إلى أطول أجل ممكن. فلطالما امتلكت واشنطن مفاتيح حل الأزمة ولم تستخدمها. وفي كل مساهمة لها يزداد المشهد السياسي والميداني تعقيدا، وتختلط الأوراق ليوأد أي حل يمكن أن يتبلور، وعن طريق أي طرف.

لا تريد الولايات المتحدة حلاً للأزمة عبر الروس ولا تريد إخراجهم من سوريا أيضا. لا تقبل بنصر المعارضة على بشار الأسد ولكنها سلحت جيوشاً من الفصائل. ترفض التطبيع مع النظام ولكنها لا تريد إزاحته عن السلطة. لا تسمح لإيران بالبقاء في سوريا وهي من أطلقت يدها هناك من أجل الاتفاق النووي عام 2015. لا تطلق يد تركيا على الأسد ولكن تسمح لها بالتوغل شمالاً. تشيّد قواعد عسكرية وتستولي على النفط، وتقول إنها لن تبقى في سوريا.

آخر إبداعات واشنطن هو الدعوة إلى التطبيع مع جبهة النصرة. يريدون من الروس أن يكفوا عن معاملتها كجماعة إرهابية ويمدون لها يد الصداقة والتحالف. لا يهم ماذا فعلت الجبهة بسوريا والسوريين خلال سنوات الأزمة. فمهما بلغ سوء أفعالها لن يكون من وجهة نظر واشنطن طبعاً، أبشع مما فعلته حركة طالبان في الحادي عشر من سبتمبر عام 2001. وها هي اليوم تبرم اتفاق سلام مع الولايات المتحدة وتستعد لاستعادة السيطرة على حكم أفغانستان.

تقارب الولايات المتحدة في طرحها بين التطبيع مع النصرة والتطبيع مع نظام الأسد الذي يسوق له الروس منذ سنتين على الأقل. لسان حال الأميركيين يسأل عن الفارق بين القبول بإرهاب الأسد والقبول بإرهاب النصرة؟ وبالتالي إذا كان التطبيع مع نظام دمشق مقبولاً، فيجب أن يكون التطبيع مع النصرة مقبولاً أيضاً. وهذا ما قد يكون مرضياً بالنسبة إلى الكثير ممن يعيشون مع الجبهة في إدلب وريفها طوال سنوات. ليس بالضرورة لأنهم يؤيدون النصرة وإنما فقط رغبة منهم في إنهاء أزمة إدلب، وتفادي اشتعال الحرب مجددا في بلداتهم وقراهم.

القبول بالمقترح الأميركي ينسف مبدأ الحرب على الإرهاب الذي تأسس على ضوئه التحالف الدولي الذي يستوطن سوريا والعراق منذ أربع سنوات. لكثر من عام بقيت موسكو تنتظر من أنقرة فصل المعارضة المعتدلة عن جبهة النصرة في إدلب، وفقا لاتفاق سوتشي الموقع بين الطرفين في سبتمبر 2018. وبدل أن تفعل تركيا ذلك، أطلقت يد النصرة في المدينة وريفها حتى تمددت على كامل مناطق المحافظة مستندة بذلك على تفوقها العسكري وحاضنتها الشعبية. أدرك الروس أن تركيا لم ترد يوماً فصل النصرة أو الاستغناء عنها، فقرروا تطبيق اتفاق سوتشي بقوة السلاح. الخيار الروسي هدد الوجود التركي شمال غرب سوريا ووضع مكتسبات تركيا في الأزمة على المحك. فانتفضت أنقرة وتعالى صراخ رجب طيب أردوغان حتى باتت المنطقة بأكملها على شفير حرب عالمية.

القبول بالمقترح الأميركي ينسف مبدأ الحرب على الإرهاب الذي تأسس على ضوئه التحالف الدولي الذي يستوطن سوريا والعراق منذ أربع سنوات

تلخيص من هذا النوع لما جرى في إدلب خلال الأشهر الستة الماضية، يقول بوضوح إن الروس لن يقبلوا بهذا المخرج الأميركي للمأزق في شمال غرب سوريا. وحتى عندما قبل فلاديمير بوتين بعقد قمة مع الرئيس التركي، وجلس معه لساعات طويلة كان الحل الوحيد بالنسبة إليه هو مذكرة ملحقة باتفاقية سوتشي تمنح تركيا المزيد من الوقت لتنفيذ بنودها المعلقة. وافق بوتين على هدنة ترفع يد الفصائل المسلحة عن طريق أم 4 الدولي لتعود الحياة إليه، وقال للأتراك بشكل واضح إن الفصائل المصنفة إرهابية من الأمم المتحدة في إدلب لن تصبح يوماً صديقة لروسيا ولن تمد موسكو يدها لمصافحتها والتسوية معها.

ربما يتغير الموقف الروسي من النصرة بعد سنوات، فتبرم موسكو معها اتفاق سلام كما فعلت واشنطن مع طالبان. لا يوجد ما هو مبدئي أو أخلاقي بالنسبة لغلى الروس كما هو الحال بالنسبة إلى جميع محتلي سوريا من أتراك وإيرانيين وإسرائيليين وأميركيين. أما اليوم فلا مبرر لقبول موسكو بالتسوية مع النصرة. وعلى العكس من ذلك تشكل الحرب على النصرة أقوى مواطن حضور الروس عسكرياً في سوريا، وأكبر أوراق الضغط التي تستخدمها موسكو في أي مفاوضات ميدانية أو سياسية تجريها مع خصومها الدوليين لحل الأزمة السورية.

والأوروبيين وغيرهم. كما أنه يبقي القتل والاعتقال اللذين يمارسهما النظام في إطار جرائم ضد الإنسانية، وليس ممارسات تضعه على قائمة المنظمات الإرهابية عالمياً.

وبغض النظر عن شرعية النظام وإجرامه الذي يلاحق بسببه في المحاكم الدولية، يأتي المقترح الأميركي في خضم المعارك التي عاشتها وتعيشها إدلب. يقول قائل إنه جاء بغرض التهدئة، وينطوي على كثير من الحكمة وقليل من الخبث السياسي. ولكن من يعرف الروس ويتتبع مسار الأزمة السورية منذ بدايتها يدرك أن المقترح الأميركي كان بمثابة صب النار على الزيت لا أكثر.

مصير تقرره القوى الدولية

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

التأميم عدوّ لبنان

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

أن يحبط المدعي العام التمييزي في لبنان محاولة لفرض قيود على المصارف الكبرى وفرض نوع من الحجز على ممتلكاتها وممتلكات رؤساء مجلس الإدارة فيها، خطوة تدلّ على أن لبنان ما زال يقاوم. إنّه يقاوم حاليا، وإن بشقّ النفس، محاولة القضاء على آخر حصن من الحصون التي صمدت في وجه الانتهاء من البلد وذلك منذ توقيع اتفاق القاهرة المشؤوم في العام 1969.

صنع لبنان اقتصاده الذي صمد طويلا بفضل المبادرة الفردية والابتعاد عن فكرة التأميم. هناك حاليا محاولة جدّية لجعل البلد يسقط. لو لم يكن الأمر كذلك، لما كان المدعي العام المالي اتخذ قرارا في شأن موجودات المصارف الكبيرة، مستثنيا مصارف معيّنة لأسباب ما زالت مجهولة

يقاوم لبنان بكلّ بساطة التأميم الذي يظلّ عدوّه الأوّل والذي أوصل بلدانا عربية عدّة إلى خراب. على رأس هذه البلدان سوريا التي أفقدتها التأميمات في عهد الوحدة مع مصر (1958 – 1961) ثمّ في عهد البعث، الذي انبثق عنه النظام الأقلّوي القائم، كلّ قدرة على المقاومة... فانتهت إلى ما انتهت إليه بسبب القضاء على المبادرة الفردية لدى الإنسان السوري. انتهت إلى بلد مفتّت. باتت سوريا بلدا مفتّتا إلى درجة صار فيها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان يتاجر بلاجئيه في محاولة لابتزاز أوروبا!

تبيّن، في ضوء تدخّل النيابة العامة التمييزية في لبنان لمنع أي إجراءات في حق موجودات المصارف، أنّه لا يزال هناك قضاة لبنانيون يتمتعون بحدّ أدنى من الاستقلالية. هذا أمر مهمّ بحدّ ذاته في بلد انهار اقتصاده عمليا وليس معروفا هل لا يزال في الإمكان إنقاذه. من الطبيعي طرح مثل هذا التساؤل في وقت هناك من يحاول تحميل المصارف اللبنانية مسؤولية الانهيار، علما أن هناك مآخذ كثيرة على بعض المصارف.

يتجاهل الذين يشنون الحملة على المصارف أن ما يفعلونه يصبّ في تدمير الاقتصاد نهائيا، أي تدمير البلد. فالمعادلة في غاية البساطة. يشكّل النظام المصرفي العمود الفقري للاقتصاد اللبناني. توقف المصارف يعني توقف الاقتصاد. هل من بلد في العالم يستطيع البقاء على رجليه من دون دورة اقتصادية؟

تكمن مأساة لبنان في غياب الفهم في السياسة والاقتصاد في آن. ما وصل إليه لبنان نتيجة طبيعية لغياب الرؤية لدى القيادة السياسية التي لم تعد تعي معنى تحوّل البلد إلى قاعدة إيرانية لا أكثر. لا تمتلك هذه القيادة السياسية القدرة على استيعاب ما على المحكّ في لبنان وما هي القرارات الشجاعة الواجب اتخاذها من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

من أجل مساعدة هذه القيادة السياسية في جعلها تعي ما هو على المحكّ، أي أن مستقبل لبنان كلّه بات في مهبّ الريح، لا بدّ من العودة إلى الأسباب التي مكنت البلد الصغير من البقاء استثناء في المنطقة حتّى العام 1975. هناك أسباب عدّة وراء ازدهار لبنان. من بينها المصارف ونظامه الحرّ المعادي للتأميم. أكثر من ذلك، لا بدّ من امتلاك الشجاعة الكافية للاعتراف بأنّ رفيق الحريري قام بمحاولة جدّية لإعادة لبنان إلى خارطة الشرق الأوسط انطلاقا من وسط بيروت الذي يشهد محاولة للقضاء عليه نهائيا.

المطلوب قتل رفيق الحريري مرّة أخرى ومعاقبة لبنان لأنّه حاول أن يعود بلدا لكلّ أبنائه. في كلّ يوم يمرّ، نفهم أكثر لماذا اغتيل رفيق الحريري ولماذا كلّ هذا الحقد لدى الذين قتلوه عليه وعلى لبنان. القتلة معروفون للأسف الشديد وهم مستمرّون في قتل لبنان!

ما ينفّذ حاليا، بكلّ الوسائل المتاحة يمثل خطوة أخرى على طريق الانتهاء من لبنان. بعد خنق بيروت، لم تعد هناك سوى عقبة أخيرة هي النظام المصرفي اللبناني الذي استهدفه "حزب الله" منذ سنوات عدّة، لا لشيء سوى لأنّ لا همّ لهذا الحزب سوى حماية المصالح الإيرانية بغض النظر عمّا يحلّ بلبنان واللبنانيين، بما في ذلك الشيعة منهم.

المؤسف، بل المخيف، غياب القيادة السياسية التي تقول بكلّ صراحة إن الخيارات المتاحة أمام لبنان واضحة ومحدودة. لا يمكن إنقاذ لبنان، هذا إذا كان هناك ما لا يزال في الإمكان إنقاذه، إلّا عن طريق المساعدات العربيّة أو عبر تدخّل المؤسسات المالية الدولية، في مقدّمها صندوق النقد الدولي. ليس سرّا أن هذه المؤسسات الدولية لا تتصرّف من دون ضوء أخضر أميركي.

بكلام أوضح، لم يفعل لبنان شيئا من أجل الحصول على مساعدات عربيّة. لا يمكن أن يكون لبنان صوت إيران في مجلس جامعة الدول العربية، لا عبر جبران باسيل ولا غيره، ولا يمكن للبنان أن يجد اهتماما أميركيا ما دام "حزب الله" يتحكّم بمصيره، خصوصا بعد تشكيل حكومة حسّان دياب التي تثبت في كلّ يوم أنّها ليست سوى "حكومة حزب الله" في عهد "حزب الله".

صنع لبنان اقتصاده الذي صمد طويلا بفضل المبادرة الفردية والابتعاد عن فكرة التأميم. هناك حاليا محاولة جدّية لجعل البلد يسقط. لو لم يكن الأمر كذلك، لما كان المدعي العام المالي اتخذ قرارا في شأن موجودات المصارف الكبيرة، مستثنيا مصارف معيّنة لأسباب ما زالت مجهولة.

من حسن الحظ، وجد من يبطل هذا القرار عبر جهة قضائية تدرك أبعاده وتدرك خصوصا النتائج التي يمكن أن تترتب عليه. على الرغم من ذلك، إن تصرّف المدّعي العام المالي يثير قلقا يشير إلى أنّ هناك من لا يهمّه ما الذي يحل بالبلد ما دام هذا البلد مستعمرة إيرانية ولا شيء آخر...

من المضحك المبكي أن تقول "كتلة الوفاء للمقاومة" وهي كتلة نوّاب "حزب الله" بعد اجتماعها الأخير "حذار استدراج وصايات أجنبية على البلد، أيّا تكن الذريعة". كلام الحزب موجّه إلى صندوق النقد الدولي. ما لم يقله الحزب ما هي الخيارات الأخرى أمام لبنان. لم يقل ما الدور الذي تلعبه إيران في لبنان وهل لديها ما تصدّره إلى لبنان غير الغرائز المذهبية والسلاح الميليشياوي وكورونا... وأدوية مشكوك بفعاليتها؟

بعض الشجاعة ضروري بين حين وآخر. أقلّه بالنسبة إلى شجاعة الاعتراف بأن فكرة التأميم ما زالت الطريق القصير للقضاء على لبنان أو ما بقي منه وتغيير طبيعة مجتمعه وصورته في العالم، وهي صورة صارت مشوّهة إلى حدّ كبير. الهدف من التأميم، بدءا بالمصارف، تصفية حساب مع لبنان ومع اللبنانيين الذين جاهدوا فعلا وعملوا بكدّ من أجل إنقاذ ما بقي من البلد، خصوصا من أجل تفادي وجود رئيس للجمهورية تفرضه عليهم إيران وحكومة يشكّلها "حزب الله" وأبواب مشرّعة أمام كورونا معروفة المصدر...

سياسات تعمد إلى إحراق البلاد

أزمة سد النهضة الإثيوبي: تصاعد الصراع حول النيل

د. خطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للجيوبوليتيك-باريس

لم تشارك إثيوبيا في اجتماع واشنطن، أواخر فبراير الماضي، حول سد النهضة كي لا توقع على الاتفاق لاعتراضها على قواعد ملء السد رغم موافقتها المبدئية. ومقابل قيام مصر بالتوقيع بالأحرف الأولى على الاتفاق الذي أسفرت عنه جولات المفاوضات حول سد النهضة تحت الرعاية الأميركية باعتباره اتفاقا شاملا وعادلا ومتوازنا، صعّدت أديس أبابا من موقفها إذ أعلن وزير الخارجية الإثيوبي غيتداحشو أندراغو، في الثالث من مارس الحالي، عن قرار بلاده "البدء في ملء سد النهضة اعتبارا من يوليو المقبل"، مضيفا أن "الأرض أرضنا والمياه مياهنا والمال الذي يبنى به سد النهضة مالنا ولا قوة يمكنها منعنا من بنائه".

في نفس السياق اعتبرت رئيسة إثيوبيا، ساهلورك زودي، في رسالة وجهتها إلى الشعب الإثيوبي أن "سد النهضة الإثيوبي الكبير، هو نموذج لوحدتنا، أكثر من مجرد مشروع تنموي، وسلاح إثيوبيا الكبير للتغلب على الفقر وإحياء الأمل في التنمية المستقبلية".

زيادة على البعد التنموي وحاجة إثيوبيا الماسة إلى الكهرباء واعتماد مصر على مياه النيل بنسبة تقارب التسعين في المئة، لا يمكن إخفاء البعد الاستراتيجي في الصراع حول مياه النيل ومحاولة محاصرة مصر وإضعاف موقعها الجيوسياسي في التوازنات الإقليمية.

هكذا يرتسم في أعالي النيل تحد استراتيجي كبير للقاهرة لاسيما على مستوى القرن الأفريقي ومنظومة البحر الأحمر، ويمكن له أن يمس أمنها الغذائي واقتصادها، لكنه يمثل أيضا اختبارا لأديس أبابا ودورها الإقليمي كعاصمة للاتحاد الأفريقي، ويتصل عن قرب بتوازنات داخلية هشة.

هذا العامل الداخلي كان السبب العلني وراء رغبة رئيس الوزراء آبي أحمد في تأجيل التوقيع على الاتفاق إلى ما بعد الانتخابات التشريعية في أغسطس 2020، لتجنب المزايدة عليه من قبل بعض الطبقة السياسية والمجموعات العرقية المعترضة في الأساس على إصلاحاته ونهجه.

ومما لا شك فيه أن مسعى توحيد البلاد ضد الخطر الخارجي وأهمية مشروع السد في التنمية الغائبة لن يحجبا النزاعات العرقية والانقسامات المهددة للبنية الإثيوبية. لكن مراقبين حياديين يخشون من لعبة توزيع أدوار داخل إثيوبيا في التسويف وفرض الأمر الواقع لجهة بدء ملء السد وتشغيله قبل العودة إلى طاولة التفاوض.

في المقابل، تستغرب أوساط أخرى تصرف رئيس الحكومة الذي نال جائزة نوبل للسلام تبعا لدوره في إنهاء الحرب مع أريتريا، والذي يغامر بتفجير نزاع أخطر مع مصر.

وفي هذا السياق يصح التساؤل عن احتمالات وجود تحريض خارجي أو أياد خارجية في تحريك هذا الملف، لكن دور البنك الدولي الواقع عمليا تحت النفوذ الأميركي، كما الوساطة التي قبل الرئيس الأميركي دونالد ترامب رعايتها وإيكالها للمقرب منه وزير الخزانة (وليس لوزارة الخارجية لأسباب غامضة) يدلل على حرص أميركي على مراعاة مصالح دولتين صديقتين وضمان الاستقرار.

أما بشأن دور إسرائيلي مفترض نظرا لدور تاريخي في الدول المحيطة بالعالم العربي (إثيوبيا، كينيا، إيران وتركيا) أو لدور مستجد من تشاد إلى القرن الأفريقي، لا يمكن الجزم بأي تورط مباشر. غير أن خبراء مصريين لا يستبعدون هذا الاهتمام الإسرائيلي عن قرب بهذا الملف رغبة في إبقاء مصر مقيدة استراتيجيا لكي لا تفكر في لعب دور ريادي عربي.

بغض النظر عن العوامل الداخلية والمواقف الإقليمية والدولية حيال هذا الموضوع الحساس والمتصل بالصراع على الموارد والطاقة المائية والهيدرولوجية، يحضر القانون الدولي بقوة في حل هكذا نزاعات لأن الأنهار الدولية كما النيل لا تتمتع فيها دول المنبع أو الممر بسيادة مطلقة من دون مراعاة حقوق الدول المحاذية ودول أو دولة المصب.

منذ أبريل 2011، وبعد التأكّد من تصميم أديس أبابا على بناء سد النهضة الكبير، بدأ ماراثون التفاوض الشاق للوصول إلى اتفاق بين الدول المعنية أي إثيوبيا والسودان ومصر. وحسب مفاوض مصري كان "السودان عمليا الحليف الاستراتيجي لإثيوبيا والمناكف لمصر"، لكن مصدرا سودانيا يعزو ذلك إلى أولوية المصلحة الوطنية للسودان كدولة ممر في تلبية احتياجاتها الكبيرة.

إلا أن مجمل الصعوبات لم يمنع من التوصل في شهر مارس سنة 2015 إلى التوقيع بين الأطراف الثلاثة على اتفاق المبادئ العشرة حول سد النهضة. وبالفعل لا يعد هذا الاتفاق معاهدة دولية ملزمة ويأتي تتويجا لجهود ومسارات متراكمة منذ اتفاقية 1902 واتفاقية 1929 واتفاقية 1959 (اتفاقية حوض النيل) واتفاقية عنتيبي 2010.

لذا كان يتوجب استكمال إعلان المبادئ ببروتوكول حول التشغيل وتفاصيله. بيد أن الأهم في إعلان 2015 ما ورد في البند الخامس بخصوص التعاون في الملء الأول وإدارة السد إن لناحية الاتفاق على الخطوط الإرشادية وقواعد الملء الأول لسد النهضة والتي ستشمل كافة السيناريوهات المختلفة، بالتوازي مع عملية بناء السد، أو لجهة الاتفاق على الخطوط الإرشادية وقواعد التشغيل السنوي لسد النهضة، والتي يجوز لمالك السد ضبطها من وقت إلى آخر.

وهذا يعني أن أديس أبابا التزمت مبدئيا بعدم المباشرة بملء السد من دون اتفاق حتى لا يحصل إجحاف بحقوق مصر. في هذا السياق يقول أستاذ القانون الدولي، الدكتور أيمن سلامة، إن التصريحات الإثيوبية الأخيرة التي تزعم بأن سلطاتها مطلقة في إدارة وتشغيل وملء سد النهضة باعتباره في أرض إثيوبية وتم تشييده بأموال وطنية خالصة وأن لأديس أبابا سيادة مطلقة على نهر النيل الأزرق الذي يجري في إقليمها "لا تعدو إلا دفوعا غير مؤسسة، ومزاعم باطلة". وهذا دقيق لأن ملكية إثيوبيا لسد النهضة لا تعفيها من أعباء قانونية دولية أهمها عدم الإضرار بالغير، وخاصة دولة مصب النهر، وهي مصر.

ملكية إثيوبيا لسد النهضة لا تعفيها من أعباء قانونية دولية أهمها عدم الإضرار بالغير، وخاصة دولة مصب النهر، وهي مصر

تتعامل القاهرة مع هذا الملف الدقيق بحذر ومرونة، وحسب مصدر دبلوماسي مصري، يتفرغ رئيس الدبلوماسية المصرية عمليا لمتابعته. علما أنه سبق لمصر كسب معركة طابا بعد تحكيم دولي وهي لا تستبعد اللجوء إلى محكمة العدل الدولية في حال فشلت الوساطة الأميركية. إذ أن النيل الأزرق ليس نهرا داخليا إثيوبيا لتبسط عليه أديس أبابا السيادة المطلقة، وفقا لاتفاقية الأمم المتحدة في عام 1982 لقانون البحار، ولأن النهر الدولي في إقليم دولة ما لا ينطبق عليه «مبدأ هارمون» الذي كان يجيز للدولة ويرخص لها الانتفاع المطلق بالنهر الدولي في الجزء الذي يجري في إقليمها دون اعتبار لحقوق الآخرين.

لا قوة يمكنها الوقوف في وجه سد النهضة

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

فايروس كورونا يحفظ ماء وجه الجزائر والجامعة العربية

تأجيل القمة يوحي بالاستفادة من حلحلة الأزمتين السورية والليبية

يؤكد تأجيل الدورة الـ32 للقمة العربية إلى يونيو القادم بسبب تأثيرات فايروس كورونا أن الجامعة والجزائر نجحتا في إرجاء المناسبة العربية حتى يتم تفكيك تعقيدات الأزمتين السورية والليبية بما يجعل هذه القمة استثنائية خاصة مع استمرار حملة النظام لاسترجاع محافظة إدلب والجيش الليبي لاسترجاع طرابلس من قبضة الميليشيات.

توافق جزائري عربي

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

تمثل مؤسسة القمة العربية حالة رمزية مهمة للكثير من القيادات والشعوب تجعلهم يحافظون على ديمومتها ويرفضون المساس بها، حتى لو كانت أكوام القرارات التي صدرت عنها لم يُنفذ منها سوى النزر اليسير، وغالبيتها أصبح في الأدراج ومن التاريخ.

بدأت هذه الميزة تتعرض في السنوات الأخيرة لتجاذبات مختلفة ما وضعها على محكات متباينة، لأن الاجتماعات التي يغيب عنها عدد كبير من الزعماء تحولت إلى منتدى لتراشقات ومزايدات ومواءمات وصفقات وأجندات متعارضة.

وذهب أحمد أبوالغيط الأمين العام للجامعة العربية إلى الجزائر الأسبوع الماضي، لتحديد موعد الانعقاد قبل نهاية مارس الجاري، باعتبارها البلد المضيف للدورة الـ32، بناء على الدعوة الرسمية التي تلقاها في بداية شهر فبراير الماضي للتشاور حول الترتيبات، ثم فوجئنا به يعلن تأجيل القمة لنهاية يونيو المقبل، والسبب المعلن انتشار فايروس كورونا، ذلك الوباء اللعين الذي أوقف الكثير من التفاعلات العالمية، وأصاب الحركة بين كثير من الدول بما يشبه الشلل.

> الجزائر تتطلع للاستفادة من ملامح تعافيها لتتفاعل مع المحيط الإقليمي وفي القلب منه الدائرة العربية المليئة بالنزاعات

وجدت الجزائر والجامعة العربية سببا منطقيا في كورونا لحفظ ماء وجه كليهما، وتجنب الحرج المتوقع عند انعقاد القمة في سماء ملبدة بالغيوم، ولا أحد يستطيع توقع ما ستسفر عنه من أمطار سياسية الأيام المقبلة، في ظل بيئة حافلة بالصراعات، وهي ليست جديدة، فكلها مستمرة منذ سنوات، وكانت القمة العربية تعقد بمن حضر في الزمان والمكان ولمدة لم تزد عن يوم وربما بضع ساعات، حيث كانت القيمة المعنوية للانعقاد هدفا في حد ذاتها، بصرف النظر عن الأهمية التي تنطوي عليها القرارات الصادرة.

هناك ثلاثة متغيرات رئيسية أضفت خصوصية على قمة الجزائر، وحوّلتها من قمة عربية عادية إلى استثنائية، وجعلت كثيرين يعولون عليها في أن تكون نقطة فاصلة بين ما قبلها وما بعدها في التعامل مع بعض الملفات العربية الساخنة، لذلك توقعت دوائر عدة أن تشهد تراشقات بين دول الـ"مع" ودول الـ"ضد" في القضايا المطروحة، وتزداد حدتها أمام مؤسسة القمة العربية التي أضحت عاجزة عن التقدم الإيجابي، فلجأت إلى تسكين الأزمات وليس حلها.

طموح محفوف بالأزمات

أول المتغيرات، الجزائر البلد المضيف، حيث بدأت تتجاوز الكثير من مشاكلها الداخلية، وتتطلع إلى الاستفادة من ملامح التعافي للقيام بدور يدشن لمرحلة سياسية يريد لها الرئيس عبدالمجيد تبون أن تكون بداية لتفاعل مع المحيط الإقليمي، وفي القلب منه الدائرة العربية المليئة بالنزاعات والخلافات، وكي يُحدث علامة فارقة في مسيرة القمة المتصدعة عليه أن يقترب من بعض الملفات الشائكة التي ترى الجزائر ضرورة في مواجهتها وعدم الاستسلام لسياسة تجاهلها وترحيلها.

إذا أرادت الجزائر وضع يديها على الجروح فهي كثيرة ومتشعبة، وتصطدم حساباتها بتقديرات بعض الدول العربية، فتتحول القمة من لمّ الشمل أو تمريرها في هدوء إلى قمة يمكن أن تُجهز على ما تبقى من العمل المشترك المتمثل في رمزية الاجتماعات، وبدلا من أن تكون قمة الجزائر مدخلا للتقويم والإصلاح والتطوير تفتح الأبواب للتلاسن الذي حاولت القمم السابقة الحدّ منه عبر القفز على قضايا تمثل حساسية مطلقة للبعض.

ثاني المتغيرات، احتدام النقاش حول عودة سوريا لمقعدها المجمد في الجامعة العربية، حيث قطع النظام شوطا مهما في بسط سيطرته على أجزاء كبيرة من الأراضي السورية، ونجح في تطوير علاقاته مع عدد من الدول العربية، غير أن البعض لا يزال يمانع عودة دمشق لممارسة دورها ضمن المؤسسات العربية الرسمية، مقابل زيادة المطالبين باحتلال مقعدها، وتعد الجزائر في مقدمة الدول التي تتبنى هذا الموقف.

أعرب أبوالغيط عن هذه الإشكالية بقوله "هناك دول عربية تؤيد عودة سوريا إلى الجامعة، لكن حتى الآن ليس لديّ شخصياً كأمين عام ما يؤشر إلى وجود نيات محددة وواضحة في صياغات مكتوبة ترغب في هذه العودة"، لافتاً إلى أن هناك أوضاعاً تتطلب بذل كثير من الجهد للمّ الشمل العربي قصد التوصل إما إلى وقف لإطلاق النار أو إلى تسويات سياسية. وهذه رسالة للجزائر تحديدا، لأن عودة سوريا بحاجة إلى تحركات تفوق القدرات العربية.

أتذكر أن مسؤولا رفيعا بالجامعة العربية أكّد لي في تصريحات نشرتها "العرب" قبل نحو عام، أن عودة سوريا مرهونة بإرادة قوى كبرى، في مقدمتها الولايات المتحدة.

وتؤكد هذه المعطيات أن قمة الجزائر لن تحرّك ساكنا في ملف سوريا، وإذا صمّمت على موقفها ستفشل في مسعاها، ويُحسب عليها ذلك سياسيا لجهة أنها لن تفلح في تحريك المياه الراكدة في سوريا أو غيرها، وتشبه دورتها الدورات الباردة التي عقدت في السنوات الأخيرة.

منطق كورونا السياسي

تكمن أهمية تأجيل القمة من منطق كورونا وليس من منطق الشعور بالفشل، لتمهل الجزائر وقتا تعتقد أن التطورات المقبلة سوف تكون فيه لصالح سوريا، ففي ظل التحركات الجارية على الأرض تتقدم قوات النظام السوري، وتحرق الكثير من المراحل العسكرية، ما يساعد دمشق أيضا على حرق بعض المراحل السياسية، وتطبيع العلاقات مع دول إقليمية ودولية مختلفة، والتسليم بالأمر الواقع، والاقتناع بجملة المواقف الروسية الداعمة لدمشق حاليا التي تميل الكفة لصالحها.

وترفع هذه المعطيات العتب عن دول الممانعة لعودتها عندما يحين موعد الانعقاد قبل نهاية يونيو المقبل، وتصبح مسألة سوريا تحصيل حاصل أمام القمة العربية، لأن واشنطن أيضا منتظر أن تواصل تغيير رؤيتها لما يجري في سوريا.

ثالث المتغيرات، الأزمة الليبية، والتي لا تقل خطورة عن نظيرتها السورية، وربما تفوق أهمية في نظر الجزائر الطامحة للقيام بدور مؤثر فيها، وظهور نوايا تدل على تبدل نسبي في موقفها الداعم لحكومة الوفاق الوطني والرافض للدور الذي يقوم به المشير خليفة حفتر على رأس الجيش الوطني الليبي، وأصبحت الآن تميل لقدر من التوازن بينهما، وربما الاقتناع أكثر بالدور المحوري والإيجابي الذي تلعبه المؤسسة العسكرية تحت قيادة حفتر.

وتبدو معالم هذه الأزمة الآن مفتوحة على كل الاحتمالات، وأهمها تزايد فرص سيطرة الجيش الوطني الليبي على طرابلس، بالتالي فدعوة رئيس حكومة الوفاق فايز السراج كالعادة لحضور قمة الجزائر قد يحسب عليها لأنها تريد الاحتفاظ بمسافة معه، ومرجح أن تتزايد مع كل انتصار يحققه الجيش ويقرّبه من إحكام السيطرة على العاصمة.

وكلّها من المؤشرات التي تدعم حدوث تطورات في المدى المنظور تستفيد منها الجزائر لتصبح رقما قبل حلول موعد قمة الجزائر في يونيو المقبل.

نجاح «اتفاق موسكو» بشأن سوريا رهين الدعم الدولي

رانيا مصطفى

جاءت نتائج قمة موسكو الخميس منطقية وطبيعية، مقارنة بالظروف الموضوعية، من تصعيد متبادل، ورفع سقوف المطالب، دون تخلي الطرفين التركي والروسي عن تحالفهما، وافتعال الأتراك أزمة اللاجئين على الحدود التركية مع أوروبا، مع تحرك دبلوماسي أميركي وأوروبي، ضغط باتجاه التوصل إلى الاتفاق الأخير، دون تورّط حلف شمال الأطلسي (الناتو) في دعم الطرف التركي.

تلخصت نتائج القمة بثلاثة بنود، وهي وقف إطلاق النار في خطوط التماس في منطقة خفض التصعيد بإدلب، وإنشاء ممر أمني بعمق 12 كيلومترا، على جانبي الطريق الدولي حلب – اللاذقية "إم – 4"، وتسيير دوريات مشتركة روسية – تركية بين ترنبة غرب سراقب وعين حور في ريف جسر الشغور على الطريق السريع.

ومنذ قصف قوات النظام، بدعم وتخطيط روسي، للجنود الأتراك، ومقتل العشرات منهم، في الـ27 من فبراير الماضي، صعّد الأتراك من تصريحاتهم ضدّ النظام، وهدّدوا بعمل عسكري بعد انتهاء مهلة الأيام المتبقية من فبراير.

واتسم التصعيد التركي بسمة استعراضية؛ سواء ما تعلق بمطالبة النظام بالعودة إلى ما وراء خطوط سوتشي تحت التهديد بعمل عسكري، أو ما تعلق بالعمل العسكري التركي نفسه داخل الأراضي السورية، واستعراض هجوم طائرات الدرون، وإسقاط ثلاث طائرات للنظام، واستهداف تجمعات جنوده، مع استعادة بعض المناطق من قبل المعارضة المدعومة من أنقرة، وتناوب السيطرة عليها.

وساهمت المعارضة المدعومة من أنقرة، بدورها في تضخيم أثر التصعيد التركي، وربطه بأهداف الثورة السورية التي تهدف إلى إسقاط النظام السوري؛ فيما تبيّن بنود الاتفاق، والذي لم يحضره أيّ من الطرفين السوريين، ولم توقّع منه نسخة باللغة العربية، أن السوريين هم الخاسر الأكبر في هذا الاتفاق، الذي مثل مصالح الدولتين الموقّعتين عليه، دون حديث حتى عن ضمان عودة النازحين إلى منازلهم، أو إقامة منطقة آمنة تخصهم، عدا عن ذكر لضرورة "عدم استهداف المدنيين والبنى التحتية تحت أيّ ذريعة"، دون ورود آليات لتحقيق ذلك، خاصة أن الاتّفاق يتضمّن حديثاً عن استئناف محاربة الإرهابيين، ما يعني أن تنفيذه محفوف بالمخاطر.

وفيما تفاعل معارضون باستعادة الفصائل المدعومة من تركيا السيطرة على سراقب، على الطريق الدولي "إم – 5"، والتي ظلت تحت سيطرتهم حتى عشية الاتفاق، وتوجّب عليهم الانسحاب وتركها للقوات الروسية، تطبيقاً للاتفاق، حيث فُتح الطريق الدولي دمشق – حلب "إم – 5" فوراً؛ وهو ما أنجز من بنود الاتفاق، إضافة إلى وقف إطلاق النار، فيما تنتظر مهمة إنشاء الممر الأمني وتسيير الدوريات المشتركة مهلة انقضاء أسبوع للتنسيق حولها، ما يعني فتح الطريق الدولي الثاني "إم – 4". والجزء الذي لم يطبق بعد من الاتفاق، الممر الأمني وتسيير الدوريات تنفيذه يقع على عاتق تركيا، وهو ما يبدو أنه تكرار لبنود سوتشي في سبتمبر 2018، والتي لطالما تحجّج الروس بتقاعس الأتراك عن تنفيذها، لكن مع انزياح في المنطقة الآمنة، التي كانت في اتفاق سوتشي بعرض 20 كيلومتراً، في ريفي حماه الشمالي وإدلب الجنوبي والجنوبي الشرقي، ومع إلزام موسكو الأتراك مهلة أسبوع، عليهم خلالها إبعاد الفصائل عن الممرّ الأمني، ومنها فصائل متشددة، وضمان عدم حصول انتهاكات، تحت طائلة حق دمشق في الرد على الاستفزازات، وحق تركيا في الرد على هجمات النظام.

حجم التصعيد التركي، والتضخيم الإعلامي له، يوحي بأن الأتراك قدّموا الكثير من التنازلات ضمن الاتفاق، خاصة إذا ما أنجزوا مهمة فتح الطريق الدولي من حلب إلى اللاذقية، والتي يبدو أنها تقدم مجاناً للروس والنظام لاستثماره، بعد عجز الأخيرين، طيلة الأشهر الماضية، عن تحقيق أيّ إنجازات عسكرية على محور ريف اللاذقية. وهم صعّدوا بداية من سقف مطالبهم لجس نبض واشنطن وحلف الناتو، حول مدى تقديمهم الدعم، مستغلين خلاف الأخيرين مع الروس، واستيائهم من دورٍ كبير للميليشيات الإيرانية وحزب الله في معارك النظام في إدلب، عدا عن استخدام الرئيس التركي ورقة السماح للآلاف من اللاجئين باجتياز الحدود إلى أوروبا، ومنع الأخيرة دخولهم، والذين يبدو أنهم سيتحولون إلى ملف سياسي وإنساني للمتاجرة به بين الأطراف اللاعبة في الملف السوري.

وإذا كان التضخيم للحملة التركية هو جزء من بروباغندا تخص الرئيس التركي وحزبه، إلا أنه حصل بالنهاية على أقصى ما كان يريد الحصول عليه، وهو منطقة نفوذ حدودية له، شمال الطريق الدولي، عرضها يزيد قليلاً عن 20 كيلومتراً، والتي يبدو أنه سيتم تجميع المعارضة فيها كجيب جديد يمكن تسميته "درع الربيع" يضاف إلى جيوب "درع الفرات" و"غصن الزيتون" و"نبع السلام"؛ وهو ما كان ليتم لولا مغامرة أردوغان بإقحام الجيش التركي في المعارك السورية.

ورغم أن الاتفاق يعطي الأتراك شرعية التواجد في "درع الربيع"، فإن أنقرة لا تأمن جانب موسكو، خاصة أن في نص الاتفاق ثغرات تمكّنها من خرقه، وأن تركيا تعلم بالنوايا الروسية حول السيطرة على كل الأراضي السورية.

وما زال الأميركيون وحلف الناتو مستاءين من صفقة "إس – 400" بين روسيا وتركيا، لكنهم يريدون التهدئة في سوريا، ووافقوا على بعض المكاسب التركية، رغم رفضهم لأيّ دور تركي أو إيراني في سوريا، وهم يتحدثون عن إمكانية إقامة منطقة حظر طيران في إدلب، بقرار دولي.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

الحريات الإعلامية مدخل للإصلاحات السياسية في مصر

مكرم محمد أحمد: التحريض على حرية الفكر بدعوى الخوف على أمن البلاد حجة واهية

مكرم محمد أحمد: ينبغي أن تكون لدينا ثقة في المشاهد والقارئ

هبة ياسين
كاتبة مصرية

القاهرة – في عُرف النظم الديمقراطية تكون الحريات الإعلامية مرآة للإصلاحات السياسية، ويكون الإعلام مدخلا لاحتضان مختلف التيارات بتنوع أفكارها وتوجهاتها وانتماءاتها، وبالتالي فأيّ حديث حول الإقدام على خطوة تكريس الديمقراطية يأتي بعد تحرير الإعلام من القيود المفروضة عليه، وعكس ذلك يثبت أن الطرح دعاية وتخدير للرأي العام.

يمكن بسهولة استكشاف حجم التضييق على وسائل الإعلام في بلد ما، بخروج أحد الرموز الإعلامية المسؤولة عن إدارة المشهد للتعبير عن امتعاضه من تكميم الأفواه وتقييد حرية الرأي والتعبير، وهو ما يعكس من زاوية أخرى جمود الحياة السياسية. فعندما يُحظر على الصوت المعارض الخروج على الشاشة فالحكومة ما زالت تعاني من أزمة معقدة عنوانها: من أين يبدأ الإصلاح؟

كان لافتا أن يُدلي مكرم محمد أحمد، رئيس المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام في مصر قبل أيام، بتصريحات جريئة حول غياب حرية الرأي والتعبير وتخويف الصوت المعارض في بلاده، رغم أنه من المفترض، بحكم موقعه ومسؤولياته، أن يكون حائط الصد المنيع أمام أيّ تدخلات من شأنها ممارسة القيود والمضايقات، ما عزز شكوك المعارضة في نية الحكومة لإجراء إصلاحات سياسية حقيقية.

التقت "العرب"، مكرم محمد أحمد، الملقب بشيخ الصحافيين المصريين، للوقوف على أبعاد خروجه عن المألوف، في ذروة الحديث المتواتر داخل مطبخ الحكومة عن سعيها لفتح المجال السياسي وبدء مرحلة جديدة مع المعارضة، لكنه كان حاسما في تأكيده على وجود علاقة وثيقة بين حرية الإعلام وأي إصلاحات أخرى، ولا مبرر للخوف من الصوت المختلف، طالما أن الأوضاع السياسية مستقرة.

وقال مكرم "ربما تأخرت هذه المطالبات، لكن كل شخص يتحدث حسب قدرته وشجاعته وظروفه، وأعتقد أنني كنت وفيا لمهنتي وحاولت قدر الاستطاعة وفي إطار الممكن، الدفاع عن حق الصحافيين في التعبير وضرورة توسيع مساحات الحرية والتذكير بأنه لا داعيَ لهذا الخوف المبالغ فيه من إطلاق الحريات، لأن حق الاختلاف ضرورة للتقدم، والمنع ليس الأداة الصحيحة لتسيير الأمور".

ولا يعتقد مكرم أن هناك ما يمكنه منع توسيع نطاق حرية الرأي والتعبير وتوسيع قدرة الأفراد والجماعات على التعبير عن أنفسهم، وليس هناك من يقلق على الوضع السياسي في مصر، فالأوضاع مستقرة والحكم راسخ وكل التجارب تؤكد أن البلاد تحتمل قدرا ومزيدا من الاختلاف، ومن دون حرية إعلامية لن يمكن لأي مجتمع التقدم أو إدراك الصواب أو تحقيق أي إنجاز.

ويبدو رأي رئيس المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام في مصر مخالفا لانتقاداته السابقة لوسائل إعلام غربية، وآخرها قناة "بي.بي.سي" واتهامها بعداء الدولة المصرية، لكنه عاد وقال "يمكن أن أختلف معها لكن لا أشن حربا عليها لأنها أوردت رأيا مخالفا، قد أنتقدها لكن لا أدعو لخصامها وقطيعتها، فالاستماع إلى الإعلام الأجنبي مهم وتلاقي الأفكار الوطنية مع نظيراتها الدولية ضروري، وينبغي احترام حق الاختلاف معها".

ما زالت الحكومة المصرية مقتنعة بأن الصوت الواحد في الإعلام، السبيل الأمثل لتحقيق الاصطفاف على المستوى السياسي في مواجهة ما تسميه بـ"المؤامرات الخارجية"، ومحاولات جماعة الإخوان تخريب كل ما يتم إنجازه لانتشال الدولة من أزماتها الاقتصادية والاجتماعية، بالتالي فإن وجود أصوات معارضة في الإعلام قد يخدم بشكل غير مباشر مآرب التنظيم الإخواني الموالي لتركيا وقطر.

وبرر مكرم محمد أحمد التضييق على حرية التعبير بأنه ربما يعود إلى المخاوف الشديدة للسلطة من إعادة تجربة الإخوان واختراق الأمن القومي المصري وتقويض الاستقرار، مؤكدا أن الجماعة لم تعد لها قوة مثل الماضي، والأوضاع تحتمل المزيد من حرية الرأي باعتباره حماية لمصر وأمنها، ولن يحدث هذا الضرر المبالغ فيه الذي يتخوف منه البعض.

وأوضح "لست ضد أن تكون السلطة حذرة وتقوم بالتبصير في ما يشكل خطرا على أمن الدولة، وأرى أن المصريين نضجوا والصحافيين عاقلون ولا يلقون الآراء على علتها بل تأتي أحاديثهم استنادا إلى رؤية وتجربة وفكر، وينبغي أن يكون هناك قدر من التسامح عند الاختلاف".

التوازن والإدراك

حول مدى استجابة السلطة لما طرحه حول حرية الرأي والتعبير وفتح المجال الإعلامي أجاب مكرم محمد أحمد "لم أطلب على وجه الإطلاق من السلطة القول إن هذا الكلام صحيح، لكن أدعوها إلى أن تكون أكثر توازنا وإدراكا، لأن الاختلاف أمر إيجابي وليس سلبيا، والتنوع يحمل إثراء للفكر وللقدرة، والموهبة المصرية والتاريخ شاهدان على ذلك".

يرتبط التضييق على الإعلام في مصر بعاملين، الأول؛ أن الهيئات الإعلامية المسؤولة عن إدارة المشهد لا تكل من وضع قيود تكرسه ولو بحجة ضبطه، وتحول دون خروج أي وسيلة عن النص أو النبش في قضايا سياسية شائكة، والثاني؛ انتقاء شخصيات لديها عداء مع المعارضة، وبعضهم تربوا في كنف الحكومة ويدافعون عنها أكثر من دفاعها عن نفسها.

أصبحت استضافة رمز للمعارضة في أحد البرامج، حدثا استثنائيا يكاد لا يصدّقه الجمهور. صحيح أن ذلك حدث مؤخرا، لكن في غالب الأحيان أهدافه توحي بالترويج للإصلاحات السياسية، أو تعرية الشخصية وكشف اضمحلالها السياسي، وبالتالي تشويه صورة المعارضة عموما، تحت لافتة فتح المجال أمام كل التيارات.

> لم يحدث من قبل أن تسببت مقالة رأي في التأثير على أمن مصر واستقرارها، فلا بد من التحلي بالمزيد من الجرأة في مجال حرية الفكر والتعبير

يتحدث الضيف بأريحية وينتقد الأوضاع السياسية، ولم يتسبب في تأجيج غضب الشارع، بالعكس، فقد عبر عن رأي فئة لا تريد سوى الترويح عن نفسها بأن وجدت من يتحدث باسمها وينقل نبضها إلى صانع القرار، وهو ما يثير تساؤلات مبهمة حول المبررات الخفية التي تقتنع بها الحكومة لتكريس ثقافة الصوت الواحد في الإعلام.

واتفق رئيس المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام مع هذا الطرح بشكل نسبي، وقال "لم يحدث من قبل أن تسببت مقالة رأي في التأثير على أمن مصر واستقرارها، والمبالغة في الخوف من الرأي الآخر غير صائبة، ولا بد من التحلي بالمزيد من الجرأة في اقتحام حرية الفكر والتعبير ومن دونهما من العسير تحقيق تقدم ملموس".

اعتاد كثيرون ربط ملائكية الإعلام، بطبيعة العقلية التي تديره، حيث إن أغلب الصحف والقنوات أصبحت مملوكة لجهات يتردد بقوة أنها أمنية، ما يعني تغييب أصحاب الكفاءات والخبرات عن المشاركة في إدارة المنظومة، وربما يكون ذلك سببا في استمرار نقمة الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي على الإعلام، واتهامه دائما بأنه أضحى خارج حدود المنافسة.

وعندما اتجهت الحكومة إلى خلق كيانات إعلامية موازية للصحف الحكومية والتلفزيون، اتسمت السياسة التحريرية بصبغة أمنية أكثر منها مهنية، ولم تحقق طموحات السيسي. وعندما طلبت "العرب" تفسيرا من مكرم حول ذلك أكد "لا يمكنني القول إن الدولة تعمدت إهمال التلفزيون أو الصحف القومية، ربما قصرت نوعا ما في الإشارة إلى الاتجاه الصحيح الذي تريد منهم انتهاجه".

المبالغة في المخاوف

رأى مكرم محمد أحمد أن السيسي محق في شكواه أحيانا، وفي البعض الآخر يكون مبالغا، والمهم أن يتم إعطاء العيش لخبازه، أي تتم إدارة المنظومة من خلال أصحاب التخصص والخبرة من أهل المهنة، مع منح الحرية المطلوبة لكل من يريد الإبداع، بحيث تكون لدى الإعلام شجاعة خوض غمار معارك جادة من أجل تحسين الأداء.

وفي رده على سؤال حول مدى ارتباط شكوى السيسي من الإعلام بالتقارير المغلوطة التي تُرفع إليه، قال "بالطبع يستمع الرئيس إلى آراء أجهزة ومؤسسات وأفراد وجماعات عدة وليس كل ناصح أمينا، وبالتالي يمكن أن يكون هناك من يريد أن يجعل السيسي أكثر اهتماما بجانب معيّن من المشكلات، وهناك من يحرض على حرية الفكر بدعوى الخوف على أمن البلاد لكن في النهاية، المبالغة في الخوف من حرية الرأي وكبت الآراء بذريعة حماية الوطن حجج واهية وغير صحيحة" .

عكس تلميح مكرم للمثل الشعبي "منح العيش لخبازه"، حجم غضبه من سيطرة شخصيات ليس لها علاقة بالإعلام على مقاليد الإدارة العليا داخل المنظومة، وأن الهيئات الإعلامية تبدو وكأنها واجهة، ولا تملك سلطة اتخاذ قرارات، وحتى إن فعلت ذلك، فلن تجد طريقها للتطبيق الحرفي، ما يعني أن إطلاق الحريات مرهون بإبعاد غير المتخصصين عن إدارة المشهد، كمدخل لوجود أصوات مختلفة تمهد الطريق أمام فتح المجال العام.

ما يبرهن ذلك، أن شيخ الصحافيين المصريين، قال في حواره "إن ثمة اتجاها باستبعاد الموهوبين في الإعلام"، وبسؤاله عن الجهة التي تقف وراء ذلك قال "يتولى المسؤولية أشخاص غير موهوبين ينصبّ اهتمامهم في أن يسود الروتين والبلادة كي يحجبوا المنافسة ويغلقوا الطريق على المجتهدين الذين تمكنهم المساهمة في فتح أبواب جديدة، وتلك الأوضاع نعلمها وعايشناها، لكن التجارب أيضا علمتنا أن الموهوبين يمكنهم استخدام كل إمكاناتهم من أجل النفاذ بآرائهم عبر هذه الحواجز المصطنعة".

تصاعد منسوب التفاؤل بإمكانية تحسن الأوضاع الراهنة، منذ قرار عودة وزارة الإعلام في ديسمبر الماضي بعد ست سنوات من إلغائها وتكليف الصحافي أسامة هيكل بمسؤوليتها. ويرتبط ذلك بأن وجود الوزارة يتبعه وضع سياسة إعلامية للدولة، بدلا من العشوائية التي تعيشها المنظومة على مستوى الإعلام الخاص أو الحكومي، وتضارب الاختصاصات بين الهيئات الإعلامية الثلاث، أي المجلس الأعلى للإعلام، الهيئة الوطنية للإعلام، والهيئة الوطنية للصحافة.

وقال مكرم محمد أحمد "السلطة ارتأت ضرورة إعادة وزير الإعلام كجزء من السلطة التنفيذية، بعدما قام التصور السابق على إيجاد مساحة فاصلة بين السلطة التنفيذية ووزارة الإعلام، على الأقل كي يبدو أن الإعلام متمتعا بقدر من حرية الحركة والقدرة على الابتكار والاستقلال النسبي عن الدولة، لكن يبدو أن ثمة اتجاها رأى عودة المنصب كجزء من السلطة التنفيذية ليتاح للحكومة الترويج لأفكارها ومقترحاتها ومشروعاتها، ولا بأس في ذلك".

ثم استطرد قائلا "لكننا مررنا بتجربة مهمة وهي ألا يكون الإعلام خاضعا للسلطة التنفيذية ويتمتع بسطوة أدبية وقدرة على تمثيل المجتمع وباعثه ومحركه الأساسي هو مصالح الجمهور وليس مطالب وزارة أو عملا حكوميا أو غير حكومي، والإصلاح الحقيقي يحتاج إلى خطة تجتمع فيها الخبرات وتتوافر لها الدراسة المستفيضة ولا بد أن يقوم بهذه المهمة مهنيون أكفاء معروف عنهم انتصارهم لحرية التفكير والإبداع".

> لا يمكن لقطر رسم ملامح الإعلام العربي وتوجيه جمهور صار أكثر نضجا، وجماعة الإخوان المسلمين لم تعد لها قوة مثل الماضي

استبعد أحمد وجود تضارب بين مهام وزارة الإعلام والمجلس الأعلى لتنظيم الإعلام، فهو يعتقد أن مجلسه ما زال يمثل سلطة أدبية تفرض أخلاقيات المهنة وتوجب ضرورة التمسك بالمعايير، ومحاسبة الخارجين عن تقاليد المهنة حماية لها، لأن مصر مرت بفترة عصيبة اضطربت فيها المعايير وبلغت حدًا صارت فيه القوة والقدرة والباع والنفوذ هي المعيار لتقييم العمل الإعلامي.

المعايير والمحاسبة

التدقيق في كلام مكرم محمد أحمد، حول دور مجلس تنظيم الإعلام، يكشف أنه حصر نفسه تقريبا في فرض المعايير المهنية ومحاسبة المخطئين دون توسيع دائرة اختصاصاته لحماية الإعلام من التضييق على حرياته، وهو نفس الدور الذي تتنصل منه باقي الهيئات، وبدت الصحف والقنوات أسيرة لتوجيهات وتعليمات دوائر أخرى جعلت الإعلام في وادٍ، والشارع في واد آخر.

انعكس ذلك، على علاقة الشارع بالإعلام المحلي، فهناك من عزف عن شراء الصحف ومتابعة الشاشات، وذهب فريق آخر للمنصات الخارجية، ومنها قنوات الإخوان التي تتبنى أجندة قطرية تركية مسمومة لإثارة الرأي العام ضد الحكومة، فيما قرر الفريق الثالث الاعتماد على منصات التواصل الاجتماعي للحصول على المعلومة، وأكثر ما يثار على هذه الصفحات مغاير للحقيقة.

لكن أحمد لا يعتقد أن الإعلام المسموم الذي تدعمه بعض الأطراف الخارجية يشهد رواجا بين المصريين، فالإخوان يهاجمون ويسيئون ويحاولون إثارة القلاقل والفتن وقد صمد الشارع في مواجهتهم، لأن الأوضاع اختلفت ولم تعد الجماعة تمثل الخطر ذاته الذي شكلته قبل سنوات، وانعدمت قوتها المؤثرة على الرأي العام أمام نضج الجمهور المصري.

وأكد أن قطر لا يمكن لها أن ترسم الملامح الأساسية للإعلام العربي، وينبغي أن تكون لدينا ثقة في المشاهد والقارئ، لأن الجمهور أصبح أكثر نضجا ولديه الكثير من التجارب التي تمكنه من فرز الخطأ والصواب والزيف والحقيقة، والعقل العربي قادر على نقاش قضايا عالمه بحرية وإبداع وانفتاح ومن ثم لا تنبغي المبالغة في الخوف من الإعلام الإخواني لأنها سوف تُقعدنا عن التقدم.

لا يعتقد شيخ الصحافيين أن منصات التواصل تمثل مشكلة، بل بالعكس، لها آراء مختلفة وأسهمت كثيرا في نضوج الأفكار وتلاقيها، وفوائدها أكبر من أضرارها التي حدثت بسبب بعض الحماقات واستغلالها السلبي من بعض التيارات المعادية للدولة.

يصعب فهم علاقة الحكومة بمواقع التواصل، فهي تخشاها وتستجيب لأي طرح تقدمه لقوة تأثيرها، ورغم ذلك لا تسمح للإعلام بأن يناقش قضايا أو يتحدث بنفس لغتها من حيث الحرية في الرأي والتعبير، والأكثر من ذلك، أن بعض المؤسسات الرسمية اتجهت مؤخرا إلى صناعة إعلامها الخاص من خلال المنصات الاجتماعية مباشرة بعيدا عن الصحف والقنوات.

سألت "العرب" رئيس المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام عن سبل تحرر الصحافة لمواكبة الحد الأدنى من تأثير منصات التواصل، فأجاب "هي بحاجة إلى المجتمع كي يساعدها على تصحيح أوضاعها، فهي مكبلة بقيود كثيرة وتعاني من أزمة حقيقية تتعلق بغياب المهنية وعدم الاجتهاد وغلق أبواب الابتكار، وعليها أن تنشط أكثر وتحاول قدر الإمكان تنمية قدرات ومواهب أبنائها وتقدم منتجا أكثر جودة، مع عدم الخوف من الاختلاف، لأنه سوف يضيء الطريق الصحيح الذي يمكن من خلاله تشكيل حاجز وسياج يحمي أمن الصحافي وحرية الإعلام".

ويدعم مكرم محمد أحمد هذه القناعات، بأن العالم الجديد تسوده السماوات المفتوحة التي لا يمكن إغلاقها، فلا يمكن حجب الحقيقة أو الأفكار عن المواطن، لذا لا بد من السماح بمرور كل الأفكار وتلاقيها، والعقل الإنساني دائما ما انتصر للحقيقة والتنوع وحق الاختلاف، وكل هذه القيم لا بد من المحافظة عليها وليس تدميرها، لأن تقدم البلاد في المرحلة المقبلة يظل رهين الاحترام المتزايد لحرية الرأي والتعبير.

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

فايروس كورونا.. الغموض سيّد الموقف

الكبار يستثمرون مخاوف الصغار ويحوّلونها إلى أرباح

الجميع يتحدث عن حجم الخسائر التي ستلحق بالاقتصاد العالمي جراء انتشار فايروس كورونا. كتب حول ذلك الكثير، ولكن ما كتب حتى اليوم، يزيد الفايروس غموضا ترجم إلى مخاوف دفعت بصغار المستثمرين إلى بيع أصولهم، تجنبا لانهيار كبير في أسواق المال.

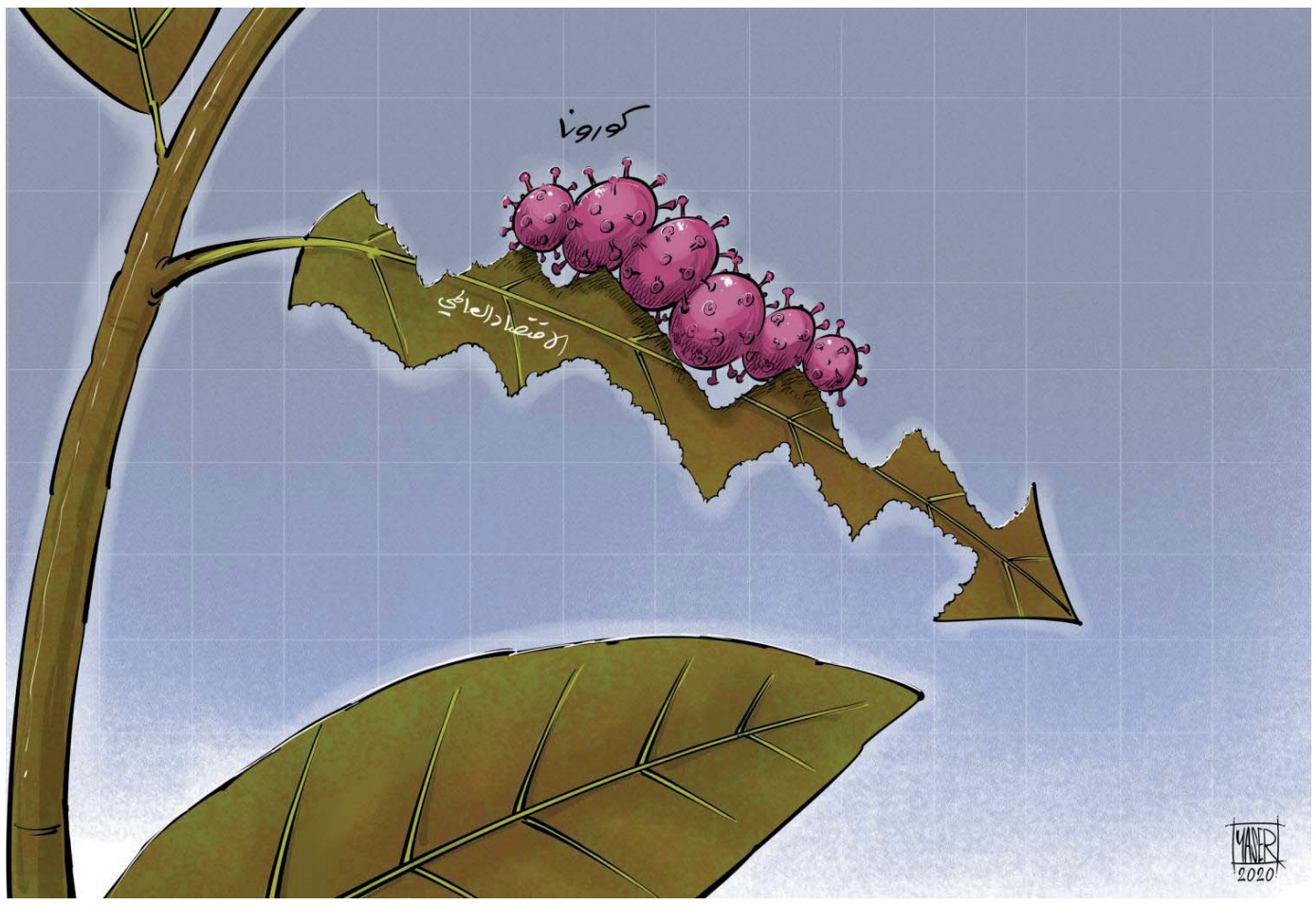

علي قاسم

الإشاعة هي ما ينتظره عادة المستثمرون الكبار، وهي عندما تتحول إلى خبر تفقد جدواها، وبعد مرور أكثر من شهرين على صدور أول خبر يؤكد وجود إصابات بالفايروس، ما زالت الإشاعة سيدة الموقف.

الإشاعة نفسها تتغذى على الغموض، والغموض هو السائد اليوم، غموض في المصدر، ومدى خطورة المرض، ونسبة الذين يفقدون حياتهم نتيجة الإصابة به، والأهم من ذلك كله هو الغموض في العلاج، وماذا تنتظر الشركات لتعلن أين وصلت في أبحاثها للعثور على علاج أو لقاح للفايروس؟

كيف يستثمر الكبار الإشاعات ومخاوف الصغار ويحولونها إلى أرباح؟

لا شيء يثير الريبة في خفض معهد التمويل الدولي لتوقعاته للنمو الاقتصادي في الولايات المتحدة والصين، وتحذيره من أن النمو العالمي قد يسجل أدنى مستوياته منذ الأزمة المالية العالمية.

وقال المعهد إن التأثير الاقتصادي لتفشي فايروس كورونا، سيطيح بالنمو العالمي في 2020 ليقترب من واحد في المئة، وهو ما يقل كثيرا عن نمو بنسبة 2.6 في المئة في 2019، ويمثل أضعف نمو منذ الأزمة المالية العالمية.

وقال خبراء الاقتصاد لدى المعهد في تقرير "نطاق النتائج المحتملة كبير ويعتمد على انتشار الفايروس والتبعات الاقتصادية الناجمة، وكلها أمور تكتنفها ضبابية مرتفعة في هذه المرحلة".

الغموض إذًا سيّد الموقف، وهذا يشكل فرصة لازدهار الشائعات، ويدخل الرعب إلى قلوب صغار المستثمرين، فيسارعون إلى بيع ما يمتلكونه قبل أن يمحى رأسمالهم الصغير، والكبار سيبيعون جزءا، ليؤكدوا بذلك المخاوف، ويدفعون المزيد من الصغار للتخلي عن أسهمهم.

تحدث الهزة في أسواق المال، بخروج الأموال منها، ليشتري المستثمرون بها في مثل هذه الظروف المعادن الثمينة، الذهب خصوصا.

لم تكتف وسائل الإعلام، في حديثها عن كورونا، بالنقل عن الجهات الرسمية والمؤسسات الحكومية، بل استعانت أيضا بالمنجمين والعرافين، الأحياء منهم والأموات على حد السواء.

أشهر من استعانت بهم وسائل الإعلام من المنجمين، عرافة بلغارية ضريرة عادت إلى الواجهة؛ رغم رحيلها عن عالمنا منذ 23 عاما.

العرافة، فانجيليا باندیفا جوشتيروفا، الشهيرة بلقب "بابا فانجا"، زعمت وسائل إعلام أنها تنبأت بانتشار الفايروس، وأنها ذكرت قبل وفاتها بفترة قصيرة بعض التنبؤات للعام 2020، وكانت جميعها سيئة، وتنذر بكوارث كبيرة. توقعت فانجا أن تفشي فايروس في بداية 2020، سيؤدي إلى الإصابة بمرض خطير ينتشر في العالم بأكمله، وستدخل جميع مؤسساته (العالم) في تحدٍّ كبير، وخسائر لا تُحصى. وزعم المصدر أن العرافة أكدت أن المرض لن يكون له علاج.

"كذب المنجّمون ولو صدقوا"

وليست فانجا سوى عرافة، إن صدقت بعض نبوءاتها، فإن ذلك مجرد صدفة بحتة.

ولكن ماذا عن توقعات عملاق مايكروسوفت بيل غيتس، التي وصلت حد النبوءة، وحذر فيها قبل عام من انتشار وباء ينطلق من الصين، يمكن أن يؤدي إلى مقتل 33 مليون شخص في جميع أنحاء العالم، في الأشهر الستة الأولى من انتشاره؟

وكان غيتس قد قال خلال حديث في مؤتمر استضافته الجمعية الطبية في ولاية ماساتشوستس، إنه متفائل، لكن هناك مجال واحد لم يحقق فيه العالم الكثير من التقدم، هو "الاستعداد للوباء.. في حالة التهديدات البيولوجية، هذا الإحساس بالإلحاح غير موجود.. وعلى العالم أن يستعد للأوبئة بنفس الطريقة الخطيرة التي يستعد بها للحرب"، وذلك وفقا لتقرير نشرته صحيفة "ذا صن" البريطانية.

وخلال المؤتمر، كشف غيتس عن دراسة شاملة قام بها معهد نمذجة الأمراض، وأوضحت الدراسة مدى سرعة انتشار مرض جديد، وكيف يمكن أن يحدث انتشار محتمل لفايروس في الصين بسرعة في جميع أنحاء الكوكب.

هل ينتظر العالم يوم القيامة؟

300 مليون تلميذ انقطعوا عن الدراسة، والرقم آخذ في الارتفاع. ولاية كاليفورنيا الأميركية تعلن حالة الطوارئ، وتحتجز ركاب سفينة تجارية في عرض البحر، بعد الاشتباه بإصابة عشرين منهم بالفايروس.

اليابان تفرض حجرا صحيا لأسبوعين على جميع المسافرين القادمين من الصين وكوريا الجنوبية بسبب الفايروس. وأعلن رسميا عن تأجيل زيارة الدولة التي كان يفترض أن يقوم بها الرئيس الصيني شي جينبينغ، إلى اليابان في الربيع.

وأجّل مؤتمر أفريقيا للمدراء التنفيذيين الذي كان سيعقد في أبيدجان، عاصمة ساحل العاج، يومي 9 و10 مارس ويجمع 1800 مسؤول اقتصادي وسياسي. وأعلنت روسيا إلغاء المؤتمر الاقتصادي الرئيسي في سان بطرسبرغ.

قطاع النقل الجوي قدّر حجم الخسائر التي ستلحق به نتيجة للفايروس بـ133 مليار دولار هذا العام، وفق الاتحاد الدولي للنقل الجوي (اياتا)، بعد أن علقت شركة "فلاي بي" الجوية البريطانية أنشطتها بعد ارتفاع كلفة تراجع حركة النقل الجوي العالمي بسبب فايروس "كوفيد19-". وألغت شركة "لوفتهانزا" جزءا من رحلاتها، وألغت شركة "تاب" البرتغالية أكثر من ألف رحلة.

إيطاليا، التي توفي فيها 41 شخصا بسبب الفايروس، في الساعات الأربع والعشرين الماضية، أعلنت خطة بكلفة 7.5 مليار يورو لمواجهة الوباء وتداعياته الاقتصادية. وقررت إلى جانب ذلك منع حضور الجمهور في المسابقات الرياضية، واتخذ المغرب قرارا مماثلا.

على الصعيد العالمي، قد تتسبّب الأنفلونزا في حدوث نحو ثلاثة إلى خمسة ملايين إصابة شديدة ينجم عنها عدد من الوفيات يتراوح بين 250 ألفا و500 ألف وفاة.

وفي البلدان الصناعية تُسجّل معظم الوفيات المرتبطة بالأنفلونزا بين الأشخاص البالغين من العمر 65 سنة فأكثر. وتتسبب الأوبئة في مستويات مرتفعة من الغياب عن العمل والدراسة، وفي خسائر كبيرة في الإنتاجية.

قد يتبادر للذهن فورا أن الكلام السابق يتعلق بوباء كورونا، ولكنه في الحقيقة يتعلق بالأنفلونزا الموسمية، بناء على معطيات منظمة الصحة العالمية، وهي أرقام تبدو متقاربة مع ما نشر حول الإصابة بفايروس كورونا.

كيف تقتل الأنفلونزا؟

يجيب أميش أدالجا، طبيب الأمراض المُعدية بمركز الأمن الصحي بجامعة جونز هوبكنز، على هذا السؤال بطريقة مبسطة، فيقول "الوفاة بسبب الأنفلونزا، ليست كالوفاة بسبب الإصابة بطلق ناري، أو بسبب لدغة عنكبوت؛ وجود الفايروس في حد ذاته داخل الجسم، ليس هو ما يقتل، ولكن تفاعلات الأمراض المُعدية المعقدة مع الجسد المضيف هي ما يقتل".

فور دخول الفايروس إلى الجسم؛ عبر العينين أو الأنف أو الفم، يستحوذ على الخلايا البشرية ليقوم بنسخ نفسه. وهذا التجمع الفايروسي الهائل يثير رد فعل قويّ من الجهاز المناعي، لتندفع خلايا الدم البيضاء والأجسام المضادة لمواجهة التهديد والقضاء عليه، لاسيما في الجهاز التنفسي والرئتين التي غالبًا ما يستوطنها الفايروس. في بعض الأحيان يكون رد فعل الجهاز المناعي مفرط القوة، فيُتلف الكثير من الأنسجة في الرئتين، حتى إنها تصبح غير قادرة على توصيل كمية كافية من الأكسجين للدم فتحدث الوفاة".

وتقدِّر كاثلين سوليفان، رئيسة قسم الحساسية والمناعة في مستشفى فيلادلفيا للأطفال، أن حوالي ثلث حالات الوفاة لأسباب مرتبطة بالأنفلونزا سببها أن الفايروس تغلّب على الجهاز المناعي، والثلث الثاني سببه الاستجابة المناعية لعدوى بكتيرية ثانوية غالبًا في الرئة، والثلث الأخير سببه فشل عضو أو أكثر من أعضاء الجسم.

وتشير بعض الدراسات إلى أن معظم من قضوا نحبهم أثناء وباء الأنفلونزا الذي اجتاح العالم عام 1918، ماتوا بسبب عدوى بكتيرية لاحقة. غير أن السلالات الأكثر فتكًا من الفايروس، لديها وحدها القدرة على التغلّب على الجهاز المناعي.

ويضيف أدالجا "تقول الفرضية إن السلالات الفتاكة تثير استجابة التهابية أقوى. ويعتمد الأمر أيضًا على الفئة العمرية التي تتعرض للإصابة. ففي عام 2009 كان معظم المصابين من الشباب البالغين، ورأينا حينها العديد من حالات الالتهاب الرئوي الفايروسي الأولي".

خلال المواسم المعتادة، تكون معظم حالات الوفاة المرتبطة بالأنفلونزا بين الأطفال والمسنين، وبينما يكون الجهاز المناعي للأطفال بسيطًا لا يستجيب على النحو الأمثل، يكون الجهاز المناعي للمسنين ضعيفا بفعل عوامل السن والأمراض الأخرى.

ووفق منظمة الصحة العالمية، فإن الفئات الأكثر عرضةً للإصابة بمضاعفات قاتلة، الحوامل والأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 6 أشهر و59 شهراً، والمسنون فوق 65 عاما، والأفراد المصابون بأمراض مزمنة معيّنة مثل الإيدز، والربو، والأمراض القلبية أو الرئوية المزمنة، والعاملون في مجال الرعاية الصحية.

ما الذي يجعل كورونا أكثر خطورة من الأنفلونزا الموسمية، وهل هو فعلا أشد خطورة؟

كشفت دراسة شاملة لأكثر من 72 ألف حالة مؤكدة ومشتبها فيها لفايروس كورونا الجديد من قبل علماء صينيين عن معلومات جديدة حول العدوى القاتلة التي أدت إلى توقف جزء كبير من البلاد.

تُعد الدراسة، التي أجراها فريق من الخبراء في المركز الصيني لمكافحة الأمراض والوقاية منها، ونُشرت في المجلة الصينية لعلم الأوبئة، أكبر وأشمل فحص لحالات فايروس كورونا يجرى حتى الآن.

وقد وجدت أن فايروس كورونا الجديد أكثر انتشاراً من الفايروسات ذات الصلة التي تسبب فايروس "سارس" ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية "ميرس".

ومن أصل 44672 حالة مؤكدة، قال مركز السيطرة على الأمراض الصيني إن هناك 1023 حالة وفاة، بمعدل وفيات قدره 2.3 في المئة، وهو ما يتماشى مع الدراسات والتوقعات الأخرى.

وبالمقارنة، كان معدل وفيات "سارس" 9.6 في المئة، خلال تفشي عام 2003، بينما فايروس "ميرس" تسبب في حالات وفاة بلغت 35 في المئة، ويبلغ معدل وفيات الأنفلونزا الموسمية، وهي معدية للغاية وتؤثر على عشرات الملايين من الناس، حوالي 0.1 في المئة، وفقاً لتقديرات صادرة عن المراكز الأميركية لمكافحة الأمراض.

الأرقام المبكرة قد لا تروي القصة كاملة، حسب الخبراء، وقد تنخفض معدلات الوفيات عندما يكتشف المسؤولون الحالات الأكثر اعتدالاً، والتي لا تتطلب الرعاية الطبية.

وقال الدكتور أنتوني فوشي، مدير المعهد الوطني للحساسية والأمراض المعدية "إحساسي وشعور العديد من زملائي، هو أن معدل الوفيات في نهاية المطاف أقل من 2 في المئة. ما لا يحسب على الأرجح هو وجود عدد كبير من الأشخاص الذين يعانون من أعراض أو لديهم أعراض بسيطة، لذلك من المرجح أن يكون قاسم المعادلة أكبر بكثير".

وأضاف "لذلك أعتقد أن النسبة القصوى تبلغ 2 في المئة، ومن المرجح أن تنخفض عندما يتم إجراء جميع عمليات العد إلى 1 في المئة، أو أقل"، مشيرا إلى أن "هذا لا يزال كبيرا إذا نظرت إلى احتمال أن تتعامل مع وباء عالمي".

ونظرا لأن فايروس "كوفيد- 19" قد أصاب أشخاصا أكثر بكثير من الفايروسات التي تسببت في الإصابة بمرض "سارس" و"ميرس"، فقد تجاوز عدد الأشخاص الذين توفوا بسببه، عدد حالات الوفيات التي تسبب بها "ميرس" و"سارس".

بيل غيتس

بيل غيتس حذّر قبل عام من انتشار وباء ينطلق من الصين، ودعا العالم إلى أن يستعد للأوبئة بنفس الطريقة الخطيرة التي يستعد بها للحرب

وأودى تفشي "سارس" بحياة 774 شخصا، بينما تسبب "ميرس" بوفاة 828 شخصا منذ عام 2012.

ومع ذلك، تؤدي الأنفلونزا إلى وفاة عدد أكبر بكثير من جميع هذه الفايروسات مجتمعة، فهي تتسبب بوفاة عشرات الآلاف من الناس في الولايات المتحدة سنويا.

وبينما انخفض عدد الحالات الجديدة المبلغ عنها في الصين وبعض البلدان الأخرى، نبهت منظمة الصحة العالمية إلى ضرورة تحليل البيانات الجديدة بحذر.

لن نفاجأ بعد بضعة أشهر من اليوم، بأن يتم الإعلان عن اكتشاف علاج لكورونا، أو تكشف جهات علمية أن كورونا ليس بالخطورة التي وصف بها، وغالبا ما يكون كبار المستثمرين، بما يمتلكونه من مصادر للمعلومات، على علم مسبق بذلك، ليسارعوا بتحريك أموالهم إلى سوق الأسهم التي تباع بسعر منخفض.

يتنفس الجميع الصعداء، وتسترد الأسواق ما خسرته، مع زيادة معتبرة، وتتحول الخسائر الجزئية التي مني بها الكبار إلى أرباح مجزية.

لن نفاجَأ بعد بضعة أشهر من اليوم، أن يتم الإعلان عن اكتشاف علاج لكورونا، أو تكشف جهات علمية أن كورونا ليس بالخطورة التي وصف بها، وغالبا ما يكون كبار المستثمرين، بما يمتلكونه من مصادر للمعلومات، على علم مسبق بذلك.

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

الوزير الطبيب الذي يصغي جيدا إلى رسائل الملك

خالد آيت الطالب

تحت حصار كورونا والفساد والعدالة والتنمية

● وصول كورونا إلى المغرب يتزامن مع ما تشهده المستشفيات من اكتظاظ بسبب المرضى الذين يتوافدون على المملكة، وهنا يبرز ملف التغطية الصحية الذي يركز عليه آيت الطالب.

● وزير الصحة المغربي يحاول طمأنة المواطنين بالتشديد على أنه تم، وفي كافة مدن المملكة، تخصيص غرف في المستشفيات لاستقبال الأشخاص المحتمل إصابتهم بفايروس كورونا. علاوة على تأكيده أن المغرب يتوفر على مخزون من 12 مليون كمامة.

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

جميع الأضواء الكاشفة مسلطة، هذه الأيام، على وزير الصحة المغربي الطبيب خالد آيت الطالب، ولا يعلم أحد هل كان من حظه، أم لسوء طالعه، أنه وبعد مباشرة مهامه على رأس وزارة حساسة قبل أشهر قليلة، يقف اليوم وجها لوجه كطبيب ومسؤول حكومي أمام خطر الكورونا القادم من الشرق.

فقبل ساعة من الإعلان الرسمي عن أول حالة "كوفيد – 19"، بالمغرب، عقد وزير الصحة، رفقة رئيس الحكومة المغربية، مؤتمرا تواصليا للحديث عن هذا الفايروس المتفشي عالميا ووضع حد للإشاعة وترويج أخبار كاذبة ووهمية. وقد نوّه الكثيرون بالسياسة التواصلية التي اعتمدتها وزارة الصحة للتعريف بفايروس كورونا وبيئة انتشاره وكيفية التعاطي معه، في المقابل يعيب البعض عن البنية الاستشفائية التي لن تستطيع حسب زعمهم التعامل مع هذا المشكل الصحي الذي فشلت أعتى الدول في الحد منه.

تقرير «الشبكة المغربية من أجل الحق في الصحة» يكشف أنّ الاستراتيجيات الصحية التي تبنتها الحكومة منذ العام 2012، كانت مجرد تصريحات وشعارات وإعلانات سياسية، تخللتها وعود والتزامات غير قابلة للتحقيق في ظل سياسة مرتجلة من دون أهداف

عدد من الوجوه المختلفة مرّت على وزارة الصحة لكن مسار الوزير المنحدر من المجتمع الصحي المغربي أكاديميا وممارسة، لا علاقة له مباشرة بمجال السياسة أو الاقتصاد، ما جعله وجها نموذجيا يلتحق بحكومة سعدالدين العثماني، في نسختها الثانية، في أكتوبر 2019، بعد أكثر من خمس سنوات في منصب مدير المركز الاستشفائي الجامعي الحسن الثاني بفاس، حيث شهدت المنظومة الطبية داخل المركز تطورا وتحديثا.

قلق الكورونا

إجراءات جد مهمة باشرها آيت الطالب على رأس المركز الاستشفائي الحسن الثاني، منها ما يخص البنية التحتية والبشرية وطريقة تدبير الاختلاف مع الجسم الطبي والنقابي بهذه المؤسسة الاستشفائية، وهو ما أهّله ليكون شخصية طبية وإدارية ذات كفاءة حيث عمل رئيسا لقسم جراحة الأمعاء، ومديرا عاما للوحدة الصحية بالمركب الجامعي بفاس، وجاء توشيحه من طرف العاهل المغربي الملك محمد السادس كأفضل شخصية سنة 2018 من ضمن شخصيات بارزة اعتلت كراسي المسؤولية.

"الفايروس عصيّ عن التحرّز عليه جغرافيا وطبيا". هذا ما كشف عنه الوزير، الذي أكد أن حامل فايروس كورونا شاب مهاجر زار أربع مدن بالمغرب، سطات، الدار البيضاء، الجديدة وورزازات، جغرافيا ليست بالهين التعامل معها طبيا و"لكن وزارة الصحة تؤكد أن المراقبة شديدة لجميع الذين احتكوا مع حامل الفايروس، ودرجة اليقظة عالية جدا، ويمكن إعلان إجراءات احترازية ووقائية أكثر".

لكل موسم استراتيجيته، فمع وصول فايروس كورونا، ثبت أن المغرب ليس بمنأى عن الوباء، وهذا سيخضع لإجراءات احترازية تتخذها وزارة الصحة باعتبارها ستدخل امتحانا لإثبات نجاعتها وقدرتها على حماية الوطن. إنها مهمة قاسية في ظروف حادة لكن المطلوب هو أن تقوم المؤسسة بعملها على أكمل وجه وليست هناك مطالب تعجيزية، فالوزارة تقوم الآن بما يلزمها القيام به من تواصل وحملات تحسيسية تهم إجراءات الوقاية والطرق المثلى لمباشرة الإسعافات الأولية.

ويمكن الاتفاق مع رئيس المركز المغربي لحقوق الإنسان، عبدالإله الخضري، إلى الحد المعقول والموضوعي عندما قال إنّ المراهنة على قدرة وزارة الصحة على مواجهة الفايروس أمر يصعب تبنيه، ما لم يصدر قرار بزيادة الميزانية المخصصة لمواجهة الوباء، مع ضرورة التنسيق مع الدول والمؤسسات التي لها القدرة على التصدي لهذا الفايروس.

ومع وصول كورونا المغرب وما تعرفه عدد من المستشفيات من اكتظاظ ومشاكل في مواكبة العدد الكبير من المرضى الذين يتوافدون على مستشفيات المملكة، يبرز على السطح ملف التغطية الصحية الشاملة التي تعد أحد التحديات الرئيسية المطروحة على المنظومة الصحية بالمغرب، كما يقول آيت الطالب، وأحد أبرز أوراش تعزيز الحماية الاجتماعية وتقليص النقص في الخدمات الاجتماعية.

وقد شكك البعض في أن تكون المؤسسة الاستشفائية مولاي يوسف بالدار البيضاء مؤهلة لاستقبال حالة المصاب بفايروس كورونا وحالات أخرى محتملة، لكن وزير الصحة دافع عن الاختيار مبررا ذلك طبيا بكون المستشفى يعتبر مؤسسة مرجعية لمثل هذه الأمراض، حيث يتوفر على غرف فيها ضغط هوائي منخفض، مما لا يسمح بخروج الهواء من الغرفة التي يوجد فيها المصاب.

وطمأن الوزير المواطنين إلى أنه تم، وفي كافة مدن المملكة، تخصيص غرف وخلايا بالمستشفيات لاستقبال الأشخاص المحتمل إصابتهم بفايروس كورونا، وبالأرقام يوجد أيضا 670 سريرا لاستقبال الحالات التي قد تصاب بهذا الفايروس، كما يتوفر المغرب على جميع المعدات للتصدي لهذا الفايروس، وعلى مهنيين مدربين للعناية بهذا النوع من الأمراض.

كفاءات عند الضرورة

بعد التعيين لأول مرة كوزير اعتز آيت الطالب بالثقة الملكية التي حظي بها على رأس هذا القطاع الحساس للغاية، مقرا من باب العارف والعضو بلجنة الخبراء بوزارة الصحة منذ عام 2008 أن هذا القطاع يواجه العديد من التحديات التي يتعين رفعها لتلبية انتظارات المواطنين، ولمواجهة هذه التحديات قرر الاستفادة من الكفاءات التي يزخر بها القطاع، مبرزا في هذا الإطار أهمية السلم الاجتماعي والاقتراب قدر الإمكان من المريض المغربي لنيل ثقته.

هذا كلام لا غبار عليه لكنه يحتاج إلى تفعيل على أرض الواقع، خصوصا ونحن نقرأ تقريرا صادرا عن "الشبكة المغربية من أجل الحق في الصحة" يقول إنّ الاستراتيجيات الصحية التي تبنتها الحكومة من سنة 2012 "مجرد تصاريح وشعارات وإعلانات سياسية، تتخللها وعود والتزامات غير قابلة للتحقيق في ظل سياسة مرتجلة دون أهداف وأولويات حقيقية وميزانية ملائمة للحاجيات والانتظارات المعبر عنها من طرف المواطنين والجهات". آيت الطالب القادم من مدينة أغادير جنوب المغرب، يقوم بما يمليه عليه ضميره المهني والأخلاقي وهو لازال في أوج عطائه إذ يحمل فوق كتفيه 55 عاما بيولوجية وسنوات من الخبرة والدربة في مجال تخصصه الطبي والتدبيري، وكنتيجة فنجاحه في تسيير مركب استشفائي بموارده وأطره ومرضاه ومشاكله اليومية، كشف عن كفاءة استثنائية وهذا ما أهّله لمنصب تدبير قطاع كبير وحساس.

بعد توليه المنصب اتخذ آيت الطالب قرارات استعجالية عديدة منها على الخصوص دعوته الفرقاء الاجتماعيين إلى استئناف جولات الحوار الاجتماعي القطاعي وإجراءات إتمام عملية إدماج الممرضين المجازين وغيرها، وقبل أن تمر أيام على تكليفه تأبى نقابة تابعة للعدالة والتنمية إلا أن تستقبله برسالة تنتقد فيها أداءه وإثارته الهلع والفوضى والارتباك في صفوف الموظفين والمسؤولين بالجهات والأقاليم.

فساد وابتزاز سياسي

في مهمته السابقة لم يخضع للابتزازات النقابية والسياسية، وهذه ميزة يجب إبرازها في مهمته الصعبة الحالية على رأس الوزارة، فآيت الطالب لم يسلم من معارضة النقابات، فها هي اللجنة الوطنية للأطباء والصيادلة وجراحي الأسنان للجامعة الوطنية للصحة المنضوية تحت لواء الاتحاد المغربي للشغل، تنتقد هي الأخرى غياب استراتيجية واضحة لوزارة الصحة لإصلاح القطاع وإنقاذه.

ليس بالشعبوية تدار الأمور، فبشهادة كل المهنيين والمسؤولين السابقين تعاني الوزارة من نقص حاد في الموارد البشرية، ولمواجهة هذا النقص يرى خبراء في المجال أنه لا بد من المرور من خلال ثلاثة محاور هي الرفع من عدد المناصب المالية المخصصة لوزارة الصحة، وتحسين ظروف العمل في المستشفيات العمومية الواقعة بالمناطق النائية والمؤسسات الصحية المتواجدة بالعالم القروي من خلال تجهيزها بالمعدات البيوطبية، والتوزيع العادل للموارد البشرية بين جميع جهات المملكة، خاصة بالعالم القروي.

قبل أيام أصدرت المندوبية السامية للتخطيط مذكرتها الإخبارية التي وقفت على ضعف حماية المشتغلين، واستفادة أقل من ربع النشيطين المشتغلين فقط من التغطية الصحية، وهو ما يدعم ما جاء في تقرير الشبكة المغربية من أجل الحق في الصحة، بأن 9 ملايين مواطن فقط يستفيدون من التأمين الإجباري عن المرض.

في حين أنّ نصف سكان المغرب، على الأقل، خارج أيّ مظلة للتأمين الصحي، إذ لم تتمكن الحكومة من توفير التغطية الصحية سوى لـ46 في المئة من السكان، وهذه معطيات وأرقام من الواجب أن تؤرق الوزير وتعطيه الحافز على ترجمة وعوده ما استطاع إلى ذلك سبيلا، خاصة إذا استحضرنا أنه متحرر من أيّ ضغط انتخابي مادام لم يحط الرحال عند أحد الدكاكين السياسية.

وعلى اعتبار أن مرض السرطان يعرف تطورا كبيرا، ويضرب بكل شدة حيث تعاني من ارتفاع تكاليف علاجه الفئات الاجتماعية الهشة وحتى المتوسطة، ولهذا وقّع الآلاف من المواطنين المغاربة على عريضة تم مؤخرا توجيهها إلى الحكومة لمطالبتها بإحداث حساب خصوصي لدى الخزينة العامة للمملكة، يسمى صندوق مكافحة السرطان، وأجاب وزير الصحة أن المطلب الأساسي هو إدماج أدوية مرضى السرطان في إطار التغطية الصحية.

محاربة الفساد والمتاجرين بدم المواطن وصحته قطعة أخرى من الدراما التي تعرض على مدار اليوم محليا، ومن حسنات عدم الارتهان لأيّ لون حزبي هي تقليل الضغوط الانتخابية والمصالحية على وزير الصحة ما جعله يقوم بخطوات متقدمة في مجال المحاسبة وتقليل بؤر الفساد في مصالح وزارته، والتي كان آخرها قراره إحالة ملف فساد مديرية الأدوية على القضاء من أجل فتح تحقيق شامل في مزاعم تضارب مصالح تخص شركة تصنيع أدوية تساهم فيها زوجة مسؤول في المديرية.

ارتفاع منسوب الفساد بمصالح الوزارة جعل آيت الطالب يبادر إلى الإطاحة بعدد من المسؤولين الضالعين في مخالفات بالجملة، وحتى يبقى سجله نظيفا قام بإلغاء صفقتين تبلغ قيمتهما المليارات تحوم حولها شبهة فساد داخل مديرية الأدوية، إنها الدجاجة التي تبيض أموالا بالجملة. وقد نظر بنفسه في عدد من الملفات التي وجدها فوق مكتبه، لم ينتظر كثيرا، حتى وجه المفتشية العامة لوزارة الصحة للقيام بتحقيقات بعدد من جهات المغرب للوقوف على كل ما يتعلق بالصفقات العمومية، والتي تحوم حولها شكوك بوجود شبهة فساد، خصوصا تلك التي تخص صفقات موجهة لشركات بعينها دون أخرى.

آيت الطالب لا يخضع للابتزازات النقابية والسياسية، وهو أمر لوحظ خلال مسيرته المهنية، وميزة يجب إبرازها في مهمته الحالية الصعبة على رأس وزارة الصحة

ومن التحديات الكبرى التي لا تواجه وزير الصحة لوحده وإنما مؤسسات الدولة ككل، بروز لوبي ومجموعات ضغط كبرى لأرباب مصانع صناعة الأدوية، وتضارب المصالح هذا يعرقل كل مجهود لدمقرطة أثمان الأدوية وجعلها في متناول المواطنين حيث أن السوق المغربي يبقى من أغلى الأسواق في المنطقة.

بلا شك أن الوزير الطبيب قد استمع إلى رسالة العاهل المغربي الملك محمد السادس الموجهة للمشاركين في فعاليات الاحتفال باليوم العالمي للصحة العام الماضي، والتي اختارت منظمة الصحة العالمية المغرب هذه السنة لاحتضانها تحت شعار "الرعاية الصحية الأولية: الطريق نحو التغطية الصحية الشاملة". رسالة أكد فيها العاهل المغربي أن الرعاية الصحية الأولية تكتسي أهمية بالغة في اتجاه تحقيق التغطية الصحية الشاملة، باعتبارها تتجاوب مع التحول الكبير الذي يجتاح العالم ويتحدى المنظومات الصحية.

ورغم أن آيت الطالب لم يكن، آنذاك، يتحمل مسؤولية القطاع إلا أنه كان رئيسا لتحالف المراكز الاستشفائية الجامعية بالمغرب، وهذا منصب مرموق، استمع من خلاله للملك يتحدث حول كيفية تمويل الرعاية الصحية، عن طريق اعتماد آليات تعاضدية وتضامنية لمواجهة المخاطر والنفقات الصحية المتزايدة، خصوصا في وقت يشهد ارتفاع التكاليف، وتزايد وتيرة شيخوخة السكان، وزيادة الأمراض المزمنة، وتوافر علاجات جديدة ذات تكلفة أكبر.

نساؤها يخرجن برفقتها من الأسطورة

ميساء محمد

سورية تتحدى الحرب بالرسم المترف

فاروق يوسف
كاتب عراقي

غالبا ما يستحضر رسامو الوجوه وجوههم من غير قصد مبيّت. يبدو سطح اللوحة الأبيض كما لو أنه مرآة. ترسم وجها يشبه وجهك من غير أن يكون ذلك الوجه وجهك الحقيقي. في إمكان الفن أن يقرّبنا من حقائق لا نعيها واقعيا.

ذلك ما تفعله ميساء محمد وهي ترسم وجوها لأخريات. لا تحتاج إلى أن تتخيل وجوههن. يدها التي هي مرآة خيالها تفعل ما تراه مناسبا لكي يكون الوجه شبيها بذلك الوجه الذي تحلمه الرسامة. ما من شيء واقعي بالرغم من أن كل شيء يجري في سياق طريقة واقعية في النظر تغلب عليها رغبة في التعبير عن شعور مفقود. تستخرج محمد وجوهها من منطقة وهمية. فهي ترى ما يجب أن تراه لا ما هو قائم أمامها باعتباره واقعا. ذلك لا يعني أنها تضطر إلى إخفاء شيء ما من أجل إظهار شيء آخر. إنها متصالحة مع فكرة أنها ترسم. بالمعنى الذي يجعلها بعيدة عن الشرط الذي يلزمها بالتثبت من واقعيتها.

تجربة الرسام نذير نبعة تبدو ميساء محمد قريبة منها. أسلوبه في معالجة الشكل النسوي يبدو واضحا في معالجاتها، وهو أمر يدعو إلى التفاؤل. فذلك الأسلوب ينطوي على خبرة استثنائية في مجالي الحرفة والخيال

وإذا ما عدنا إلى المحترف الفني السوري لا بد أن ننتبه إلى حقيقتين. الأولى أن هناك رسامين كبارا شغفوا برسم الوجوه يقف في مقدمتهم مروان قصاب باشي. أما الحقيقة الثانية فتتعلق بولع جيل من الرسامات السوريات برسم الوجوه، تقف سارة شمة في مقدمتهن.

تبدو محمد قريبة من تجربة الرسام نذير نبعة. هل كان معلّمها؟ أسلوب نبعة في معالجة الشكل النسوي يبدو واضحا في معالجات ميساء وهو أمر يدعو إلى التفاؤل. فذلك الأسلوب ينطوي على خبرة استثنائية في مجالي الحرفة والخيال المستندين إلى موهبة كبيرة.

أعتقد أنها تعرف ما تفعل. ما من شيء مجاني أو يقع بالصدفة. وهي إذ تقترب في أحيان كثيرة من عالم الأيقونة من غير أن تحتمي به فإنها تفعل ما كان نذير قد فعله حين رسم نساء واقعيات بعين مَن ينظر إلى الآلهة القديمة.

نساؤها خارجات لتوّهنّ من الأسطورة. لا أحد يلتفت إلى صفاتهن الاستثنائية بقدر ما يتملكه سحر ورعهن وهن يؤدين أدوارهن بهدوء وخفة كما لو أنهن يمارسن أعمالا يومية. ما يُرى في لوحاتها لا يمكن رؤيته في الحياة الواقعية بالرغم من أن الرسامة لم تخترع أحداثا خيالية.

في إمكان الرسم أن يحدث تحولا في العلاقة بين ما هو واقعي وما هو خيالي من خلال قوة الوهم. سيكون علينا في حالة النظر إلى رسوم محمد أن لا نخدع أنفسنا بالمعاني المتاحة. هناك معنى لم نتوقعه هو في طريقه إلينا.

نساء من طرف العالم

ولدت ميساء محمد عام 1964 في مدينة جبلة. درست الرسم في كلية الفنون الجميلة بدمشق. في البدء تعاملت مع الرسم باعتباره هواية وركزت على عملها في التلفزيون. كان ذلك في القاهرة حيث قضت هناك سنوات قبل أن تنتقل إلى دبي.

بعد نشوب الحرب في سوريا شعرت أن هناك قوة داخلية غريبة تدفع بها في اتجاه التعبير عمّا رأته وعاشته خلال السنوات الثلاث التي سبقت مغادرتها بلدها. لقد صارت ترسم بنهم كما لو أنها أرادت أن تعوّض ما فاتها.

وإذا ما كانت الفنانة قد ركّزت في البدء على التعبير عن الحالة المأساوية من خلال مشاهد لنساء مجهولات الهوية، تجمع بينهن أسئلة تتعلق بالمصير الذي صار يزداد غموضا فإنها سرعان ما انتقلت إلى الاهتمام بالإيقاع الموسيقيّ الذي ينبعث من الوجوه حين تكون في مواجهة مصيرها.

ولأن محمد قد أجادت الدرس الأكاديمي وأتقنت الرسم بطريقة مدرسية، فقد سعت إلى أن تتحرر من ضغط ذلك الدرس من خلال اللعب على الألوان ومن خلالها، حيث تنفذ الصورة إلى ما وراء الواقع. فالنساء اللواتي رسمتهن لسن صورا مستنسخة بل هن الفكرة التي تلاحق التعبير عنها.

هذه رسامة تقول أشياء كبيرة من خلال مفردات قليلة. تلك مفردات يمكن أن يُكتفى بالنظر إليها جماليا. غير أن ميساء وهبت الجمال طابعا متشنّجا من خلال سلوكها التقني. لقد ذهبت بالوجوه النسوية إلى المكان الذي هو شاشة لعرض الألم والعذاب والصبر والشقاء والكدح. كل ذلك يجري وسط أجواء احتفالية، تبدو كما لو أنها مترفة، غير أنها ليست كذلك حتما.

تعارض من شأن الفن أن يفكك ألغازه. لقد اختارت محمد أن ترسم المرأة في حقيقتها لا كما هي عليه في الواقع. قد يكون الدافع رغبة غير معلنة وغير مقصودة في الإنكار. إنكار حجم الهزيمة التي تتعرض لها المجتمعات في الحرب. هناك اعتراض صاف في كل العيون اللامعة التي رسمتها ميساء، لأن المرأة بالنسبة إلى الفنانة هي خلاصة التعبير عن المصير البشري.

الوتر الناقص في التخت الشرقي

كل لوحة من لوحات محمد هي حكاية. ما يظهر من الحكاية ليس الحكاية كلها بتفاصيلها. بارعة ميساء وهي تجرّ أقدام مشاهديها إلى مواقع لم تظهر في اللوحة وليس ظهورها مطلوبا. وهي مواقع تعبيرية، حاولت من خلالها الرسامة أن تنقلنا إلى حياة لم يصرّح أحد بأنه عاشها من قبل. حياة سريّة لنسوة مفقودات، أثقلتهن الوحدة وصرن يبرعن في تدجين خسائرهن وتأثيث حياتهن بالأقل باعتباره جميلا.

"لم ننته إلى طريق مسدودة" ذلك ما يقلنه تلكم النسوة. غير أننا يمكن أن نستشفه من رؤيتهن في زينتهن التي تؤكد أن الحياة لا تزال جميلة. لا تخفي ميساء تأثرها بالحرب الذي شهدتها بلادها. ولكنه تأثير يبدو على درجة كبيرة من العمق والغموض.

"هناك أمل" ذلك ليس صوت الرسامة ولكنه أصوات النساء اللواتي رسمتهن في معرضها "مقام الصبا" الذي أقامته في دمشق ودبي وزيورخ. هناك عودة إلى التخت الشرقي. وتر ناقص سيكون بمثابة فكرة اختلاف في النظر. سيكون كل شيء غريبا مثل مقام الصبا. وهو ما ترجو الفنانة الوصول إليه.

لا ترغب في أن تزجّ بنفسها في الملاحم الكبيرة. تكتفي بما تجده مناسبا لمزاجها وهو مزاج تصويري يقترح فكرة عن الأمل قد يجدها الكثيرون نوعا من الترف، غير أنها بالنسبة إلى الفنانة تمثل حلاً على مستوى الفن. سيُقال "إنها تهرب من الحرب" ذلك صحيح، فهي من القبح، غير أنها تحمل جزءا من الحقيقة معها حين يتعلق الأمر بالجمال. تفكر في الموسيقى وهي تسعى إلى استعراض أفكارها عن الحرب. ذلك ما يجب أن نهتم به. هناك طريقة أخرى في التفكير. وهي طريقة لا يمكنها أن تختزل كل شيء غير أنها تقول شيئا يقع خارج التفكير القطيعي. من حق محمد وهي فنانة طليعية أن تضع كل شيء في مكانه بالطريقة التي لا تعكّر صفو الجمال.

رسمت محمد شبيهاتها. رسمت من خلال وجوهن وجهها. لقد أخذتها متعة الرسم إلى درجة نسيان الفرق بين ما تراه وما لم تره. لقد أنتجت رسوما يمكن أن تُحب من النظرة الأولى. تلك رسوم تجبرنا على أن نتذكرها ونفكر فيها. أما الهرب منها فلن يكون متاحا. ميساء محمد هي رسامة من طراز خاص.

ميساء محمد ترسم وجوها لأخريات، غير أنها لا تحتاج إلى أن تتخيل وجوههن. يدها التي هي مرآة خيالها تفعل ما تراه مناسبا لكي يكون الوجه شبيها بذلك الوجه الذي تحلم به

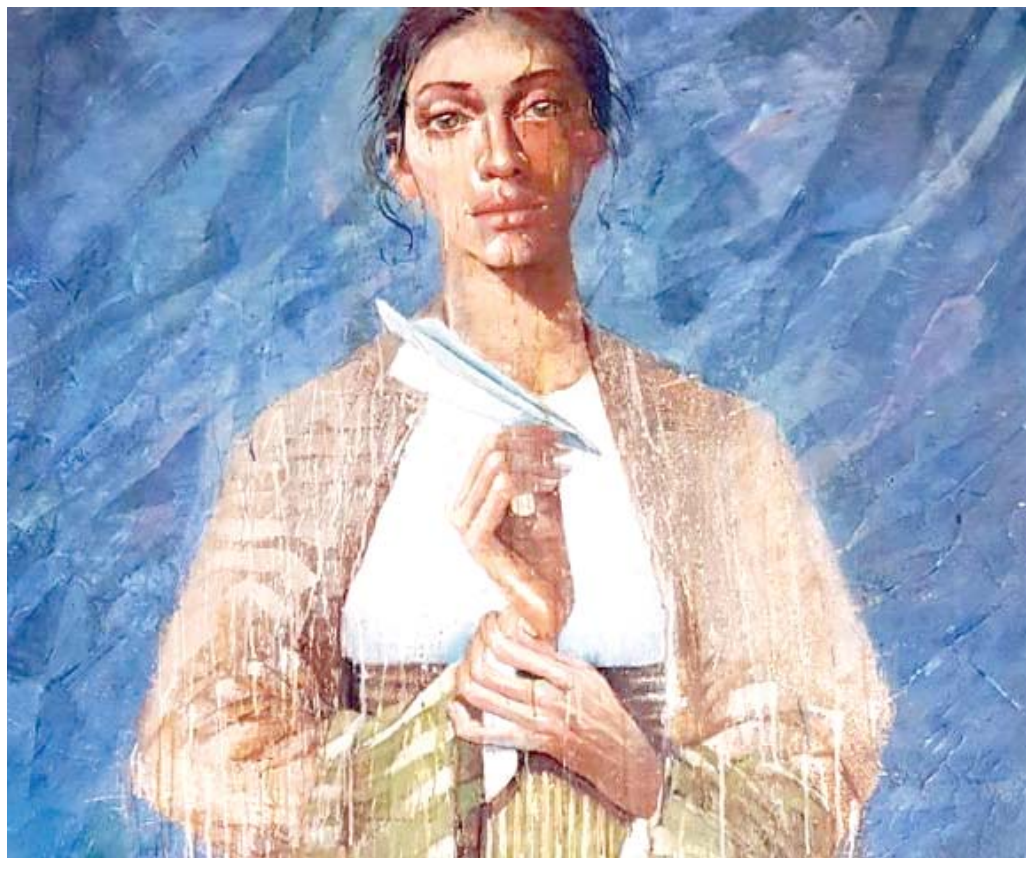

العرب الثقافي
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

الذات الخارجية أم ثرثرة بصرية

في العصر الرقمي لابد من صيغة توفيقية بين الأجيال

هيثم الزبيدي
كاتب عراقي مقيم في لندن

هل من الطبيعي أن نسلم معلوماتنا الشخصية إلى العالم الافتراضي؟ تصفح حساباً لصديق على فيسبوك وسترى العجب. يتبرع بكل المعلومات. رقم هاتفه؛ أصدقاؤه؛ صور الطفولة؛ فيديو إلى أين ذهب؛ متى سافر؛ سيل لا ينتهي من صور السيلفي؛ حتى طاولة الطعام لا تنجو من التصوير. ثم الأخبار التي يقرأها؛ الحِكم التي يؤمن بها؛ الكتب التي طالعها؛ إعادة نشر ما يقوله أصدقاؤه.

نتهم الحكومات بانتهاك الخصوصية. تصوّرنا الحكومات "في الرايحة والجاية". في الشارع والمحلات والمطارات ومحطات القطار. نتحدث عن الأخ الأكبر الحكومي بامتعاض. ثم نكتشف أننا أنفسنا "الأخ الأكبر".

هذه نقلة نوعية في النظر إلى الذات. الذات من قبل كانت داخلية. تعبّر عن نفسك بالكتابة والحديث. مجموع الصور التي تجدها لجدك الراحل هو صورتان أو ثلاث، ربما واحدة منها لهويته الشخصية. مجموع الصور العائلية لوالدك ووالدتك تعدّ على أصابع اليدين. خالك له صورة أسود وأبيض يضع "الجيل" على شعره ويسند حنكه على أصابعه، ويبتسم. المشاهير لهم صور قليلة. يجمعون مراسلاتهم مع الآخرين ثم يتركونها في صندوق صغير للورثة، أو ينشرونها قبل رحيلهم في كتاب بحجم متوسط. الذات الداخلية رقيب يرفض الاقتحام حتى من أقرب الناس.

الذات اليوم ذات خارجية. كلّما كنت منفتحا وشفافا، كلّما أحسست بأنك تنتمي إلى العصر. تدلي برأيك في قضية إشكالية وتتجاوز الحذر التقليدي. تصير أنت جزءا من الإشكالية. الذات الخارجية أقوى من حكمة الحذر الذي يمارسه الإنسان مع خصوصياته. تكتب تعليقات وتنشر صوراً. الرأي يرتدي وجها الآن. ربما الوصف الذي يصلح هنا هو الثرثرة البصرية. الصورة هي المقياس الآن. الثرثار أيام زمان يثرثر بالكلام. ثرثار هذا الزمان هو من يثرثر بصوره أو صور الآخرين. وإذا كان ثرثار زمان يسعى لأن يستمع إليه الناس، في البيت أو الباص أو المقهى، فإن ثرثار هذا الزمان يريد أن يراه الناس كلما فتحوا صفحاتهم على فيسبوك. المهم هو التفاعل الذي يبديه الأصدقاء مع الصور. المهم هو "اللايك".

> الأهم من الركض خلف تعريف الخصوصية هو التأكد من تعريف الذات الخارجية. لا خصوصية وأنت تشارك صفحتك على فيسبوك مع مئة صديق

لا عيب في كل هذا. هذا هو العصر وعليه يجب التأقلم معه. إذا كان رئيس الولايات المتحدة لا يتوقف عن الثرثرة على حسابه في تويتر، فكيف بشاب في العشرين يمشي ويندهش ويكتب ويصوّر ويردّ؟ إذا كان رئيس وزراء بريطانيا شعبوياً، فهل تلوم فناناً في الشرق الأوسط يريد أن يلفت إليه الأنظار أو شاعراً استبعدته المسابقات الشعرية؟

ثرثار هذا الزمان هو من يثرثر بصوره أو صور الآخرين

التأطير الثقافي لهذا الواقع الجديد هو المشكلة. كما بدأت بالقول، فنحن ننتقد نفس الشيء الذي نمارسه. الفرق هو أنها حكومة وهذا أنا. ما هو تعريف الخصوصية هنا؟ بالأصل، هل بقيت خصوصية لكي نحاول تعريفها؟

أعتقد أن الأهم من الركض خلف تعريف الخصوصية هو التأكد من تعريف الذات الخارجية. لا خصوصية وأنت تشارك صفحتك على فيسبوك مع مئة صديق. ولكن بالتأكيد تحتاج أن توصّف الذات الخارجية لكي يدرك الأصدقاء، الحقيقيون منهم أو المتطفلون، أين هي حدودهم مع هذه الذات الخارجية.

عندما يمرّ أحدهم من جانب بيت يضع صاحبه كل صوره على السياج الخارجي، فإن الجار أو المار المستطرق سيتوقف يتفرج، وسيعلق أو يترك دائرتين على عيني واحدة من صورك تشبه النظارات للسخرية. لعلّ الطبيعي أن تضع لافتة "عدم اللمس" أو "بلا تعليق" أو "للفرجة فقط". هكذا تحمي "خصوصيتك" المستباحة لو قرّرت ذاتيا أن تستبيحها. هذا في عالم الأمس. أما في عالم اليوم، فإن الوقوف أمام السياج الافتراضي للصور الشخصية والأفكار والتعليقات على صفحات فيسبوك أو إنستغرام يعادل بوستات الرد أو التعليق أو الصور الأخرى أو التجاوز اللفظي أو "اللايك". ما هو المكافئ الافتراضي لحماية "خصوصية" الذات الخارجية؟ هل الحجب مثلا لمن يسيء الأدب؟ أم المعاقبة بالتجاهل؟

كل هذه مفردات في عالمنا المتغيّر لا نزال عاجزين عن الإتيان بصيغة توفيقية لها. صيغة توفيقية بين الأجيال. هل تسمح لابنك أن يلتقط لك صورة ويضعها فورا على إنستغرام؟ هذا هو الطبيعي بالنسبة إليه. أنت يجب أن تفكّر وتتمعّن. وصيغة توفيقية بين المسموح والمقبول أو المرفوض والمستهجن. هل تتقبّل التعليقات مهما كانت ومن أين جاءت؟ هنا، ما هي عتبة الحساسيات التي يجب عدم تجاوزها؟ لا ردّ لديّ.

الكتاب سَفَر حرّ والكتب أجنحة الحالمين

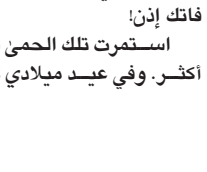

نوري الجراح
شاعر سوري مقيم في لندن

في البدء كانت الكلمات، ثم ولدت الكتب لتكون أجنحة لمخيلات الحالمين بالطيران بعيدا عن المكان الفخ الذي أسروا فيه، وألزموا بالإقامة في قيده، كما ألزم إيكاروس وأبوه ديدالوس في برج الملك مينوس. الكتب لنسافر، والكتب لنتخيل الأبعد، الكتب لنستبدل الواقع بالحلم، حلم السفر بعيدا وارتياد الآفاق، حلم اكتشاف الذات والعالم، حلم الحرية. لذلك حرّم الطغاة الكتب، وأحرق الغزاة المكتبات.

في حياتي، حتى اليوم، عدد من المكتبات التي اقتنيت كتبها واعتنيت بكل منها على نحو ارتبط، بالضرورة، بالأمكنة التي عشت فيها. لقد عبّر كل منها عن مرحلة من مراحل حياتي القرائية واهتماماتي ودراساتي في الأدب. فباستثناء الفترة المبكرة من حياتي العلمية والأدبية، لطالما كنت الطالب والمعلم معا، ولم يكن لي من المعلمين، طوال حياتي، من هم أفضل من الكتب.

الكتب، باختيار شخصي ومزاج قرائي خاص، وغالبا ما كانت قراءاتي بعيدة كل البعد عن الموضات الدارجة في القراءة، وأعني بها تلك التي تعبر عن نفسها في دعوات محمومة يوجهها أصدقاء إلى أصدقائهم لقراءة كتب بعينها.

***

في أواخر السبعينات سرت حمى في دمشق اسمها "مئة عام من العزلة"، ظهرت عوارضها الشديدة على جل من عرفت من الأصدقاء، فكنت كلما التقيت صديقا، وقبل أن أسأله عن آخر قراءاته كان يهاجمني بالسؤال "هل قرأت مئة عام من العزلة؟". وكنت أجيب بالجملة نفسها "لا، لدي برنامج قراءات، عندما أفرغ منه سأقتني الكتاب". إذ ذاك كنت أرى في وجه سائلي التعبير المشفق نفسه: كم فاتك إذن!

استمرت تلك الحمى سنتين، وربما أكثر. وفي عيد ميلادي كذا والعشرين وصلتني هدية، فإذا بها رائعة غابرييل غارسيا ماركيز بترجمة سامي الجندي. إجلالا للصديق وضعتها في مكان بارز من مكتبتي، والواقع أنني لم أقرأ تلك الرواية لا في دمشق ولا في بيروت (رغم ما كان من ارتباطي بعلاقة صداقة مع سامي الجندي)، ولم أفعل في قبرص حيث أقمت لبضع سنوات وفي حوزتي نسخة موقعة من المترجم. وبعد مرور عقدين من الزمن جاء الموعد مع تلك الرواية الرائعة. ولأعترف أنني لا أذكر إن كنت شعرت بالأسف لكوني لم أقرأ هذا العمل في سنوات العشرينات.

لاحقا تنبهت إلى أن وراء إعراضي عن قراءة تلك الرواية ودعوات أخرى، قبلها وبعدها، ما هو أكثر من نفوري من الموضات ومما تلهث المجموعات وراءه، ومن اعتدادي المبكر بخياراتي الشخصية في القراءة، وعشقي لمصادفات اللقاء مع الكتاب، بعيدا عن الإشارات الفظة القادمة من آخرين، حتى وإن كانت موفقة أحيانا.

***

كانت هناك دوافع شعورية خافية علي أدركتها لاحقا، الأرجح أنها كانت تغذي السبب الظاهر، وأعني بها تلك الهيمنة التي فرضت على المجتمع السوري من قبل النخبة الانقلابية الحاكمة والتي صادرت الخيارات الفردية للأشخاص لصالح فرض ثقافي جماعي مزعوم يجيش كل مظهر من مظاهر الحياة الخاصة بالأفراد والجماعة ويؤطره في إطار أيديولوجي هو نفسه مزيف ووظيفته مسح وجوه الأفراد والهيمنة على أفكارهم ومخيلاتهم ويحيلهم إلى قطيع خاضع يسمونه الجماهير، وهو يفعل ذلك بدءا من ملابس الطلبة في المدارس الثانوية التي باتت ذات لون موحد، هو الكاكي، مرورا بكتاب القومية ذي النصوص الفاشية وهو الكتاب الفكري الموحد لجميع الشباب، وفق صيغة لا تعترف بالاختلاف ولا تتيحه، ولا تترك لذات ذاتا مفردة تعتد بخياراتها أو اختلافها. بل إن سبل النجاح للأفراد المنضوين في القطيع إنما تمر من خلال النجاح في الإجابة عن جميع الأسئلة المتعلقة بخطابات "القائد الخالد" ونظرية الحزب و.. و... إلخ. مما سطرته العصبة الحاكمة في حب "الأب القائد" و"الحزب الطليعي".

على خلفية هذه اللوحة، لم تكن المدرسة، مثلا، تحتوي مكتباتها على روايات أو مسرحيات أو مجموعات شعرية، ولم تكن فيها كتب تنتمي إلى عالم الأفكار والنظريات وعلوم الجمال القديمة أو الحديثة، فلا قديم ولا حديث في الفكر إلا "فكر الجماهير" الذي هو في حقيقة الأمر خطاب "الوصايا الخالدة" لـ"الأب القائد" كما ترجمته خطاباته وأقواله وأعماله "العظيمة".

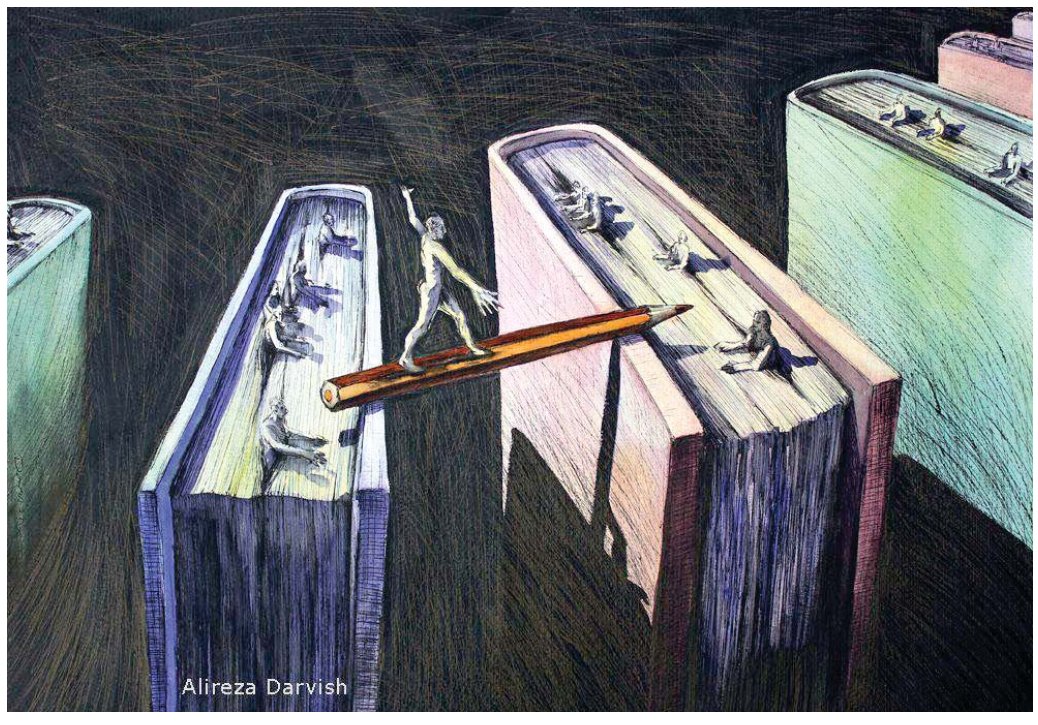

لوحة الفنان رضا درويش

هذه الصورة البائسة للتربية الفكرية والجمالية في ظلال "دولة الأبد" الشمولي لم تترك سوى هامش ضيق، ومساحة ملتبسة لصمت مراوغ تعتصم به الذوات اليافعة الحالمة بالحرية في نيل المعرفة، واكتشاف العالم بعيدا عن "نهر الجنون".

باتت المكتبات البعيدة عن آلة النظام، المشتغلة ليل نهار في حشو رؤوس الشباب بـ"الأفكار الخالدة"، هي الملجأ والملاذ للنذرة من الشباب الذين أفلتوا من "حظيرة القطيع"، وأخذوا يكتشفون، بوسائلهم الخاصة وقدراتهم الذاتية، العالم الفسيح الممتد وراء الأسوار.

أعرف شبابا زاملتهم في سنوات الدراسة لم يفتح واحد منهم كتابا سوى المقرر من كتب الدرس و"كتاب القومية" الإلزامي، ولطالما كان ذلك صادما لي، ومدعاة للأسف، فقد كان بعض من عرفت شبابا أذكياء وموهوبين، ولكنهم كانوا ضحية تلك "الشبكة الجهنمية" التي امتصت أدمغتهم، أو هي أتلفتها تماما، فجعلتهم معرضين عن خزانة المعرفة، وغرباء عن الكتاب.

على خلفية هذه اللوحة الكئيبة، تشكلت دوافعي في البحث عن كتب أخرى، غير تلك المقررة. وتولد لدي نفور مبالغ فيه من أي صيغة للوصول إلى الكتاب لا تأتي عبر بحث شخصي.

***

كانت الكتب بالنسبة إليّ نقيض واقع بائس ومخرجا منه إلى عوالم لا تشبه عالمي الواقعي. فكانت مرة علامات ملهمة على طريق، ومرة مدنا غريبة مدهشة، ومرة أحلاما مبهمة، ومرة أفكارا مضيئة، ومرة نماذج هندسية لخيال أصحابها عن الكون. مغامرات عقلية وروحية، ولغات داخل اللغة توسع من شرايين القارئ، قبل أن تطلق خياله.

والواقع أن تجربتي الشخصية أملت عليّ الإيمان بأننا لا يمكننا أن ننصح أحدا كيف يقرأ، بل من الجرم أن نفعل، فلكل طريقته، في استقبال الأشياء، والإقبال عليها. البعض يوفق بطريقته والبعض الآخر يخفق في العثور على ما يوافقه أو يصبو إليه.

شخصيا، كنت ولا أزال موفقا، غالبا، في طريقتي في اختيار الكتب. فالكتاب غالبا ما لا يأخذ طريقه إلى مكتبتي إلا بعد فحص وتمحيص شديدين. وليسامحني أصحاب الكتب التي أُهديت لي، ولم تصل إلى مكتبتي، فأنا مثلي مثل آخرين أخجل من رفض الهدية. أعترف بأنني، لم أكن صريحا دائما، لذلك أحيانا ما كنت أجد نفسي مضطرا لنزع ورقة من كتاب أهدي لي ليمكنني أن أعرضه على شخص ما موظف في فندق أو نادل مقهى. على أنني، غالبا ما لا أتجنب ذلك، مع بعض المؤلفين، فأوهمهم بأنني حصلت على الكتاب، وأنه من الأفضل الاحتفاظ بالنسخة لقارئ آخر. المسألة ليست شخصية أبدا، فبعض أصحاب تلك الكتب من أحب الناس إليَّ.

> تجربتي الشخصية أملت عليّ الإيمان بأننا لا يمكننا أن ننصح أحدا كيف يقرأ، بل من الجرم أن نفعل، فلكل طريقته، في استقبال الأشياء، والإقبال عليها

العلاقة بالكتب وبالقراءة شغف تحيط به لدى الكتاب طائفة لا تنتهي من الأسئلة، عن موضوعات القراءة، هوية القارئ وسبل القراءة، زمن القراءة، أمكنة القراءة، فضلا عن صيغ القراءة، ومآلاتها، وحالاتها، ومراميها، جملة كبيرة من الأسباب والعناصر التي تتشكل من خلالها شبكة مغرية من الموضوعات المؤسسة لعلاقة القارئ بالكتاب.

بالنسبة إليّ هناك دائما برنامج للقراءة، بوجهيه الثابت والمتغير، يتدخل فيه عنصر الوقت. أخيرا، كم من الكتب تقبع في رفوف مكتبتي وعناوينها المغرية تتقافز أمام عيني، منتظرة تفرغي لها. القارئ الشغوف بالكتب في حرب ضروس مع الزمن.

كل كتاب سفر، والسفر مع الكتب هو أكبر الأسفار.

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

الاحتجاج الجزائري بدأ في ملاعب كرة القدم

العربي رمضاني: كتبت «أناشيد الملح» في رحلة الهروب من الوطن عبر بحار الموت

يستعيد الكاتب والإعلامي العربي رمضاني في هذا اللقاء المغامرة التي خاضها في بحار المتوسط حين قرر الهجرة إلى ما وراء براري الوطن "حرّاقا" هاربا من لظى العيش وبؤس الواقع وحصار الحياة الصعبة التي عاشها كغيره من أترابه حيث لا أفق ولا مستقبل. كما يقول. ولم يكن في علم هذا البحر الهائج أن على ظهره كاتبا لامعا التقط أدق تفاصيل تلك التجربة.

أبوبكر زمال
كاتب جزائري

بعين لاقطة متنبهة دوّن الكاتب العربي رمضاني كل ما مرّ من همس وغبار وحس ونأمة وأنين ينبعث من خيام العزلة التي وضعت في متناول المهاجرين غير الشرعيين من طرف الدول التي استقبلت الجموع الفارة من نار القسوة والجحيم، وقد صدرت هذه التجربة في كتاب عن منشورات المتوسط بعنوان "أناشيد الملح".

رحلة ممتعة ومثيرة جاءت بقلم كاتب جاء من اللاكتابة من بياض الورقة ورسم الأهوال والمصائر التي خفقت في مجهول البحر وعلى قوارب الموت.

هو كاتب من مواليد 1986 بسيدي نعمان من محافظة المدية في الجزائر. حامل شهادة بكالوريوس في الصحافة له مساهمات إعلامية في العديد من الصحف الجزائرية والمواقع، و"أناشيد الملح" هو كتابه الأول.

تكاد تجربة الهجرة غير الشرعية المعروفة اختصارا بـ"الحرّاقة" تجربة خطيرة ومغامرة تلامس الموت أو مات في طريقها المئات بل العشرات ممن ضاقت بهم أوطانهم بسبب قهر المعيشة وضنك الحياة وسياسات الحكّام القامعة والمتسلطة بقوة السلاح والترهيب والتخويف والتخوين، إنها تجربة مع الموت وجها لوجه لا أحد يعرف كي ستنتهي وعلى أيّ برّ سترسو تلك القوارب الهشة التي تمخر مياه البحار الغاضبة أمواجها العاتية.

هذه التجربة خاضها الكاتب والإعلامي العربي رمضاني، وصل إلى بر الأمان بعد رحلة فصّلها في كتابه "أناشيد الملح" إذ يروي فيه أدق التفاصيل التي شكلت لحظات فارقة على تخوم الموت وهو يواجه عواصف مصير غامض ومخيف.

يقول عن هذه التجربة إنها بقيت "حاضرة دوما في وجداني، راسخة بعمق في الذاكرة، أعيش تفاصيلها في حياتي لا تمرّ لحظة إلا وأستحضر هدير البحر ليلا، ملامح المهاجرين خاصة الأطفال منهم، وضحكة رفيق سفر حراك اسمه فارس، وشغب الجزائريين في المخيم ومناوشاتهم التي لا تنتهي مع الشرطة.

العربي رمضاني:
ما كتبته بمثابة شهادة واقعية عن معاناة المهاجرين غير الشرعيين كما تصفهم الحكومات ويصورهم الإعلام

حاضرة أيضاً في نبضات القلب المتسارعة، صوت المهرّب، فتنة ساموس، مطرها، شمسها، خجلها، أماسيها الصاخبة بقوافل السياح من جنسيات عديدة، أسراب النوارس في الميناء، وجنون البحر كلما ابتعدنا عن الساحل، مطر إسطنبول وطقسها المضطرب شتاء، مزيج من مشاعر الخوف والتردد ونفحات أمل ولحظة الوصول إلى ساموس وما رافقها من فرح. لا يمكن أن أتجاوز كل تلك المشاهد والحالات التي مررت بها. أتصور أنها باتت جزءا مهمّا من حياتي، تسكنني كصباحات يمتزج فيها صخب المهاجرين في فندق بإزمير وصوت المارة وهدير البواخر وضجيج السجن وفضاضة رجال الأمن وعزلة المستشفى والمرض المفاجئ، مطعم السيدة الكردية قرب محطة بسمانة، وساموس تطل كل فجر وترسل تحايا عديدة وعتابا طويلا".

تجليات المغامرة

بعد عودته إلى الجزائر قام رمضاني بتدوين ما أمكنه من هذه المغامرة، يقول إنها مكنته من القبض على أقصى "حالات الجنون والتهور. أحيانا يهيأ لي، وأنا بجوار البحر، أنها كانت محاولة انتحار أفشلتها أسباب عديدة أبرزها الإصرار على النجاح رغم كل الظروف الصعبة التي واجهتها في البداية، من عبثية المهربين ورداءة الجو وجنون البحر".

ويعتبر أنها لم تكن سوى "رغبة عارمة في البحث عن حياة كريمة لا أكثر، وأفق مضيء وإثبات للذات. التجربة من بعيد يمكن إيجازها في التضحية من أجل إزاحة ركام الخيبة والفشل والتهميش في الوطن وتعويضه بوطن آخر يحترم آدميتك ويبادلك التحية صباحاً ولا يعتبرك رقماً لا أكثر في قوائم الانتخابات والموتى".

ويشير الكاتب إلى أن أبرز تجليات هذه التجربة كانت في "الصراع الدائم والشرس مع الموت، مع الأمن، مع المهربين، مع البحر، مع المهاجرين أنفسهم، مع الجغرافيا والواقع. صراع مرير بين القلب والعقل، بين مواصلة التجربة على قبحها والتراجع والعودة إلى الوطن، ملمح التجربة الرئيس أنها كانت هروباً لا ينقطع، تتخلله لحظات إنسانية يختلط فيها الفرح والعبث بالحلم والمغامرة والاحتكاك بجنسيات عديدة تحمل نفس همّي، ونتقاسم معا لعنة الأوطان الطاردة لأبنائها الباحثة عن غد هادئ لا مكان فيه للحاضر التعيس والمستقبل المجهول".

تدوين المغامرة

دفعت هذه التجربة الكاتب رمضاني إلى خوض تدوينها فبتشجيع من زملاء يقول فقد "كنت أتواصل كثيرا مع صديقي الإعلامي المعروف سليمان بوصوفة الذي شجعني ودعمني كثيرا، رفقة صديقتي نور المترجمة والمغتربة في باريس، والتي كانت أيضاً على علم بتفاصيل الرحلة وأخطارها ومراحلها، وكلاهما كان يصر على تدوين ما عشت هناك، وتعززت فكرة الكتابة أكثر بعد عودتي من اليونان إلى الجزائر حين اقترح الكاتب والروائي سعيد خطيبي جمع شهاداتي عن 'الحرڤة' ونشرها في حلقات عبر مجلة إلكترونية، كانت أول من قدم تجربتي إلى القراء وتفاعلوا معها كثيرا وطلبوا نشر مزيد من التفاصيل التي صدمتهم، خاصة وأن معظم 'الحرّاقة' الناجين منهم لا يكتبون تفاصيل تجاربهم ويتفرغون للبحث عن ذواتهم في البلدان التي نجحوا في الوصول إليها ولا يختلفون في ذلك عن الضحايا الذين يبتلعهم البحر وتدهسهم القطارات ويقتلهم حرس الحدود".

ويضيف الكاتب "أردت الكتابة عن تجربتي رفقة بقية المهاجرين الذين صادفت حتى لا تغدو 'الحرڤة' مجرد ظاهرة تتعرض للتعتيم وتختزل فقط في أرقام من ألقي عليهم القبض في السواحل وهم يحاولون الهرب أو أرقام الضحايا سواء في البحر أو البر، وهذا طمس أتصور أنه متعمد للتهوين من الظاهرة وتجاهل أسبابها الحقيقية التي يتداخل فيها السياسي والاقتصادي والاجتماعي واختلالات النظام الدولي وجدلية المركز والأطراف".

أحلام الهجرة

يعتبر رمضاني أن "حلم الهجرة حق مشروع لكل إنسان يرغب في اكتشاف العالم والبحث عن حياة أفضل أو اكتساب معارف والاحتكاك بالثقافات الأخرى.

الذي يحدث أن الهجرة القانونية خاصة في العقود الأخيرة لم تعد متاحة للجميع وصارت انتقائية جدا ولا تتاح إلا لفئة بعينها خاصة المسؤولون الكبار في الدول ورجال الأعمال وحملة الشهادات وفي تخصصات بعينها، أما باقي الفئات ففرصها في الحصول على تأشيرة شبه معدومة فضلا عن البيروقراطية والإجراءات الصعبة في تقديم التأشيرات والرسوم المكلفة ماديا وما يحيطها من عمليات فساد وتربّح وكلها معروفة وتتحدث عنها الصحافة.

الحرمان من التأشيرات خاصة للفئات المهمشة والبطالين واحدة من الأسباب التي تدفع الشباب لركوب البحر والمخاطرة بأرواحهم للوصول إلى الضفة الأخرى، ثم إن الهجرة تاريخيا كانت جزءا من سلوك الجزائري وعلاقته عميقة مع البحر، سواء في الحروب والقرصنة أو في الهجرات الجماعية بسبب الاستعمار".

الكاتب في مواجهة البحر ومغامرة العبور إلى الضفة الأخرى

يعتقد رمضاني أن الحراك لم يتبلور نتيجة خطاب نخبوي أو دور واضح للمثقف، بل ظلت بوادره محصورة في مئات الاحتجاجات الاجتماعية التي شهدتها مختلف القطاعات من دون إغفال صيحات وأهازيج أنصار كرة القدم في المدرجات

ويشير الكاتب إلى أن "ما كتبته بمثابة شهادة واقعية وحقيقية عن معاناة المهاجرين غير الشرعيين كما تصفهم الحكومات والإعلام، فضلا عن كون الكتاب تقرير يدين أنظمة الفساد والكتابة وتفضيله المشافهة على الكتابة ربما لكون الجزائري مكتف بنفسه لديه تمركز حول الذات ولا ينزع للحوار مع غيره وكل هذا نتيجة طبيعية لعقود من العزلة خاصة في فترة العشرية الدامية وما تركته من ندوب في الذاكرة وصور نمطية عديدة خلّفت حاجزا بين الجزائري والعالم".

الحراك والأمنيات

ينظر رمضاني إلى "الحراك الشعبي كأعظم لحظة تاريخية في الجزائر، بعد ثورة الفاتح من نوفمبر، رغم اختلاف السياقات، الحراك من وجهة نظر شخصية تفجير لتراكمات عديدة من الخيبة والغضب والاحتقان الشعبي ضد نظام ريعي فاسد ومستبد، انغلق على نفسه كثيرا، وبالغ في احتقار الشعب وتبديد المال العام وخنق الحريات والتلاعب بالهوية والمزايدة بالورقة الأمنية حد تخويف الناس من الآتي وتذكيرهم بالعشرية الدامية إن هم فكروا في التمرد على حكمه المسيّج بشرعية ثورية مستهلكة وسرديات بالية لم تعد تقنع أحدا".

من هنا يعتقد رمضاني أن الحراك "لم يتبلور نتيجة لخطاب نخبوي أو دور واضح للمثقف، بل ظلت بوادره محصورة في مئات الاحتجاجات الاجتماعية التي شهدتها مختلف القطاعات دون إغفال صيحات وأهازيج أنصار كرة القدم في المدرجات التي كانت تعبر عن حالات الرفض الشعبي للسلطة".

يعتبر رمضاني أن حلم الهجرة حق مشروع لكل إنسان يرغب في اكتشاف العالم والبحث عن حياة أفضل أو اكتساب معارف والاحتكاك بالثقافات الأخرى

وفي رأيه أن "المثقف تحرر بفضل الحراك ولو ظرفيا وتبنى مطالب الشعب في الأسابيع الأولى للانتفاضة، لكن الذي حدث أنه مع مرور الوقت أصبح لدينا مثقف منحاز تماماً لحق الشعب في عهد جديد قائم على الحريات والديمقراطية، ومثقف آخر اقتنع بالتغيير الذي استهدف واجهة النظام وأبقى على بنيته التي يستهدفها الحراك من أجل إحداث قطيعة شاملة.

هذا التناقض بين المثقفين يعكس مأساة حقيقية ووجودية تعيشها الجزائر منذ الاستقلال، بين مثقف عضوي يؤمن بالقطيعة ويمارس نقداً فاضحاً لنظام الحكم، ومثقف آخر لا يجد حرجا في لعب دور الموظف في ديوان النظام والتماهي مع أساليبه في تسيير الشأن العام بعبثية ورداءة لا يمكن طمسها، ولا تزال مستمرة إلى الآن رغم استمرار الحراك ولجوء السلطة للتضييق والقمع والاعتقالات التعسفية وإصرارها على نتائج انتخابات تعيد رسكلة نظام الحكم بنفس الممارسات السابقة التي ثار ضدها ملايين الجزائريين منذ 22 فيفري".

وختم قوله إن "المثقف الانتهازي غيّر بوصلته واختار مسايرة مشاريع السلطة في تجديد نفسها متجاهلا إصرار الشعب على التغيير منساقا خلف مصالحه الضيقة"، لكن المثقفين الأحرار في أفكارهم وسلوكهم مازالوا مصرّين مع الشارع على التغيير.

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

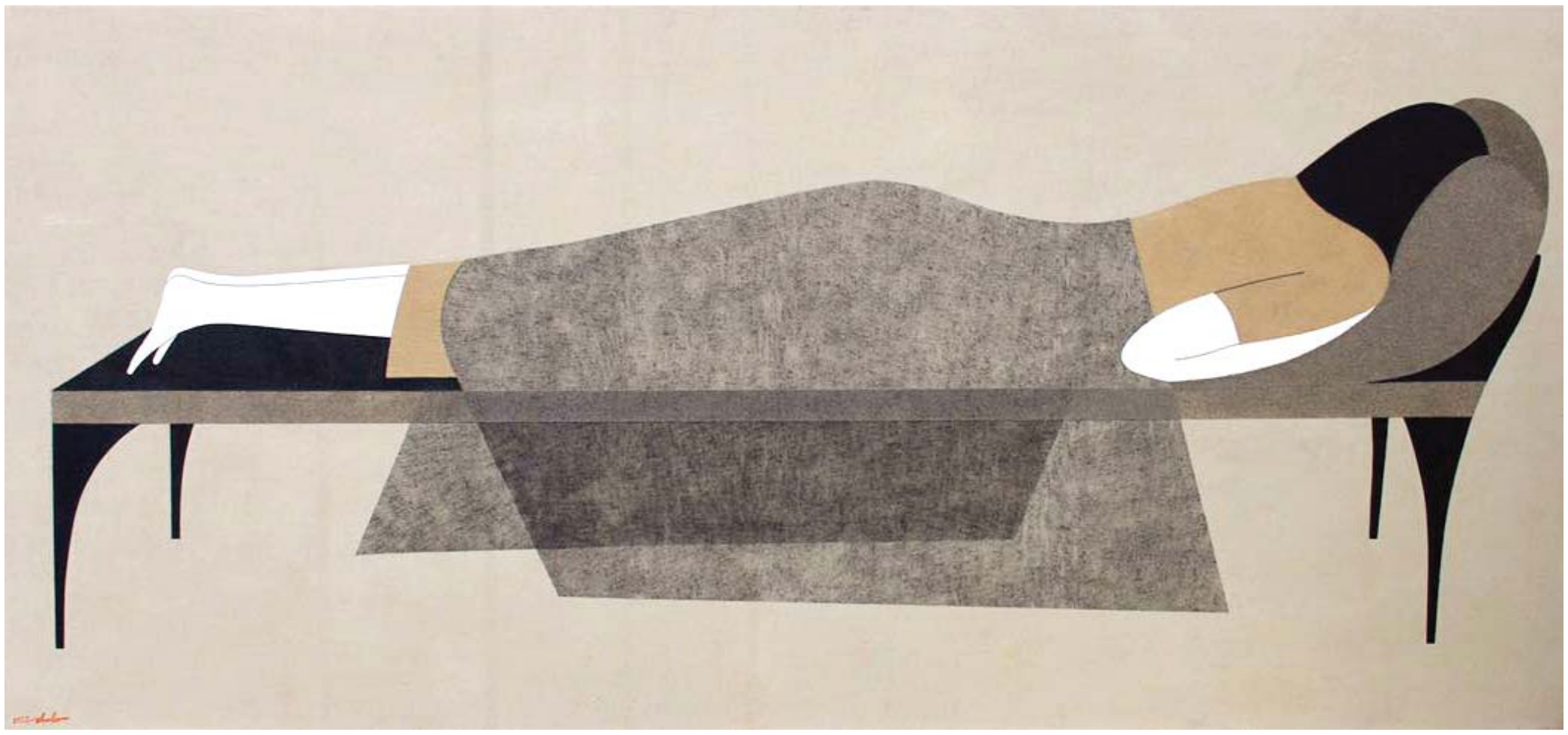

اللوحة للفنانة سعاد عبدالله

التحليل النفسي للأدب.. والقراءة بكامل اللاوعي!

الناقد المغربي حسن المودن يبحث في معنى أن تكون ناقدا نفسيا اليوم

ما زال الاهتمام بالعلاقة الإشكاليّة بين الأدب والتحليل النفسي، في عالمنا العربي خجولا، كما أنّ دراسته لا تحظى بالاهتمام على مستوى المحللين النفسيين وأيضا نقّاد الأدب، وإن جاءت فهي محاولات فرديّة، لا تعكس روح الفريق الذي تتطلّبه مثل هذه الدراسات عكس صورتها في الغرب، حيث أخذت العلاقة سمتا جديدا فارق محاولات التأسيس الأولى، إلى آفاق رحبة، قامت باستبدال مواقع طرفي العلاقة وجعل الأدب هو الذي يدرس التحليل النفسي، خاصة بعد جهود الناقد النفسي الفرنسي جان بيلمان نويل، والتي تبلورت في إقصاء المؤلف والتركيز على النّص نفسه، وهو ما تطوّر لاحقا في دراسات الناقد الفرنسي بيير بيار وطرحه لنسق جديد تحت مسمى المحكى النظري، خاصّة في دراساته عن الرّواية البوليسيّة، التي جعلت من المحلل النفسي أشبه بالمحقّق البوليسي، ساعيا لا لكشف الاسم الحقيقي للقاتل، وإنما للتحريض على التفكير من جديد في عمل المؤوِّل أو القارئ وطريقة اشتغاله، فيقوم بتحقيق مضاد، واضعا قاعدة عنوانها "التأويل باعتباره هذيانا".

ممدوح فراج النابي
كاتب مصري

التغيّرات التي حلّت على العلاقة الإشكالية بين الأدب والتحليل النفسي، يرصدها الأكاديمي المغربي حسن المودن في كتابه الذي صدر مؤخرا مع منشورات الدوحة بعنوان "ما معنى أن تكون ناقدا نفسيا اليوم؟ الأدب والتحليل النفسي" فيستعرض لجهود المحللين النفسيين بدءا من فرويد وصولا إلى بيير بيّار وجهوده، في تطبيق الأدب على التحليل النفسي، وتوظيف السخرية والمفارقة لصالح تحليل أدبي متجدّد.

> يسعى الكاتب إلى اكتشاف الإمكانات النظرية التي يمكن أن توجد في فعل الكتابة نفسه، بابتكار «المحلّل القارئ» بديلا عن «المحلل النفساني»، حيث المحلل القارئ، هو الذي يجعل من القراءة المنطلق لا المنتهى

وهو بهذا يسعى إلى اكتشاف الإمكانات النظرية التي يمكن أن توجد في فعل الكتابة نفسه، بابتكار "المحلّل القارئ" بديلا عن "المحلل النفساني"، حيث المحلل القارئ، هو الذي يجعل من القراءة المنطلق لا المنتهى، ويجدد معرفته الأدبية والنفسانية، انطلاقا من قراءاته المتواصلة، بالشكل الذي يخلق باستمرار حوارا داخليا بين الأدب والتحليل النفسي، بين النص والمنهج والنظريّة من أجل فهم متجدّد للإنسان، ولغته وأدبه. وهو ما يقودنا إلى أن نعيد بلذة جديدة اكتشاف النصوص الكبرى، كهوميروس وسوفوكل وشكسبير وموباسان، وغيرهم، كي نكتشف فيها حقيقة غير التي ادّعاها السابقون.

مراجعة المسلّمات

في محاولة للإجابة عن تساؤل يفتتح به المؤلف كتابه مفاده: هل التصورات التي حدّدها سيغموند فرويد من قبل، وأكدّها المعلم الثاني للتحليل النفسي جاك لاكان، قابلة للتطبيق على النصوص الإبداعية الآن؟ يعود بنا حسن المودن إلى البدايات إلى أواخر القرن التاسع عشر، حيث تشكّلت هذه العلاقة الإشكاليّة بين الأدب والتحليل النفسي عبر تصورات فرويد. ويرى أن هذه العلاقة على امتداد أكثر من مئة عام شهدت "تطورات مهمّة وتحولات نوعيّة" بل وولّدت أسئلة وإشكالات جديدة بين طرفي تلك العلاقة. انتهتْ فيما انتهت إليه إلى السؤال الذي اتّخذه عنوانا للكتاب.

وقد اعتبر هذا السؤال بمثابة نافذة يعود بها إلى الماضي بغية إعادة قراءة تاريخ العلاقة بين الطرفين (الأدب والتحليل النفسي) وهو ما يعني - في المقام الأوّل - إعادة مراجعة لحدود العلاقة حيث لم يعد مقنعا "أن يخضع الأدب لمسلّمات التحليل النفسي وتمريناته التي أصابها الجمود والإفلاس" دون مراجعة أو المساهمة في بناء تصورات نفسانية جديدة للإنسان ولغته وأدبه.

ولهذا يقر بضرورة الرجوع إلى فرويد، باعتباره مؤسّس التحليل النفسي، ولما قام به من أدوار في تخصيب هذه العلاقة بين التحليل النفسي والأدب. وبالمثل إلى جاك لاكان باعتباره المعلّم الثاني للتحليل النفسي، حيث أعاد قراءة فرويد في ضوء العلوم المعاصرة واللسانيات السويسرية، وما أحدثته من تحوّل نوعي في مسار العلاقة بين الجانبيْن. فالتحليل النفسي الفرويدي أسّس شبكة من الروابط والعلائق بين اللاوعي واللغة، لكن في جهل تام باللسانيات، وهو ما استدركه جاك لاكان في ما بعد، الذي عمل على أن يكون التحليل النفسي تابعا للسانيات، بعدما لم يتحقّق اللقاء بين فرويد ودو سوسير. مع التأكيد على أن علم التحليل النفسي لم ينظر إلى اللغة كنظرة دو سوسير، أي علامة لها مدلول ثابت، فاللغة عند لاكان ليست نسقا من العلامات، بل هي نسق من الدّوال.

كما أنّ العلاقة بين الأدب والتحليل النفسي واللسانيات، فعلى مستوى الطرف الأول والثاني فليس التحليل النفسي هو الذي يضيء الأدب، بل على الأدب أن يضيء التحليل النفسي. وعلى مستوى العلاقة بينهما وبين اللسانيات، فإن التحليل النفسي والأدب لا يقنعان بأن يتحولا إلى مجرد أمثلة من اللغة المستعملة، تعمل اللسانيات على توضيحها وإضاءتها، بل يكتشفان بعدا في اللغة يصمد أمام المعرفة اللسانية. وبذلك تكون أفعال اللغة لا تحيل على دلالات بل إنها تحدّد علامات، والعلامة لها تحديد خاص، يسميه فرويد "التحديد المتعدّد".

ويتطرق - في استعراض لتاريخ العلاقة بين الطرفين الأدب والتحليل النفسي - إلى رؤية رولان بارت، ويفترض أن ثمة علاقة وثيقة بين أعمال بارت والتحليل النفسي، ولكن مع الأسف طالها الإهمال، ومرجع هذا الإهمال عنده، إلى موقف بارت السّجالي من أيديولوجية التحليل النفسي، ومع هذه المسافة التي وضعها إلا أنّها لم تمنعه من استخدام مفاهيم التحليل النفسي، ومرجعياته؛ النظرية والتطبيقية، خاصّة في دراسته عن راسين، حيث استعان بمجموعة من الموضوعات والمفهومات النفسانية (الإيروس، الاضطراب، المشهد الإيروسي، العلاقة، العدوانية، الانقسام، الأب..) وصولا إلى مؤلفه "لذة النص".

بل يمكن كما يقول حسن المودن، اعتبار مؤلفات بارت الإبداعية مثل: "رولان بارت بقلم رولان بارت"، و"شذرات من خطاب عاشق" كتابات تمارس التحليل النفسي، تحت مسمى "التحليل الذاتي" حتى وإن عبّر عنها بموقف ضدّ، فهو أشبه بالبطل الإغريقي "أورفيوس" يعود إلى ما يحبُّ لكنه يغادره من دون أن ترافقه حبيبته. فهو يعود إلى التحليل النفسي، لكنه يغادره بخطاب تحليلي آخر على الذي رجع إليه. فما فعله بارت في دراسته عن راسين، كان بمثابة تدشينا لمرحلة جديدة في التحليل النفسي، تجعل من مؤلف النص بعيدا عن اللعبة، وهو ظهر بوضوح في مقاربات الناقد الفرنسي جان بيلمان نويل، حيث سمّى مقارباته بالتحليل النصي، وهي مقاربة تدرس لاوعي النص بعيدا عن المؤلف المبدع ولاوعيه، منطلقا من مقاربة مفادها "أن لكلّ نص لاوعيه"، بمعنى أن يكون كلّ نص معمولا بخطاب لاواع. فقد أخذ مسافة عن محاولاته السابقة التي كانت تظهر فيها صرامة تمسكه بالتصور البنيوي للنص الأدبي وبالتحليل النفسي عند جاك لاكان. وبذلك تحرر النقد النفسي على يديه من تلك القيود التي كانت تعتبر النص مجرد وسيلة لتحليل لاوعي المؤلف، والكشف عن عقده ومكبوتاته وصدماته وهواجسه، إلى أن يصل إلى إعطاء القارئ استقلاله.

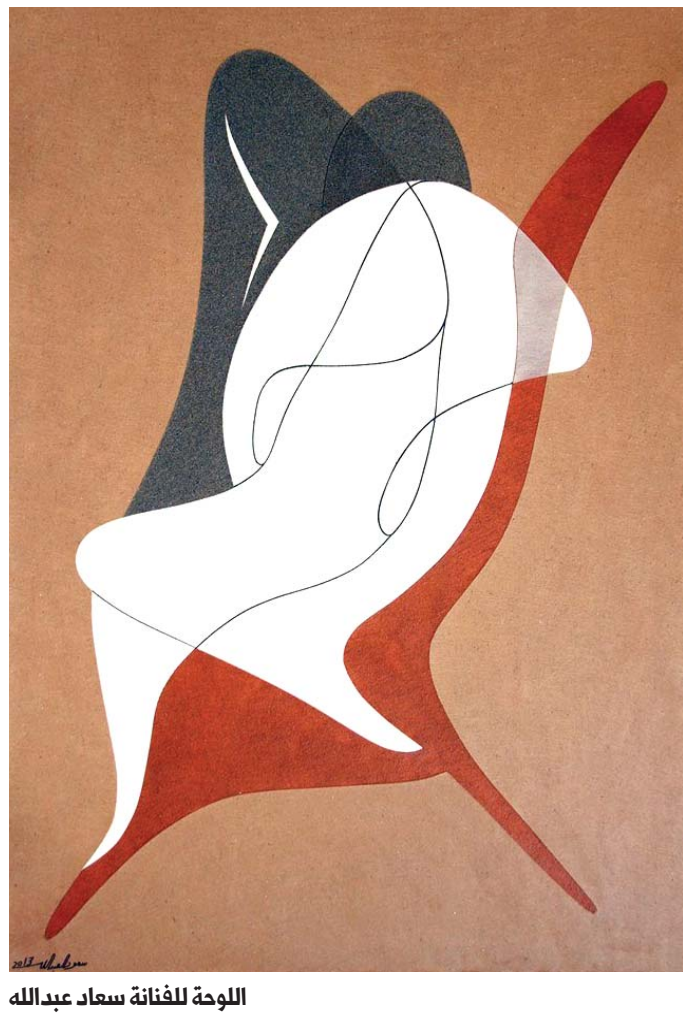

اللوحة للفنانة سعاد عبدالله

بورخيس يعيد فرويد

وعن علاقة بورخيس بفرويد، خاصة في ظل سخرية بورخيس واعتباره التحليل النفسي نوعا من الفنتازيا، ونوعا من الصبيانية، وكذلك انمحاء أثر فرويد في نصوص بورخيس القصصيّة، يقول المودن إنه يمكننا أن نفترض أن بورخيس كان يجهل التحليل النفسي الفرويدي، لكن الحقيقة عكس هذا، فبورخيس لم يجهله، بل كان يعيد كتابته بالمعنى البورخيسي نفسه، يعيد قراءته ومساءلته وربما تقويمه وتطويره، وهذا التصوّر عكس ما قيل عن العلاقة الظاهرية بينهما. على نحو ما كان بين رولان بارت وفرويد، وظهرت تحليلات وموضوعات فرويد في نصوص بارت.

فمع أنه يرفض تطبيق التحليل النفسي على الأدب، إلّا أنّه في الوقت نفسه يفضل تطبيق الأدب على التحليل النفسي. لأن الأدب هو الذي يتجدّد باستمرار. وهو الأقدر على تجديد أسئلة التحليل النفسي ومفهوماته وتصوراته حول الإنسان ولغته وأدبه. وهو ما ارتبط عنده بمفهوم جديد للكتابة يأخذ من الواقع، إلّا أنه يحلّق في فضاءات الخيال والرمز والغرابة واللامعقول. إضافة إلى أنه في نصوصه التخييليّة كان ينتصر للتحليل النفسي وكان يتبنى السؤال الفرويدي بشكل من الأشكال ولكن من مرجعيات أخرى؛ أدبية، ثقافية فكرية وفلسفية.

ينتهي إلى أن الدور الذي قدمه التحليل النفسي على مدار قرن كامل مهمّ، حيث سمح بمنح النصوص الأدبيّة بعدا آخر، وكذلك فقد ساهم هذا على الجانب الموازي في تدشين آفاق جديدة للقراءة. وهو ما أعاد النظر في المسلمات القديمة، وقلب الأدوار، وبذلك صار الأدب لا التحليل النفسي هو المصدر الأساسي للتنظيرات والتصوّرات النفسانيّة. فتطبيق الأدب على التحليل النفسي لا العكس، هو الطريق المثمر الناجع، لأن التحليل النفسي كسلان سرعان ما يركن إلى مسلماته في حين نجد الأدب هو الذي يبقى حيا متواصلا لا نهائيا، وأن الهزّة المطلوبة في القارئ لا تتحقّق إلا إذا استوعب أن الكتابة "لا تنتهي إلى يقين". وبذلك تكون قيمة الكتابة الأدبية القصصية (تحديدا) تكمن في الذّات كما لاحظ بيير بيار، وفي "اللابتيّة" أي أن الأدب لا يَبُتُّ في أمر ولا يحسم ويترك الأمر داخل نوع من الغموض والالتباس والتردّد والحيرة، فالأمر ممكن وغير ممكن في الوقت نفسه.

> يقر الكاتب بضرورة الرجوع إلى فرويد، باعتباره مؤسّس التحليل النفسي، ولما قام به من أدوار في تخصيب هذه العلاقة بين التحليل النفسي والأدب

وكل هذا يشير إلى إمكانية تصور نفساني مغاير لما اقترحه فرويد. وهو ما ينسحب إلى مساءلة طبيعة اللغة النقدية؟ هل هي مجرد لغة واصفة خالصة تدعي العلميّة والموضوعيّة، أم أنها لغة تستمد قوتها من الجمع بين التنظير والتخييل، بين الأدبي والعلمي. وإن كان في الأخير لا ينفي غياب فرويد، فهو يحيا في الفضاء الحميمي للكلمات في سحرها وأصواتها وصورها. فأعماله في مجموعها لا تشكّل إلا مؤلفا روائيا ضخما. كما أنّه تحوّل في السنوات الأخيرة إلى شخصية من شخصيات التخييل الأدبي.

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

غرافيتي ضوئي يحيل جدران القاهرة إلى مهرجان بصري

الفنان الإيطالي كارمينيه كارتولانو: الواقع يمكن أن يصبح أفضل والمفتاح هو الإنسان

اختتم الفنان الإيطالي كارمينيه كارتولانو قبل أيام، معرضا غرافيتيا متخيلا لفنانين كلاسيكيين عالميين ومصريين في شوارع القاهرة، بعث من خلاله رسائل عدة عبر توظيف غير شائع للمخيلة، فيما لا يزال المعرض قابلا للتطوير في مشاريع أخرى بعرضه في كتاب أو نقله إلى الشارع.

رحاب عليوة
كاتبة مصرية

استوقفت صور لواجهة بنايات في منطقة وسط القاهرة مرسوم عليها غرافيتي لفنانين من هوليوود نشطاء على موقع فيسبوك. البعض تساءل عن عناوينها بالضبط لقصدها والتقاط صور إلى جوارها، وآخرون تعرفوا على الأماكن بمفردهم وعلقوا على ما اعتبروه "زيف الصور"، أحدهم دوّن على صفحته "كنت في جوار ذلك الحائط حالا هو كما هو".

بالفعل لم تكن الصور مرسومة على واجهات البنايات القديمة الباهتة، بل صنعتها مخيلة الفنان الإيطالي كارمينيه كارتولانو، ليُطرح سؤال على نحو غير مباشر: ماذا لو كانت تلك الصور موجودة؟ ماذا لو وُظفت لمسات بسيطة لإضفاء حيوية وحياة ومعان تكسر صمت الجدران، والحالة في القاهرة، خصوصا أن بقاء الواجهات صماء باهتة كئيبة عادة لا تعرفها المدن الإيطالية.

تعمق ذلك التساؤل في وجدان الإيطالي الذي يقيم في القاهرة منذ سنوات، حتى قرر التوسع في فكرته وتنظيم معرض لها، وأراد بها تجسيد الحالة المتناقضة للقاهرة، والتي يقول عنها لـ"العرب"، "أحب القاهرة جدا، هي مختلفة وتحمل الشيء ونقيضه في آن، أهلها يلقون المزاح على مصائبهم، يضحكون وهم يبكون، حتى الزحام والجدران الباهتة تتناقض مع تاريخها القديم وذهنيتها. القاهرة حالة من نوع خاص".

قصد كارمينيه في البداية وضع صور كلاسيكية لنجوم هوليوود وجدها بالمصادفة من مجلة اقتناها من سور الأزبكية (مخصص لبيع الكتب القديمة)، وبها يعكس القاهرة وهي لا تحمل بصمة عالمية في صناعة السينما، كساحة للاحتفاء والتكريم والصلة مع النجوم الكلاسيكيين للسينما العالمية.

وأوضح أنه رأى بسطاء قاهريين يسعون خلف لقمة عيشهم، في إطار واحد مع نجوم هوليوود وهو وجه آخر للتناقض، يعمق الحالة، ويتجاوز خصوصيتها القاهرية للتماثل مع مدن عدة.

الصورة تحتضن الواقع

في إحدى الصور، وهي لرجل يعمل في جمع القمامة استلقى على ظهر أحد صناديقها الكبيرة في غفوة قصيرة للراحة من عناء اليوم، وضع كارمينيه صورة النجمة العالمية كاثرين هيبورن ويدها تبدو كما لو كانت تحتضن ذلك العامل البسيط وكأنها تخفف عنه عناء اليوم.

وأشار كارمينه لـ"العرب"، إلى أن كافة الصور التي وظفها في المعرض التقطها بنفسه، بهاتفه الخاص على نحو عفوي، لتأبيد مشاهد معينة تلفت انتباهه، في ظل رغبته في حفظ روح القاهرة على مدار سنوات، ولم تكن فكرة المعرض جالت بذهنه وقتها.

مثل رحيل الفنان المصري عزت أبوعوف، مطلع يوليو الماضي، نقطة تحول في مشروع كارمينيه، وبوابة لتضمين النجوم المصريين في المشروع، حيث صمم الفنان الإيطالي غرافيتي له في جانب أحد الجدران، فقفز التفاعل أضعافا مع الفكرة.

قال كارمينيه لـ"العرب"، "صورة أبوعوف علمتني درسين، الأول عمق علاقة المصريين بالدين، حيث بدأ التفاعل بهجوم حاد على الصورة، لأنني وضعتها سهوا في البداية على جدار مسجد، ما دفعني لتغيير موضعها، والثاني هو الارتباط العاطفي الشديد لدى المصريين مع نجومهم السينمائيين وحنينهم إليهم".

صورة جديدة

ووفق ذلك، تزاملت سيدة الغناء العربي أم كلثوم، وسندريلا الشاشة سعاد حسني، والدونجوان رشدي أباظة، وسيدة الشاشة فاتن حمامة والنجم العالمي عمر الشريف والنجمان نور الشريف وبوسي، مع نجوم هوليوود في رسم صورة جديدة للقاهرة داخل مخيلة الإيطالي. نال المعرض الذي استمر على مدار نحو أسبوعين في غاليري المشربية في منطقة وسط القاهرة إعجاب رواده، وبعضهم من فناني الغرافيتي الذين أعربوا عن استعدادهم لمعاونة الإيطالي في تحويل تلك الصور إلى حقيقة.

سيدة الغناء العربي أم كلثوم

> الهدف الفلسفي للفنان تحقق بالفعل ورسالته وصلت بغرافيتي متخيل، مفادها أن الواقع يمكن أن يصبح أفضل مما هو عليه، والمفتاح دائما هو الإنسان

وفق الحالة البيروقراطية التي تحكم القاهرة، قد لا يكون الأمر يسيرا وقد يتطلب تصريحات معينة، وتسهيلات لتزيين جدران القاهرة الصماء.

> انتقل الفنان إلى القاهرة لاعتباره أن مصر هي الحالة العربية الأكثر زخما ثقافيا ومجتمعيا، وأطلق معرضين من قبل، وألف عدة كتب وترجم أخرى

وسبق أن زين عدد من طلاب كلية التربية الفنية جدران ميدان العباسية في القاهرة برسومات تشكيلية أضافت بهجة وروحا على المكان، وكانت مركزا لالتقاط الصور فيها، بمعاونة إدارة الحي.

تمنى الفنان الإيطالي في حواره مع "العرب"، أن يشهد مشروعه التحقق على الأرض، لكن ذلك ليس هدفه في ذاته، فهدفه الفلسفي تحقق بالفعل ورسالته وصلت بغرافيتي متخيل، مفادها "الواقع يمكن أن يصبح أفضل مما هو عليه، والمفتاح دائما هو الإنسان".

اختار كارمينيه لوحة رومانسية حالمة لفاتن حمامة وعمر الشريف تخيلها على جدران مجمع التحرير في ميدان التحرير الشهير بوسط القاهرة، ليعتبرها الأقرب إلى قلبه، قائلا "أتمنى أن يجسدها يوما ولو ضوئيا".

الرسالة تسبق الصورة

اختيار الصورة حمل دلالات إضافية على تأثير الخبرات الشخصية والتجارب في الاختيارات البشرية، فمن بين كافة المناطق التي جسدها كارمينيه في معرضه يعد مجمع التحرير الأثقل على نفسه.

ولفت لـ"العرب"، "أحضر إلى المجمع لتخليص أوراق رسمية خاصة بجواز السفر من وقت إلى آخر، رحلتي فيه ثقيلة ومرهقة عادة، ككل من يأتون إلى هنا. ذات ليلة ممطرة مررت بجانب المجمع ووجدت مشهدا بديعا، حيث انعكاس الأضواء في مياه المطر، التقطت الصورة ورحلت، ووظفتها لاحقا لأزيل كل ذاكرة ثقيلة عن المكان، وأذيب البيروقراطية في أجواء رومانسية حالمة".

عمل يرصد التناقضات في القاهرة

ونجح الإيطالي رغم أنه لم يدرس الفن، في تصميم الصور لتبدو كما لو كانت طبيعية وموجودة بالفعل منذ سنوات حتى نالتها تغيرات الزمن، مثلا تعمد ترك بعد الملصقات الانتخابية على الغرافيتي، وكذلك تغير لون الحائط، وزوال قشرته الخارجية.

كما نجح في توصيل رسائل عدة، فالرسالة عنده سبقت شخصية النجم السينمائي، حيث كان يضع تصورا لشكل الصورة التي يريدها ثم يبحث عنها، فمثلا صورة الفنان رشدي أباظة المفرغة من منطقة الصدر، صممها وهو يشعر بضيق، فأراد أن يعكس معنى زوال الهموم والانشراح بتلك الشرفة في المنتصف.

أما اختياره الأبيض والأسود فقال لإنه كان مقصودا أيضا، تمجيدا لتلك الحقبة الذهبية في تاريخ السينما العالمية والمجتمع، وتجسيدا لموجات الحنين إلى الماضي، من جهة، ومن جهة أخرى للبرهنة على أن الألوان ليست شرطا لتحقيق البهجة.

درس كارمينيه اللغة العربية في جامعة نابولي، ومن بين 8 طلاب آخرين لم يكمل الدراسة سواه، ثم بات مدرسا في الجامعة، وانتقل إلى القاهرة على اعتبار مصر الحالة العربية الأكثر زخما ثقافيا ومجتمعيا، وأطلق معرضين من قبل، وألف عدة كتب وعمل على ترجمة أخرى.

تفاعل الجمهور مع المعرض

غرافيتي يزيل بيروقراطية مجمع التحرير في أجواء حالمة

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

نساء يواجهن الهيمنة الذكورية بعيدا عن الوسائط التقليدية

فنانات يلذن بالخيال وأخريات تكسرت مواهبهن على جدار الأعراف والتقاليد

تريسي أمين.. من أجلك أنام هنا

بقيت النساء منفيات من مملكة الفن، الذي بقي تابعا للكنيسة وسلطة رجال الدين، من مطلع القرن الرابع الميلادي وصولا إلى عصر النهضة. وإن كان وصول الأميركية، ماري كاسات، التي عرضت أعمالها إلى جانب أعمال الانطباعيين، قد كسر القاعدة، إلا أنه لم ينه هيمنة الذكور، التي استمرت إلى ظهور الموجة الأولى من النسوية، مع فنانات تبنين فلسفة الحركة، وأعلنّ ثورة فنية بقيت المرأة العربية خارجها، باستثناء حالات فردية لا يقاس عليها.

علي قاسم
كاتب سوري مقيم في تونس

عندما اختارت الأديبة والشاعرة البريطانية، ماري آن إيفانس، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، لنفسها اسما ذكوريا لنشر أعمالها، كانت محقة، في عصر اعتاد أن ينظر إلى النساء نظرة دونية، وحيث تعاطي الثقافة والفكر والفن مقصور على الرجال.

جورج اليوت، هذا هو الاسم الذي تخفت خلفه الكاتبة التي احتفلت بريطانيا مؤخرا بالذكرى الـ200 لولادتها، وخلال هذه الفترة التي امتدت على مدى قرنين، استطاعت المرأة أن تكسر هيمنة الذكور في الأدب والشعر، وإلى حد ما في الموسيقى، والرياضة، والمسرح. الأمر الذي لم يحدث سابقا في عالم الفنون التشكيلية، خاصة الرسم والنحت.

كان على المرأة أن تنتظر إلى نهاية القرن التاسع عشر، قبل أن تقدم نموذجا متواضعا لكسر الهيمنة الذكورية في الفن التشكيلي، ترافق مع ظهور بدايات الحركة النسوية، كحركة سياسية تدافع عن حقوق المرأة ضد الهيمنة الذكورية، التي حالت دون ممارسة المرأة لحقوقها الاجتماعية والسياسية، ثم تطورت في القرن العشرين لتشمل الأدب والثقافة والفن.

ما بدأته الفنانة الأميركية ماري كاسات، التي أصبحت أول امرأة تعرض أعمالها في معرض جماعي لفنانين انطباعيين عام 1874، يعتبر نقلة ثورية وفاتحة للفن النسوي، رغم تواضعه. درست كاسات في أكاديمية بنسلفانيا للفنون، ولم تنتم إلى تيار فني معين، لكنها اهتمت بتجريب أساليب متعددة، وتأثرت بالفنان الياباني أوتامارو، خاصة التي تناولت فيها العلاقة الحميمة بين الأم وأطفالها، واهتمت بتصوير الحياة اليومية البسيطة للنساء في القرن التاسع العشر.

خلال 150 عاما تقريبا لم تحقق المرأة الكثير من الإنجازات في الساحة التشكيلية حيث إذا أقصيت من العروض الفنية الكبرى

الجانب الثوري الوحيد في أعمالها، تمثل في كسرها للتابو، واختراقها عالما كان حتى تلك اللحظة مقصورا على الرجال.

ومن عام 1874 وحتى هذا اليوم، أي خلال 150 عاما تقريبا، لم تحقق المرأة الكثير من الإنجازات في الساحة التشكيلية، حيث أقصيت النساء عن العروض الفنية الكبرى، التي ظلت حكرا على الرجال، لهذا بحثت المرأة عن أماكن بديلة تعرض فيها أعمالها، التي ابتكرت لها خامات جديدة، بعيدا عن الوسائط التقليدية من نحت ورسم.

وكانت الألمانية ميريت أوبنهايم، التي برز اسمها في النصف الأول من القرن العشرين، رائدة في هذا المجال، الذي شهد استخدام الفيديو والوسائط المتعددة.

ورغم تأثر أوبنهايم في بداياتها الفنية بأعمال السرياليين والدادائيين، الذين خالطتهم، سرعان ما شقت لنفسها طريقا بعيدا عنهم، أثبتت من خلاله تفردها.

كان على المرأة أن تنتظر إلى نهاية القرن التاسع عشر قبل أن تقدم نموذجا متواضعا لكسر الهيمنة الذكورية على الفن التشكيلي

ووجدت النساء في عملها التركيبي المعنون "ممرضتي"، ثغرة كسرن من خلالها العزلة التي فرضها عليهن الرجال. ويمثل العمل حذاء، عُرض بشكل يوحي بجسد المرأة، وزينت الأطراف بإضافات تستعمل عادة عند تقديم الدجاج المشوي، في إدانة واضحة لمجتمعات حولت المرأة إلى سلعة ومتعة جنسية.

بعيدا عن الوسائط المتعددة وأعمال التركيب، فشلت النساء في فرض وجودهن على الساحة الفنية، ورغم أن الفنانة الفرنسية، لويز بورجوا، 1919 – 2003، عملت لفترة طويلة في الرسم والنحت، إلا أنها عجزت عن فرض نفسها وبقيت مجهولة، ليتغير كل شيء عام 1982، وهي في سن السبعين، عندما عرضت أعمالا تركيبية تمثل عناكب ضخمة تشغل غرفة كاملة في أكبر المتاحف.

الاختراق الكبير جاء مع الفنانة البريطانية، تريسي آمين، 1963، التي أصبحت حديث الأوساط الفنية عام 1998، عندما عرضت عملا تركيبيا في تيت غاليري بلندن، يتضمن بقايا سجائر، وملاءات غير مرتبة مرمية على السرير، وقطعا متناثرة من ملابسها الداخلية.

ولم تهدأ الضجة التي أثارتها منذ ذلك التاريخ، رغم أن العمل الذي رشح حينها لجائزة "تورنر" المرموقة لم يفز، إلا أنه عاد إلى الأضواء عام 2014، عندما بيع في مزاد بدار كريستي، بمبلغ 4.25 مليون دولار.

إن كان هذا هو حال المرأة في الغرب، فماذا عن حالها في الشرق؟

فنجان أوبنهايم الشهير

نساء قلة استطعن كسر المحرمات، التي تحتمي بجدار سميك من الأعراف والتقاليد يصعب خرقها، من هذه الأسماء، المصرية غادة عامر، التي رفعت لواء النسوية، مستغنية عن الوسائط التقليدية، موظفة في أعمالها الفيديو والتركيبات، وتبقى المضامين الاستفزازية للعمل الفني، الدافع الذي جعل من أعمالها مرحبا بها في الغرب، بينما ظلت مرفوضة في الشرق. فنانة أخرى من الشرق، ولكنها ليست من بلد عربي، استطاعت هي الأخرى أن تحقق نجاحا كبيرا، بالطبع خارج بلدها، هي الفنانة المصورة الإيرانية، شادي غاديريان، 1974، حصلت شادي على بكالوريوس التصوير الفوتوغرافي، من جامعة أزاد في طهران، واستطاعت أن تفرض نفسها على الساحة الفنية بوصفها واحدة من المواهب الإبداعية الرائدة، لتحظى أعمالها باحترام عالمي كبير.

تستكشف غاديريان في أعمالها وضع المرأة الحديثة في إيران على وجه الخصوص، حيث الصراع بين الحداثة والتقليد، في بيئة أبوية يسيطر عليها الذكور، هو الموضوع الأثير لديها، ورغم القضايا الأصيلة التي اختارتها الفنانة لتعبر عنها، فإن أعمالها لا تخلو من لمحة جذابة ساخرة تجذب الجمهور إليها.

الألمانية ميريت أوبنهايم، التي برز اسمها في النصف الأول من القرن العشرين، رائدة في هذا المجال، الذي شهد استخدام الفيديو والوسائط المتعددة

الطفولي والأنثوي سرياليا (من أعمال ميريت أوبنهايم)

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

القنبلة التي أطاحت عرش إمبراطور شبكة فوكس نيوز

مباراة في التمثيل تشترك فيها ثلاث شقراوات من هوليوود

من أفضل ما شاهدت من أفلام في الفترة الأخيرة الفيلم الأميركي الجديد "القنبلة" Bombshell الذي يقوم ببطولته ثلاثة من كبار نجوم السينما الأميركية، وقد رشح لنيل ثلاث من جوائز مسابقة الأوسكار.

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

رغم عجزه وشيخوخته يريد تأكيد قوته

ليس شرطا أن تنجح دائما الأفلام التي تعتمد على وقائع وشخصيات حقيقية في التعبير عن موضوعاتها، إلا أن فيلم "القنبلة" Bombshell للمخرج جاي روش، يثبت أن من الممكن أن ينجح هذا النوع من الأفلام إذا عرف مخرجه بالتعاون مع طاقم الفيلم، كيف يجعل من القصة الحقيقية مادة بصرية تثير اهتمام المتفرج، وأن يكون الفيلم أيضا ممتعا رغم أننا كمشاهدين ربما نعرف الكثير من تفاصيل القصة، بل ونعرف كيف انتهت.

يستند سيناريو الفيلم، الذي كتبه تشارلز راندولف، على التقارير التي نشرت في الصحف وتناولتها وسائل الإعلام الأميركية في منتصف عام 2016. هذه التفاصيل تتعلق بالفضيحة المدوية التي وقعت داخل شبكة فوكس نيوز التلفزيونية وتداعياتها في فترة ما قبل، ثم بعد إعلان ترشيح دونالد ترامب عن الحزب الجمهوري لخوض انتخابات الرئاسة.

في البداية لم تكن الشبكة تميل كثيرا الى ترامب وكان صاحبها روبرت ميردوخ ينظر إليه بتشكك، لذلك قامت كبيرة المذيعات في الشبكة، ميغين كيلي (تشارليز ثيرون) بإجراء مقابلة مع ترامب وجهت إليه خلالها سؤالا بشأن نظرته المتدنية إلى المرأة، وهو ما أثار غضب ترامب فصب لعناته عليها من خلال "تغريداته" الشهيرة.

أما الموضوع فيبدأ من قرار الاستغناء عن مقدمة البرامج الشهيرة غريتشن كارلسون (نيكول كيدمان) فتلجأ لمقاضاة المدير التنفيذي للشبكة والمتحكم في مسار الأمور فيها، روجر إيلس بتهمة التحرش الجنسي، أو بالأحرى، الابتزاز الجنسي مقابل الصعود الوظيفي. محاموها ينصحونها بأن تكون القضية موجهة ضد إيلس نفسه ولا تشمل فوكس نيوز لكي تتفادى أن توجه الشبكة كل أسلحتها ضدها، ولكنها في هذه الحالة تصبح في حاجة إلى "شهود" أو بالأحرى، "ضحايا" آخرين، يدعمون اتهاماتها.

دراما السقوط

نحن أمام دراما تدور في معظمها داخل صالة الأخبار في الشبكة الإخبارية الشهيرة، مكاتبها وردهاتها وغرفها، وأهمها بالطبع مكتب المدير روجر إيلس الذي تجاوز الخامسة والسبعين ولم يعد يستطيع المشي دون العكاز. ورغم ذلك، لا يكف عن اقتناص الموظفات الباحثات عن دور أو عن فرصة للصعود وخاصة الظهور على الشاشة. تدريجيا ومن خلال البناء الذي يقوم على شكل أقرب إلى الدكيودراما أو الأسلوب الدرامي التسجيلي، مع الانتقال بين الحاضر والماضي، بغرض تسليط الأضواء على ما حدث بالفعل من مواقف حاسمة في حياة الشخصيات الرئيسية وأولها بالطبع غريتشن، نكتشف أن ميغين كيلي نفسها تعرضت من قبل لاختبار "الولاء"، وهي الكلمة التي يستخدمها إيلس في التعبير عن رغبته في نيل فريسته. والمقصود الاستسلام لرغباته الجنسية. ولكن هل يمكن أن تنضم ميغين إلى زميلتها في دعواها القانونية؟

يجيد المخرج جاي روش التعبير عن أجواء الفترة من الزاوية السياسية، من خلال ما نشاهده أو نلمحه أو نسمعه عبر الشاشات الكثيرة المنتشرة داخل غرفة الأخبار، كما يكشف العلاقة بين ترامب وفوكس نيوز وكيف أصبحت الشبكة صوت اليمين في أميركا، وكيف يتم تطويع الأخبار لخدمة أغراض سياسية، كما يمزج المخرج بين الممثلين وخاصة تشارليز ثيرون، والشخصيات الحقيقية، كما نرى عندما تحاور ثيرون ترامب باعتبارها ميغين كيلي.

هناك أيضا الشخصية الثالثة الرئيسية في الفيلم كايلا (مارغوت روبي) وهي موظفة مبتدئة ترغب بكل قوة في أن تصبح مذيعة تظهر على الشاشة.

وإذا كانت كل من غريتشين وميغين شخصيتين حقيقيتين، فكايلا شخصية مبتكرة تعتمد على ما وقع لشخصيات نسائية عديدة داخل تلك الشبكة التي يكشف الفيلم بكل قوة عما كان يحدث في داخلها دون أن يسقط في النمطية أو المبالغات أو تبسيط الشخصيات وتقسيمها إلى شخصيات طيبة وأخرى شريرة.

نحن مثلا نعرف أن ميغين كيلي ارتضت بالصمت طويلا على ما وقع معها، وأنها باعت جسدها من أجل الاحتفاظ بوظيفتها.

أي أنها كانت متواطئة ولو بالصمت عما يحدث من تحرش واستغلال. كما أن روجر إيلس لا يظهر في الفيلم كحيوان شره شرس يقتنص ضحاياه بالقوة والاغتصاب (على غرار ما هو منسوب لهارفي وينستين مثلا)، بل كرجل رقيق ناعم، أبوي، يستخدم لغة مهذبة، ويتخفى وراء الكلمات التي تحمل أكثر من معنى، بحيث يجعل مغزاها واضحا للطرف الآخر.

وهو لا يمانع حضور زوجته التحقيقات التي تجري معه، والاطلاع على ما هو منسوب إليه من تحرشات جنسية حتى عندما يكشف الفيلم أن غريشتين سجلت له سرا ما كان قد أنكره بالفعل أمام المحققين. هنا يصبح سقوطه محتما.

> نحن أمام مباراة رائعة في الأداء. أربعة أو خمسة ممثلين وممثلات، يرفعون الفيلم إلى القمة. ومن دون هذا المستوى من التمثيل مدعوما بالماكياج، لما أصبح لدينا فيلم بكل هذه القوة والتأثير

وراء الباب

الطابق الثاني من المبنى الضخم، هو مقر روجر. والصعود من الطابق الأول يكون بالمصعد. وفي مشهد بارع من الفيلم، تلتقي النساء الثلاث مصادفة داخل المصعد. كلهن في الطريق لمقابلة روجر أو لطلب مقابلته، مع اختلاف الأسباب. ولكن مديرة مكتبه التي تقوم بدور أقرب لدور القوادة، هي التي في يدها سلطة السماح أو عدم السماح لأحد بمقابلته. أمام مكتبها تنصرف إحداهن بعد رفض طلبها مقابلة الرجل، وتتراجع أخرى بعد أن ترى أن الموظفة الجديدة الأكثر شبابا هي التي نالت الموافقة ودلفت بالفعل إلى "الداخل"، وأصبحت وراء الباب المغلق الذي يمكن أن نستنتج ما يدور خلفه وما سنكتشف لاحقا أنه تم مرارا وتكرارا دون كلل على مدار سنوات مع العشرات من النساء.

من المشاهد الأخرى الجيدة مشهد المواجهة بين المالك الحقيقي للشبكة روبرت ميردوخ (مع ولديه) وروجر إيلس. هنا يكشف الفيلم أن من يملك المال هو من يملك حسم الموقف. فالفضيحة يمكن أن تتسبب في عشرات الملايين من الخسائر للشبكة، لذلك يتعين على ميردوخ أن يتخذ قرارا فوريا لا يراعي أدنى اعتبار لكون روجر هو الذي أسس شبكة الأخبار وأدارها بكفاءة وجعلها تحقق أرباحا بالملايين عبر خمسة عشر عاما. فالرأسمالية لا ترحم أحدا عندما يتعلق الأمر بالخسارة.

إننا نشعر في لحظات كثيرة بأن غرفة الأخبار حيث يتحكم المخرج جاي روش في حركة الممثلين، بالتعاون مع مدير التصوير باري أرويد (كابتن فيليبس، ملك محظور، ديترويت) ومهندس الديكور ومنسق المناظر ومصممي الملابس والماكياج، قد أصبحت في الواقع ما يشبه "بيت دعارة". هنا يتم التركيز على الملابس القصيرة المثيرة التي ترتديها المذيعات للكشف عن سيقانهن حسب تعليمات المدير الذي يرى أن العمل التلفزيوني "شو" أو "استعراض بصري"، وأن الجمهور يريد أن يشعر بالمذيعة كأنثى. ومن جوانب البراعة في الإخراج أن نلمح من دون الحوار، علامات التوتر والقلق والريبة والتشكك بين الجميع، سواء من يتطلعون من خلف الحواجز الزجاجية أو عبر الفواصل بين المكاتب. ويبتكر السيناريو دور جيس كار (كات ماكينون) منتجة برنامج التوك شو الشهير الذي يقدم في وقت الذروة، التي ترتبط بصداقة مع كايلا، وتوجه لها النصائح، ثم تعترف لها أنها من مؤيدي هيلاري كلينتون، وأنها تمقت جو العمل في "فوكس نيوز"، ولكن المشكلة أنها تتمتع بوظيفة جيدة في فوكس نيوز، إلا أن المشكلة أنها إذا تركتها فلن تجد من يقبل توظيفها في أي محطة تلفزيونية أخرى!

> نحن أمام دراما تدور في معظمها داخل صالة الأخبار في الشبكة الإخبارية الشهيرة، مكاتبها وردهاتها وغرفها، وأهمها بالطبع مكتب المدير روجر إيلس الذي تجاوز الـ75 ولم يعد يستطيع المشي من دون العكاز

عن التمثيل

نحن أمام مباراة رائعة في الأداء. أربعة أو خمسة ممثلين وممثلات، يرفعون الفيلم إلى القمة. ومن دون هذا المستوى من التمثيل مدعوما بالماكياج، لما كان أصبح لدينا فيلم بكل هذه القوة والتميز والتأثير. هناك أولا تشارليز ثيرون التي تقوم بدور ميغين كيلي التي تخفي أكثر مما تظهر، ولكن عندما تُظهر فإنها تقوم كما نرى في البداية بدور العارضة التي تعرض لنا الشخصيات والأدوار داخل الشبكة في مشهد تتحرك فيه وتتحرك معها الكاميرا، وكأننا نشاهد أحد شرائط الإعلانات. أليست الأخبار أيضا سلعة. والمرأة على الشاشة سلعة. والمحتوى سلعة. ومن تبيع وتظهر وتكسب، عليها أن تدفع "فاتورة" الشهرة والنجاح والبريق، من نفسها ومن جسدها.

تلقي تشارليز ثيرون هنا بكل ثقلها في دور ميغين كيلي الذي رشحت عنه لأوسكار أفضل ممثلة. وتنجح في التعبير عن التشكك والرفض والغضب المكتوم والمعاناة الصامتة إلى أن تحين لحظة الحقيقة والاعتراف بالحقيقة، يساعدها في القيام بدورها كثيرا، الماكياج الذي يغير شكل وتكوين وجهها لتصبح قريبة الشبه من ميغين كيلي الحقيقية.

الطموح يقود إلى السقوط

نيكول كيدمان تبرع في أداء دور المذيعة الشهيرة غريشتين كارلسون ملكة جمال أميركا 1989 التي وصلت إلى تقديم البرنامج الصباحي من فوكس، لكنها فقدت وظيفتها بعد أن قدمت ما لا يرضى عنه مدير الشبكة كما أصبحت متقدمة في العمر، فتبدأ المعركة التي تتضامن فيها معها العشرات من العاملات في الشبكة. نيكول تؤدي بقوة وتحد أداء امرأة تشعر بأنها ضحت بأجمل سنوات شبابها والآن أصبح يتعين عليها أن تنصرف وتلعق جراحها لكنها لا تستسلم بل تصر على مواصلة المعركة.

مارغوت روبي في دور كايلا (رشحت عنه لجائزة أفضل ممثلة مساعدة)، تتميز بالأداء البسيط الناعم، الذي يعكس براءة الشخصية وحيرتها ثم اضطرابها عندما تكتشف شيئا ربما كانت تعرفه لكنها كانت تنكره. وهي تبرع بوجه خاص في المشهد الذي يختلي بها فيه روجر إيلس في مكتبه ويطلب منها رفع فستانها القصير الأسود المثير للكشف عن جسدها. ترتسم على وجهها تعبيرات هي مزيج من الحرج والنفور والتردد والرغبة في الفرار، لكنها وقعت في المصيدة. ولم تعد تستطيع التخلص من الموقف لأن كلمات "الرئيس" بدت مطمئنة، صادقة، مجردة، كما أن رغبتها في الصعود قد استبدت بها، لكنها ستفيق من السقوط وتنضم إلى الحملة ضد روجر إيلس.

على مستوى الممثلين الرجال لا بد من الإشادة بشكل خاص بأداء الممثل الأميركي الكبير جون ليثغو الذي قام بدور روجر إيلس (74 سنة). إنه يقدم نموذجا للأداء المحكوم تماما، الذي يبتعد عن النمطية والمبالغات ويعرف كيف يتحكم في نبرة الصوت، وكيف يستخدم الكلمات في هدوء وإصرار وقوة إقناع، بل وكيف يغضب ويثور لكرامته أيضا وكأنه قد أصبح هو الضحية ليس المذنب، خاصة في مشهد المواجهة مع ميردوخ. بل إنه يجعلك تتعاطف معه ولو قليلا في بعض الأحيان، نظرا لحالته الصحية وإعاقته المثيرة للشفقة، لكنه يبدو مدفوعا بما يقوم به من استغلال نفوذ لتأكيد سلطته على النساء، ولكي يشعر أيضا أنه يحصل على مقابل.. "نحن الذين ساعدناهن على الظهور على شاشة التلفزيون وأن يصبحن نجوما من المشاهير، ويجب أن يقدمن لنا المقابل".. الولاء التام، أي الخضوع.

ميردوخ يقوم بدوره الممثل البريطاني مالكولم ماكدويل بطل ثلاثية المخرج ليندساي أندرسون التي أصبحت الآن من كلاسيكيات السينما: "لو" و"الرجل المحظوظ" و"مستشفى بريطانيا" كذلك فيلم ستانلي كوبريك "البرتقالة الآلية". وهو ينجح في التعبير عن قوة المالك الأصلي للمؤسسة، وكيف يغلب المصلحة على الصداقة وعلى الولاء الطويل فيستغني عن خدمات روجر إيلس بكل قسوة دون أن يسمح له حتى بإبلاغ العاملين في غرفة الأخبار التي كان يتمتع فيها بنفوذ الإمبراطور، فيرحل من الباب الخلفي غير مأسوف عليه.

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

السعودية فضاء رحب لمراقبة النجوم والكواكب

مشروع لسياحة الفلك وتأمل السماء في البحر الأحمر

تسجل مراقبة النجوم والأجرام في الفضاء اهتماما متزايدا في العالم وتجعل من المناطق التي تخلو من التلوّث الضوئي مقاصد سياحية إذ تلقىٰ إقبالا كبيرا من هواة الفلك، ولأن في السعودية صحراء شاسعة ونظيفة، فإنها تسارع لخوض مغامرة الاستثمار في سياحة تأمل النجوم.

جمال استثنائي

تبوك (السعودية) – لم تنتظر السعودية طويلا لتنويع مصادر السياحة بعد أن أعلنت رغبتها في الاستثمار في هذا القطاع، لتعلن دخولها في عالم سياحة تأمل النجوم الذي أصبح يستهوي الشباب وكبار السن الذين يبحثون عن إجازة وسط نقاء الصحراء وأنوار النجوم الخافتة، حيث يمكن رصد السماء ليلا ومراقبة نجومها وكواكبها، بل وحتىٰ النيازك العابرة والشهب المتساقطة.

وقد وقعت شركة البحر الأحمر للتطوير، المنفذة لأحد أكثر المشاريع السياحية طموحاً في العالم، عقدا مع شركة للاستشارات الهندسية متعددة التخصصات، ستقدم خلاله حلولاً مبتكرة في مجال التصميم الهندسي المستدام، وتطوير استراتيجية تحدّ من استخدام الضوء غير الطبيعي في مشروع البحر الأحمر.

بهذه المبادرة حققت شركة البحر الأحمر للتطوير أولىٰ خطواتها ضمن خطتها الهادفة إلىٰ وضع وجهة مشروع البحر الأحمر علىٰ خريطة محميات السماء المظلمة في العالم، حيث تسعىٰ إلىٰ الحصول علىٰ اعتماد الجمعية الدولية للسماء المظلمة لعدد من مناطقها الطبيعية التي تحظىٰ بأجواء استثنائية تتيح للزوار رصد النجوم ليلاً، والتمتع بمشاهدة سماء الوجهة حالكة الظلمة، بعيدا عن المراكز السياحية الصاخبة أو المناطق الحضرية الملوثة بالضوء.

وكلما كانت المنطقة غير متطورة بدرجة أكبر، كان النزل أو موقع المخيم بعيداً، وكانت صناعة السياحة الفلكية الناشئة أكثر ازدهارا، لذلك ممن الممكن أن تكون الصحراء فضاء لرصد النجوم سواء بالعين المجردة أو من خلال تلسكوب إذ توفر للسائح تجربة فريدة وربما مثالية لقضاء أوقات ممتعة عبر النجوم.

وفور حصول مشروع البحر الأحمر علىٰ اعتماد الجمعية الدولية، سينضم إلىٰ أكثر من مئة موقع عالمي في أميركا الشمالية وأوروبا، وأيضا في صحارى بوتسوانا وناميبيا، حيث التزمت هذه المواقع بإجراءات صارمة بدعم من مجتمعاتها المحلية للحصول علىٰ اعتماد السماء المظلمة.

> السعودية تدخل عالم سياحة تأمّل النجوم الذي أصبح يستهوي الشباب وكبار السن ممن يبحثون عن إجازة وسط نقاء الصحراء وأنوار النجوم

ويعد هذا المشروع استجابة سريعة لعشاق السياحة الفلكية ليقضوا أوقاتا أكثر توازنا لمراقبة النجوم ومطاردة الكسوف والسهر تحت ضوء القمر.

وقال الرّئيس التنفيذي لشركة البحر الأحمر للتطوير جون باغان، "لطالما كانت النجوم علىٰ مرّ العصور وسيلة فعالة استرشد بها الرحالة والحجّاج والقوافل التجارية للاهتداء إلىٰ وجهاتهم في أنحاء المنطقة. ومن شأن اعتماد وجهتنا كمحمية سماء مظلمة أن يتيح للضيوف فرصة الاستمتاع بالسماء المضيئة التي ألهمت أسلافنا. ويكفينا فخرا أن نكون جزءا من حركة عالمية لاستعادة تلك العلاقة المذهلة التي تربط الإنسان بالنجوم".

وأضاف "سعداء باتخاذ هذه الخطوة التي ستقودنا إلىٰ أن نكون وجهة سياحية ذات سماء حالكة الظلمة في الشرق الأوسط، وهذا ينسجم مع مساعينا لحماية البيئة في الوجهة، وإتاحة الفرصة أمام زوارنا للاستمتاع بسماء مليئة بالنجوم ليلاً".

ويتوافق الاعتماد الدولي للوجهة كمحمية سماء مظلمة مع التزام شركة البحر الأحمر للتطوير بتقديم تجربة حصرية ترتكز علىٰ التنوع البيئي الفريد لموقع المشروع.

وتنطلق الشركة في ذلك من إدراكها لتهديد التلوث الضوئي وآثاره السلبية علىٰ البيئة وبعض الكائنات الحية النادرة، مثل السلاحف صقرية المنقار المهددة بالانقراض.

من جانبه، قال مدير شركة "لايت 4" في "كندال"، أندرو بيسيل، "تتمتع سماء الوجهة ليلاً بجمال استثنائي يضم تكوينات فلكية فريدة من نوعها. وبعيدا عن الأضواء الصناعية المشعة من المدينة، يبدو امتداد مجرة درب التبانة مذهلاً في أفق السماء".

وأضاف "سيوضح المشروع من خلال العمل الطموح والتخطيط الدقيق إمكانية تطوير المشاريع بطريقة فريدة وغير مسبوقة تحمي جمال منظر السماء ليلا. وتحقيق ذلك سيثبت بأنه ليس من الضروري لأيّ مبنىٰ سواء خارج المدن أو داخلها أن يؤثر سلبيا علىٰ جمال السماء ليلا".

وتتعاون شركة "كندال" مع فرق الهندسة والتطوير في شركة البحر الأحمر للتطوير علىٰ مدار ستة أشهر لمراجعة المخطط الحالي للمشروع، وتقديم المشورة حول التدابير الممكنة للحد من التلوث الضوئي. ويشمل ذلك التواصل مع المجتمع المحلي في المنطقة بهدف رفع مستوى التوعية بالإجراءات المناسبة التي يمكنهم اتخاذها لدعم المبادرة، وتشجيعهم علىٰ استخدام الإنارة الخارجية الأقل تكلفة والأكثر كفاءة من ناحية استهلاك الطاقة.

وخلال الشهر الحالي، سيسجل فريق العمل حالة خط الأساس الذي سيتم اعتماده كمحور ارتكاز في المستقبل، كما سيقوم بمسح لمعدات الإضاءة الحالية وتفاصيل تركيبها علىٰ كافة الأصول التي تشمل الإضاءة العامة المثبتة علىٰ المباني، بالإضافة إلىٰ إنارة المعالم والحدائق والشوارع بالوجهة، وتحديد وقياس جمال السماء المظلمة، حيث ستكون هذه المعلومات مرجعاً لمدى تأثير التلوث الضوئي علىٰ وهج السماء في الوجهة ليلاً.

سماء منمنمة بالأضواء

وسيتم إتباع خطة لإدارة الإضاءة التي ستحدد أعمال التحسين اللازمة في أنحاء الوجهة، بالإضافة إلىٰ تحديد تصاميم الإنارة الجديدة في الفنادق والمطار والوحدات السكنية، وعلىٰ ضوء ذلك، سيتم تقديم طلب رسمي للحصول علىٰ الاعتماد الدولي لمحميات السماء المظلمة للوجهة.

وتم إطلاق البرنامج الدولي لأماكن السماء المظلمة في عام 2001، ويهدف إلىٰ تشجيع المجتمعات والحدائق والمحميات حول العالم علىٰ حماية المواقع المظلمة عبر اتّباع سياسات الإنارة المسؤولة والتوعية العامة بهذا الخصوص.

يذكر أن مجلة علوم العلمية، نشرت دراسة مؤخرا، أوضحت فيها أن نحو ثلث سكان العالم ليس بمقدورهم مشاهدة مجرة درب التبانة، وتوزعت هذه النسب علىٰ 60 في المائة من أوروبا، و80 في المائة في الولايات المتحدة الأميركية، وذلك نتيجة لكثافة الضوء الاصطناعي في المدن الذي أدى إلىٰ ظهور "وهج" حجب إمكانية مشاهدة النجوم ليلاً.

تلة بينانغ تختصر التاريخ وجمال الطبيعة في ماليزيا

كوالالمبور– تُعرف تلة بينانغ كإحدى أكثر الوجهات التي تجذب اهتمام زوار ولاية بينانغ شمال غرب ماليزيا، لما تحتويه من أبنية تاريخية عريقة ومناظر طبيعية خلابة.

وتقع منطقة بينانغ علىٰ الساحل الشمالي الغربي لشبه الجزيرة الماليزية، علىٰ مضيق ملقا، حيث تقع مدينة جورج تاون عاصمة الولاية.

وخضعت ماليزيا للاستعمار البريطاني في الفترة ما بين 1786 و1957، قبل أن تعلن استقلالها في الـ31 من أغسطس 1957، كدولة اتحادية ملكية دستورية مكونة من 13 ولاية وثلاثة أقاليم اتحادية.

وخلال أواخر القرن العشرين شهدت ماليزيا طفرة اقتصادية وباتت تشكل جزءًا أساسيًا في التجارة الدولية، كما تشكل الصناعة أحد القطاعات الرئيسية في اقتصاد البلاد.

وبالعودة إلىٰ فترة الاستعمار البريطاني لماليزيا، ووفقًا للمصادر التاريخية، فقد بدأت تلك المرحلة مع وصول القبطان البريطاني فرانسيس لايت إلىٰ منطقة بينانغ وتأسيسه أول المستعمرات البريطانية في المنطقة.

وصل لايت إلىٰ جزيرة بينانغ عن طريق البحر عام 1786 وأنشأ مستعمرة بريطانية علىٰ أعلىٰ تلة في الجزيرة خلال العام نفسه. كما أنشأ المستعمرون البريطانيون مجمّعا يتكون من مجموعة من الأبنية بغرض إدارة المنطقة والاستجمام، علىٰ قمة التلة البالغ ارتفاعها 833 مترًا فوق مستوى سطح البحر.

تعرف القمة محليًا باسم "تلة سارية العلم"، وتذكر المصادر التاريخية أن المسؤولين الاستعماريين البريطانيين اختاروا هذه القمة لتكون مركزًا لهم لإدارة المنطقة بسبب أجوائها التي تبعث علىٰ الراحة ومناخها الدافئ.

وفي الوقت الذي تتراوح فيه درجات الحرارة بين 29 و35 درجة، في المناطق المنخفضة في بينانغ، تنخفض درجات الحرارة في منطقة قمة التلة إلىٰ ما دون الـ20 درجة.

ويكون الطقس رائعا في الفترة من نوفمبر حتىٰ يناير، لذلك يعتبر هذا الوقت هو الأنسب للتخطيط لزيارة الجزيرة للاستمتاع بمعالمها السياحية المتنوعة، وكذلك يمكن للسائح الاحتفال بليلة رأس السنة ومشاهدة الطقوس المحلية المدهشة في تلك الليلة.

ويعتبر المجمّع الذي شيده البريطانيون علىٰ قمة التلة مع العديد من المتنزهات الطبيعية والمباني التاريخية والقطار الجبلي المائل مجموعة من أهم المعالم الرئيسية للسياحة في ماليزيا.

ويعد خط القطار الجبلي المائل، الذي تم الانتهاء من تشييده عام 1924 بطول يبلغ حوالي كيلومترين، أول قطار جبلي مائل في ماليزيا، فضلا عن أنه الوحيد.

ويعتبر قصر "بيل ريتيو" الذي بني عام 1789 واقترن اسمه باسم تلة بينانغ، واحدا من أهم الأوابد والمباني التاريخية التي تستقطب زوار المنطقة.

تم استخدام القصر، الذي كان يسكنه المسؤولون البريطانيون خلال حقبة الاستعمار في ماليزيا، من قبل رئيس الوزراء الماليزي الأول تونكو عبدالرحمن بعد استقلال البلاد عن الاستعمار في الـ31 من أغسطس 1957.

> يعتبر متحف البومة والحدائق النباتية، التي بنيت على التلة عام 2003 من بين النقاط المفضلة لزوار المنطقة

وتضم مسجدًا ومعبدًا هندوسيًا بجانب بعضهما البعض، وبني مسجد تلة بينانغ عام 1966، ليتحول إلىٰ أحد النماذج المعمارية الفريدة ويصبح واحدا من أجمل المساجد الصغيرة في ماليزيا.

وبالقرب من مسجد تلة بينانغ، يقع معبد "سري أرولولي ثيرومورجان"، وهو معبد هندوسي جرى تشييده إلىٰ جانب المسجد في بداية القرن التاسع عشر.

إن تشييد المسجد والمعبد الهندوسي في المنطقة ذاتها وبجانب بعضهما البعض، يُظهر ثقافة التسامح السائدة في البلاد بطريقة مميزة.

كما يعتبر متحف البومة والحدائق النباتية، التي تم بناؤها علىٰ التلة عام 2003 لدعم القطاع السياحي في المنطقة وجذب عدد أكبر من السياح، من بين النقاط المفضلة لزوار المنطقة.

وبإمكان زوار التلة الاستمتاع برؤية مدينة "جورج تاون" عاصمة ولاية بينانغ والمدرجة من قبل اليونسكو كموقع للتراث العالمي باعتبارها واحدة من أقدم المدن في ماليزيا، ويمكنهم ايضا مشاهدة مضيق ملقا الذي يفصل شبه جزيرة ماليزيا وسومطرة الإندونيسية ويعتبر واحدًا من أهم الطرق البحرية في الملاحة الدولية.

تلة التسامح

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

التكنولوجيا الرقمية تعزز قبضة الاستبداد والدكتاتورية

البرامج الذكية تنجب أدوات خارقة للتجسس والمراقبة

يبحر العالم في سكرة وانبهار في تيار الانقلابات التكنولوجية المتسارعة، التي لا يمكن وقفها أو حتى مقاومتها، دون كثير من الانتباه للطبقات العميقة من الأعراض الجانبية، التي يبدو أن من أخطرها إتاحة أدوات خارقة في قبضة السلطات المستبدة.

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

أحد الأخطار الكبيرة التي تحملها الثورة الرقمية تكمن في الأدوات التي تتيحها لنقل قبضة الاستبداد والدكتاتوري إلى مستويات، تبدو معها كل ممارسات الأنظمة السابقة بدائية وغير فعالة.

نعم، هناك جدل كثير بشأن حماية الخصوصية والحريات الفردية ومنع الاختراقات والهجمات على الأفراد والمؤسسات، لكنها تبدو عاجزة ترقيع الفجوات ومواجهة الأدوات الهائلة التي تتيحها التكنولوجيا للحكومات والمؤسسات والقراصنة للتحكم بحياتنا.

> مؤسسة فريدم هاوس:
> مستويات القمع ازدادت نسبيا بفعل الأدوات الرقمية رغم عدم ارتفاع عدد الأنظمة الاستبدادية في العالم

يعتقد كثيرون أن قبضة الاستبداد بلغت ذروتها خلال الحرب الباردة، حين تضخمت الأجهزة الأمنية وجندت الملايين من الجواسيس والمخبرين لإحصاء أنفاس مواطنيها قبل أعدائها. ولم يقتصر ذلك على المعسكر الشرقي بل كان منتشرا في المعسكر الغربي ولو بدرجة أقل.

وظهرت ملامح انحسار تلك السياسات مع انهيار جدار برلين. وساد بعد ذلك تفاؤل في بداية الألفية الجديدة بأن الإنترنت والهاتف النقال سيساعدان الأفراد في الوصول إلى المعلومات وإقامة روابط وبناء مجتمعات جديدة.

وبلغ هذا التفاؤل ذروته في أوائل 2011 حيث سهّلت وسائل التواصل الاجتماعي الإطاحة بعدد من الأنظمة الدكتاتورية في الشرق الأوسط.

لكن يبدو اليوم أن التكنولوجيا أصبحت تتيح أسلحة جديدة لعودة قبضة الاستبداد بدرجة تفوق الوسائل التقليدية بملايين المرات ولا تحتاج إلى جواسيس ومخبرين يتعقبون خطوات الأفراد.

مجلة فورين أفيرز خصصت في عدد الشهر الحالي بحثا مطولا لخفايا دور التكنولوجيا في تعزيز قبضة الاستبداد والدكتاتورية أعده أندريا كيندال تايلور وإريكا فرانتز وجوزيف رايت.

شبح الاحتجاجات

يقول التقرير إن التقنيات الحديثة توفر للأنظمة الدكتاتورية أساليب أكثر فاعلية بمراقبة المعارضة بطرق أكثر سريّة ولا تحتاج إلى موارد كبيرة مقارنة بعمليات التتبع التقليدية.

وتشبه الخطورة أحداث رواية 1984 لجورج أورويل، حين تصل الرقابة الذاتية إلى ذروتها، حين يدرك جميع سكان الدول المستبدة أنهم مراقبون في كل حركاتهم فيغيرون سلوكهم دون أن يلجأ النظام إلى القمع الجسدي.ولأن التكنولوجيا تتيح المجال أيضا للذين يسعون لإسماع أصواتهم والوقوف بوجه الأنظمة القمعية، وتزيد الضغوط عليها من قبل شعوبها، فإن الأنظمة الاستبدادية أصبحت تعتمد التكنولوجيا لإعادة تشكيل القمع ليتناسب مع معايير العصر الحديث.

ويقول تقرير فورن أفيرز إن الأنظمة الاستبدادية الرقمية أصبحت أكثر صمودا من الأنظمة الأقل تطورا، ومن جميع الأنظمة في العهود السابقة.

المتفائلون بالتقدم التكنولوجي في فجر الألفية كانوا يتوقعون أنها ستطيح بالأنظمة الاستبدادية، لكن تبين اليوم أنها تستفيد من الإنترنت والتكنولوجيات الجديدة الأخرى.

أدت التكنولوجيات الجديدة مثل وسائل التواصل الاجتماعي إلى تقليص الحواجز بين المواطنين العاديين وسهل التنسيق ودعوات التجمّع لتحدي الحكومات القمعية، التي لا تستجيب لمطالبهم.

وتشير البيانات إلى أن 60 في المئة من الحكومات الدكتاتورية واجهت احتجاجات في العقدين الماضيين. ويرى التقرير أن تزايد عدد الاحتجاجات يمثل إشارة واضحة للاضطرابات المستمرة التي تواجهها العديد من الحكومات الاستبدادية.

ويبدو أن تلك الأنظمة لم تتمكن في بداية الثورة التكنولوجية من التأقلم معها، حيث شهدت الفترة بين عامي 2000 و2017 سقوط 44 نظاما مستبدا سواء عن طريق الاحتجاجات أو الانتخابات التي أجبرت على تنظيمها.

لكن سرعة انتشار المنظومات الرقمية لمراقبة البيانات والتعرف على الوجوه تنذر بطغيان رقابة الحكومات وتجسسها على جميع السكان وعودة الاستبداد، بل وتزايده حتى في الأنظمة التي لم تكن مستبدة ويحكمها نظام ديمقراطي.

> الأنظمة الاستبدادية التي تستخدم القمع الرقمي تواجه أخطار أقل من الاحتجاجات مقارنة بالأنظمة التي لا تعتمد أدواته

وسائل السيطرة

تشير دراسات عالمية شملت 202 دولة إلى أن الأنظمة الاستبدادية التي تستخدم القمع الرقمي تواجه أخطار أقل من الاحتجاجات مقارنة بالأنظمة التي لا تعتمد تلك الأدوات.

وقد نجحت احتجاجات في الإطاحة بحكومات لم تكن تملك وسائل رقمية متطورة مثلما حدث في منطقة الشرق الأوسط وتايلند وبلدان أفريقية، في حين تمكنت كمبوديا من إنهاء الاحتجاجات بعد تصعيدها للقمع الرقمي.

فقد لجأت الحكومة الكمبودية إلى إنشاء "فريق الحرب السيبرانية" لمراقبة الإنترنت عام 2014 وأقرت قانونا يمنحها سيطرة مطلقة على الاتصالات وأنشأت هيئة تنفيذية تمكّنها من تعليق خدمات شركات الاتصالات وفصل موظفيها.

ونتيجة ذلك فشلت حركة الاحتجاج في كمبوديا ولم تشهد سوى احتجاج واحد مناهض للحكومة في عام 2017 مقابل 36 احتجاجا في عام 2014 عندما كانت حركة المعارضة في ذروتها.

وتشير بيانات تقرير فورن أفيرز إلى أن الدول التي يرتفع فيها استخدام القمع الرقمي يزداد فيها استخدام أشكال العنف مثل التعذيب وقتل المعارضين. ويشير ذلك إلى أن الأنظمة المستبدة لا تستبدل القمع التقليدي بالقمع الرقمي.

وتؤكد أن الأدوات الرقمية تسهل تحديد المعارضين بطرق أكثر فعالية. ويقلل ذلك الاستهداف من الحاجة إلى اللجوء إلى القمع العشوائي الذي يمكن أن يؤدي إلى ردة فعل شعبية وانشقاقات في صفوف النخبة.

نموذج الصين

يعدّ تطور المراقبة التي تعتمد الذكاء الاصطناعي العنصر الأهم في الاستبداد الرقمي، والتي تضم الكاميرات عالية الدقة وتقنيات التعرف على الوجه والبرمجيات الخبيثة المصممة للتجسس وتحليل النصوص الآلي ومعالجة البيانات الكبيرة.

تلك الوسائل فتحت الأبواب لأساليب جديدة لمراقبة المواطنين، تسمح للحكومات بتحديد المنشقين في الوقت المناسب واستباق الأحداث في بعض الأحيان، وهي وسائل لم يستغلها أي نظام مثل الحكومة الصينية.

يجمع الحزب الشيوعي الصيني كمية هائلة من البيانات عن الأفراد والشركات، تشمل الإقرارات الضريبية والبيانات المصرفية وتاريخ الشراءات والسجلات الجنائية والطبية. ثم يستخدم النظام الذكاء الاصطناعي لتحليلها وتحديد معايير "السلوك المقبول" وزيادة نطاق السيطرة على المواطن.

ويمكن أن يجد الأفراد الذين يعتبرون "غير جديرين بالثقة" أنفسهم مستبعدين تلقائيا من المزايا التي تقدمها الدولة، مثل استئجار شقة دون إيداعات أو حتى السفر الجوي أو بالقطار.

ولا يخفي الحزب الشيوعي الصيني تطويره لهذا النظام، ويقول إنه سيؤدي هذا إلى تحسين ما تسميه الحكومة "الإدارة الاجتماعية".

وتجسّد الصين كيفية اعتماد القمع الرقمي لتقوية القمع الجسدي. فقد احتجزت الحكومة أكثر من مليون من مسلمي الإيغور في معسكرات "إعادة التعليم" في وقت تراقب جميع أفراد تلك الأقلية خارج المعسكرات من خلال برامج التعرف على الوجه.

وجمعت بكين بيانات عن سكانها الإيغور، تتضمن البصمة الوراثية وممارساتهم الدينية. وهي تنظّم هذه العمليات كإجراءات تزعم أنها تهدف لفرض النظام العام وحماية الأمن القومي.

كما تتيح التقنيات الحديثة سيطرة أكبر للقيادة الصينية على جميع المسؤولين في الأجهزة الحكومية، حيث تستخدمها في تقييم أدائهم وكشف عمليات الفساد.

كما تستخدم الأدوات الرقمية والذكاء الاصطناعي في مراقبة كميات كبيرة من الصور والنصوص على الإنترنت وفي حجب أي محتوى يتعارض مع أهداف النظام فور نشره.

ويقول تقرير فورن أفيرز إن الأنظمة الاستبدادية الرقمية تتمتع بوسائل دفاع إضافية تصل إلى منع وصول جميع المواطنين إلى الإنترنت لقطع التواصل بين أعضاء المعارضة، حين تتصاعد الاحتجاجات.

وقد لجأت الحكومة الإيرانية إلى إغلاق الإنترنت في جميع أنحاء البلاد أثناء الاحتجاجات التي انتشرت في البلاد خلال شهر نوفمبر الماضي.

وتشير دراسة لمؤسسة "فريدم هاوس" إلى أن العديد من الدول تسعى لمحاكاة الصين في مجال الرقابة وتتبع المواطنين. وتسعى الحكومة الروسية للحد من حرية مواطنيها على الإنترنت عبر اعتماد نظام "جدار الحماية العظيم" الصيني.

وتتجه أعداد من المسؤولين في الأنظمة الاستبدادية الأفريقية إلى الصين للمشاركة في دورات تدريبية حول "إدارة الفضاء الإلكتروني" والتعرف على الأساليب الصينية المعتمدة في التحكم والسيطرة.

أخطار متزايدة

تقول دراسة فريدم هاوس إن مستويات القمع ازدادت نسبيا بفعل الأدوات الرقمية رغم عدم ارتفاع عدد الأنظمة الاستبدادية على مستوى العالم بنسبة كبيرة في السنوات الأخيرة.

وتحذر فورن أفيرز من تصاعد خطر مساهمة التكنولوجيا في تصاعد موجة الاستبداد. وتؤكد أن أبحاثها تظهر أن الأدوات الرقمية أدت إلى تقييد الحريات في الديمقراطيات الهشة.

وتضيف أن التكنولوجيات الحديثة يمكن أن تعزز كفاءة الحكومة وتزيد من قدرتها على مواجهة التحديات الأمنية مثل الجريمة والإرهاب، لكنها يمكن أيضا أن تخدم إخماد أصوات المعارضة وتقييد أنشطتها.

وتقول إن الحد من انتشار الاستبداد الرقمي يتطلب من المجتمع الدولي معالجة آثار التكنولوجيات الحديثة الضارة على البلدان التي تعيش تحت الأنظمة الاستبدادية والديمقراطية.

ويدعو تقرير صادر عن "مركز الأمن الأميركي الجديد" في ديسمبر 2019 الكونغرس إلى تقييد تصدير الأجهزة التي تتضمن تقنيات التعرف على الهوية البيولوجية والوجه والصوت، ومعاقبة الشركات التي توفرها للأنظمة الاستبدادية المتورطة في انتهاكات حقوق الإنسان.

ويشدد على ضرورة سن تشريعات لمنع الاستثمار في الشركات التي تُصنع أدوات للقمع بتقنية الذكاء الاصطناعي، مثل شركة "سينس تايم" الصينية.

وطالب التقرير بتفعيل قانون ماغنيتسكي، الذي يسمح لوزارة الخزانة بمعاقبة الأطراف الأجنبية المتورطة في انتهاكات حقوق الإنسان والذين يسهلون تلك الممارسات بتقنيات الذكاء الاصطناعي.

تقنيات باهرة محفوفة بالعواقب

وتقول فورن أفيرز في خلاصة تقريرها إن تقنيات الذكاء الاصطناعي والابتكارات التكنولوجية الأخرى كانت تعد بتحسين الحياة اليومية، لكنها ساهمت في تقوية قبضة الأنظمة الاستبدادية، حيث يرسم القمع الرقمي المنتشر صورة قاتمة للسيطرة الحكومية المتزايدة وتقلص الحريات الفردية.

> فورن بوليسي:
> التقنيات الحديثة توفر للأنظمة الدكتاتورية أساليب أكثر فاعلية للمراقبة بطرق أكثر سرية ولا تحتاج إلى موارد كبيرة

وتضيف أن تلك الرؤية ينبغي أن تكون الوحيدة. فمثلما تسابقت الأنظمة الاستبدادية لاكتساب أدوات قمع جديدة، ينبغي على منظمات المجتمع المدني والأنظمة الديمقراطية الاستفادة من عصر التحول التكنولوجي في تطوير أفكار ومفاهيم جديدة لإحياء التفاؤل بالتكنولوجيا، الذي انتشر مطلع القرن الحادي والعشرين.

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

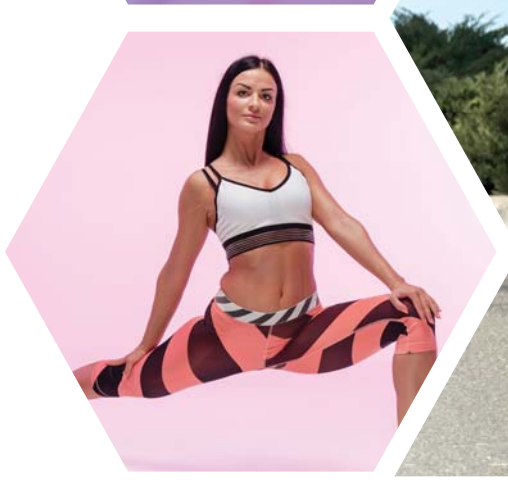

ممارسة الرياضة عند الظهيرة تزيد معدل دوران الطاقة

إيقاع العضلات وساعتها البيولوجية يتحكمان في الاستجابة للتمارين

تساعد المواظبة على الرياضة على إحراق الدهون المتراكمة في الجسم ولئن اعتبر خبراء التغذية والرياضة أنّ الوقت المفضّل لأداء التمارين لإحراق الدهون، هو ذلك الذي يتوافق مع الجدول الزمني للشخص، شريطة أن يصبح هذا الوقت عادة يوميّة منتظمة، إلا أنهم أثنوا على أداء ممارسة الرياضة خلال العصر وما تحققه من فوائد للجسم.

لندن - تُشير الدراسات العلمية إلى أن ممارسة الرياضة عند الظهيرة، تحسّن الأداء الرياضي حيث تكون درجة حرارة الجسم في أعلى مستوياتها، مما يقوي العضلات، ويعزز نشاط الإنزيمات، ويضاعف القدرة على التحمّل للقيام بالتمارين الشديدة، كالتدريب المتواتر عالي الكثافة والجري على جهاز الركض.

كما أن معدل ضربات القلب وضغط الدم يكونان أقلّ في الوقت المتأخر من الظهيرة، مما يُقلل خطر الإصابات، ويحسن الأداء، ويزيد من فعالية إحراق الدهون في الجسم.

يقول البروفيسور جوناس ثو تريباك من مركز نوفو نور ديسك لبحوث التمثيل الغذائي الأساسي في كوبنهاغن "إن الرياضة في المساء لها عدة مزايا ومنها زيادة معدل دوران الطاقة لفترة طويلة".

ويضيف "هو تأثير يعرفه الرياضيون المحترفون ويسمى بالتأثير اللاحق".

ويشير ثو تريباك إلى أن الجسم يستمر في إحراق الدهون بعد بذل جهد فعلي لفترة أطول وهو ما من شأنه أن يعزز فقدان الوزن.

كما تؤكد الدراسات الطبية أن الأفراد الذين يمارسون الرياضة عند المساء يتمتعون بنوم أفضل ولفترة أطول، مقارنة بالأفراد الذين يمارسون التمرين نفسه في الصباح. فممارسة الرياضة خلال المساء، تزيد من قدرة الجسم على امتصاص الأكسيجين، وتُساعد في التمتع بنوم جيد.

وأفادت دراسة جديدة لجامعة "نورث وسترن" الأميركية أن فترة الظهيرة هي الفترة الملائمة لممارسة الرياضة وخاصة رياضة العدو.

وذكرت صحيفة "ديلي إكسبريس" البريطانية أن هذه الدراسة تدعو إلى عدم الضغط على النفس للاستيقاظ مبكرا والقيام بالتمرينات.

وأوضح فريق البحث أن إيقاع العضلات وساعتها البيولوجية يتحكمان في الاستجابة للتمرينات، مشيرا إلى أن عامل تحديد الوقت في اليوم مهم للحصول على أفضل النتائج من التمرينات.

وأضاف الفريق أن الأكسجين والساعة الداخلية يعملان معا في خلايا العضلات لإفراز الطاقة، مشيرين إلى أن خلايا العضلات تكون أكثر كفاءة خلال ساعات الاستيقاظ الطبيعية، وأن جميع الخلايا تحتوي على ساعة تنظم كيفية تكيف الخلايا مع التغيرات في البيئة والنشاط على مدار كامل اليوم.

> **الأفراد الذين يمارسون الرياضة عند المساء يتمتعون بنوم أفضل ولفترة أطول، مقارنة بغيرهم**

كما وجد فريق البحث خلال دراسة أجراها على الفئران أنها تتكيف مع ممارسة التمرينات الرياضية بشكل أفضل في الليل، لأن عضلاتها في تلك الفترة تحفز الجينات لمساعدتها على التكيف مع ممارسة الرياضة. وبما أن هذه الجينات موجودة أيضا في البشر، فهذا يعني أن البشر قادرون أيضا على الاستجابة بشكل أفضل لممارسة الرياضة في نفس الفترة.

وطالب فريق البحث الرياضيين بمعرفة الوقت الذي يجب أن يمارسوا فيه التمرينات، والاسترشاد بنتائج الدراسة مستقبلا لتحسين وظيفة العضلات.

وأوضح الأطباء أنه إذا تم تحسين وظيفة العضلات فستكون خطوة حاسمة في فهم كيفية تأثير حرق الجلوكوز عند مرضى السكري. ومما لا شك فيه أن التمارين الرياضية ضرورية، كما أن الطعام الصحي ضروري حتى ينعم الجسم بالصحة والعافية.

ومن فوائد إجراء التمارين الرياضية عند الظهيرة السيطرة على الوزن، وتقليل خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية، وتخفيض نسبة الإصابة بمرض السكري من النوع الثاني، والتقليل من متلازمة الأيض التي ينجم عنها تراكم الكثير من الدهون حول الخصر، والتقليص من ارتفاع ضغط الدم، وانخفاض نسبة الكولسترول المفيد، وارتفاع نسبة السكر في الدم.

ويؤكد الخبراء أن الوقت الموصى به لممارسة التمارين الرياضية يرتبط بالساعة البيولوجية الخاصة بالجسم، مشيرين إلى أن الساعة البيولوجية هي دورة يوميّة تُنظّم جميع الوظائف الفسيولوجيّة كاليقظة، وضغط الدم، ودرجة حرارة الجسم.

وقال الخبراء إن كلّ شخص يمتلك إيقاعا يمتد على كامل اليوم ويمكن تعديله أو توظيفه لمساعدة الجسم على الأداء بشكل أفضل في أوقات معيّنة، موضحين أن هذه المسألة تتشابه إلى حدّ كبير مع ضبط توقيت المنبّه على موعد جديد.

وبينوا أن الجسم من شأنه أن يواجه صعوبة في الاستيقاظ في الموعد الجديد خلال الأسبوع الأول أو الأسبوعين، لكن مع مرور الوقت سيعتاد الجسم على الاستيقاظ في هذا الموعد أو قبله بقليل.

ودحضوا فكرة الاعتقاد بأنّ هناك وقتا محددا من اليوم هو الأفضل لممارسة التمارين الرياضية بالنسبة للجدول الزمني وقدرة الجسم، وأشاروا إلى انه مع الوقت سيعتاد الجسم على هذا التغيير وسيصبح روتينا يوميا .

وتعتبر ممارسة الرياضة هامة بغض النظر عن الوقت الذي تؤدى فيه من اليوم حيث إنّ المهم هو إيجاد الوقت المناسب لها.

ويمكن تجربة ممارسة التمارين في الصباح، وفي الظهيرة، وفي وقتٍ مبكر من المساء لمعرفة الوقت المناسب الذي يستمتع به الشخص ويشعر بالتحسن، كما يمكن التنويع في الأوقات والتمارين للمحافظة على النشاط وعدم الملل.

ويحذر الخبراء من ممارسة الرياضة بعد الوجبات مباشرة وينصحون بالانتظار حوالي ساعة ونصف بعد تناول وجبة ثقيلة للقيام بالتمارين الرياضية؛ وذلك لأنّ الدم الذي يحتاجه الجسم لحركة العضلات يذهب إلى الجهاز الهضمي للقيام بعملية الهضم.

وقد وجدت بعض الدراسات أنّ قدرة الجسم على ممارسة الرياضة تكون أعلى في فترة ما بعد الظهر وفي المساء، وأن درجة حرارة الجسم تكون في أعلى مستوياتها بين الثانية والسادسة، وهي الفترة التي يكون فيها الجسم أكثر استعدادا للرياضة، ممّا يعزز من قوة العضلات، ونشاط الإنزيمات، والقدرة على التحمل.

وأشارت الدراسات ذاتها إلى أن سرعة ردّ فعل الجسم تزيد بعد الظهر وفي المساء.

تمارين قوة التحمل تحسن الحياة الجنسية لدى الرجال

برلين - تساهم تمارين قوة التحمل في إنقاص الوزن وزيادة معدلات طاقة الجسم اليومية، وتقلل من معدل الإصابة بأمراض القلب مثل ارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين وأمراض القلب التاجية، كما تحسن الأداء الجنسي للرجال وتقاوم ضعف الانتصاب.

قال الدكتور أليكس شرودر "إن ضعف الانتصاب لدى الرجال قد يرجع لأسباب عدة، منها ما هو عضوي ومنها ما هو نفسي".

وأوضح رئيس الرابطة الألمانية لأطباء المسالك البولية أن الأسباب العضوية لضعف الانتصاب تتمثل في التقدم في العمر حيث يتراجع إنتاج هرمون الذكورة "التستوستيرون" بدءا من منتصف الأربعينات وفي أمراض الأيض مثل السكري وأمراض الغدة الدرقية وأمراض الكبد وقصور الكلى.

وإلى جانب علاج الأسباب العضوية أو النفسية أكد شرودر على أهمية اتباع أسلوب حياة صحي يقوم على التغذية الصحية المتوازنة والمواظبة على ممارسة الرياضة، خاصة الجمع بين رياضات قوة التحمل كالركض وتمارين تقوية العضلات.

وتجمع رياضات قوة التحكم بين تمارين الأيروبيكس ووزن الجسم ورفع الأثقال والجمباز والتجديف والسباحة وركوب الدراجات.

وتتمثل قوة التحمل في قدرة أعضاء الجسم على مقاومة التعب خلال المجهود المتواصل ما يعني مدى الاحتفاظ بالتوتر العضلي لفترة زمنية طويلة.

وكشفت دراسات علمية أن تمارين رفع الأثقال تحفز الجسم على إنتاج هرمون التستوستيرون المسؤول عن الدّفع الجنسي للرجال. لذلك ينصح خبراء اللياقة البدنية بالقيام ببعض تمارين الضغط والمعدة والبطن التي تساعد في بناء العضلات وتساهم في تحسين العلاقة الحميمة عن طريق تعزيز الكتفين والصدر والبطن.

كما تساعد تمارين كيجل في التحمّل والتحكّم من خلال تنغيم العضلة العانيّة التي تمكّن من وقف تدفّق البول في منتصف عملية التبوّل، وكذلك تقوية عضلات قاع الحوض في الجسم. ويمكن الاستعانة بهذه التّمارين لتأخير القذف عن طريق قبض هذه العضلات. وتساعد تمارين كيجل الرجال في علاج ضعف الانتصاب والتحكم في سرعة القذف حيث تعمل على إغلاق مجرى البول وفتحه. كما تعمل هذه التمارين على تحسين تدفق الدم إلى الأوردة الموجودة في الجهاز التناسلي للرجل كما تساعده على تقوية عضلات الحوض.

> **الجمع بين رياضات قوة التحمل كالركض وتمارين تقوية العضلات، يحسن الأداء الجنسي لدى الرجال**

ومن المفضل ممارسة تمارين كيجل بانتظام للحصول على عضلات حوض قوية ومشدودة وينصح خبراء اللياقة بأخذ راحة بين كل وضعية وأخرى لمدة عشر ثوان ثم إكمال التمرين.

وأثبتت دراسات حديثة أنّ التّمارين الرياضيّة تقلّل من خطر ضعف الانتصاب بنسبة 30 في المئة. والمشي السّريع من شأنه تحسين الانتصاب عن طريق تحسين الدورة الدموية وتدفق الدم وكذلك تعزيز فرز هرمون الأندورفين الذي يعمل على الاسترخاء، ممّا يعزز الأداء الجنسي لدى الرجل .

كما يمكن للسباحة لمسافات طويلة أن تبقي الرجل مندفعا، وممارستها لمدة 30 دقيقة على الأقلّ ثلاث مرّات في الأسبوع تزيد من قدرة التحمّل الجنسي لديه باعتبار أنّ النشاط الجنسي مرتبط بالتحمّل.

وأكد الأطباء أن قوة التحمّل تستمد من خلال الاعتماد على قدرة القلب على ضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم، وبالرغم من أن القلب يعتبرُ عضلة، إلا أنّها لا يمكن إخضاعها للتدريب بشكل مباشر، مشيرين إلى أن هذه العضلة تحصل على التدريب بواسطة تدريب مجموعة كبيرة من العضلات الأخرى، خاصّة عضلات الساقين واليدين. وقال خبراء اللياقة إن بعض التمارين مفيد لقوة التحمل، مثل الجري السريع، والسباحة، وركوب الدراجات الهوائية، والتزلج على الماء، والجمباز، والتجديف. وأكدوا على أن الجري باستخدام أكياس من الرمل تحمل على الأكتاف بوزن يتراوح ما بين 25 و30 في المئة من وزن الجسم، يساهم في تقوية العضلات ويزيد بالتالي من قوة التحمل.

كما نصح الخبراء بترطيب الجسم بشكل مناسب للحدّ من التقلصات العضليّة وإرهاقها، والحصول على أكبر قدر مناسب من البوتاسيوم والصوديوم، وشرب ما يقاربُ ثلاثة أكواب من المياه قبل البدء في أيّ تمرين يحتاج قوّة .

مع مراعاة أداء تمارين الإحماء، والاعتماد على التمارين القويّة، مثل القرفصاء، والقفز، وغيرها من التمارين التي تحسّنُ من ديناميكيّة الجسم، وتحد من خطر الإصابة بالصدمات والشدّ العضليّ.

كما نصحوا بوجوب الاستراحة لمدة دقيقتين بين كل تمرين وآخر وارتداء حذاء رياضيّ جيد للقدمين، يسمح بزيادة التحمّل، ويساعدُ على تأدية التمارين الرياضيّة بشكل أفضل وتنفيذ تمارين قوية بمعدل ثلاث مرات في الأسبوع بمعدل يتراوح ما بين 30 و40 دقيقة في اليوم، واتباع نظام غذائيّ جيّد يحتوي على الكربوهيدرات لتحل مكان الجلوكين، وهذا ما يزيد من زيادة حرق السعرات الحراريّة، وتزويد الجسم بالبروتين ومشتقّاته. وممارسة ركوب الدراجات بمعدل يتراوح ما بين مرتين و3 مرات في الأسبوع.

تمارين الظهيرة ناجعة

معركة للدفاع عن «الذوق العام» أم استفزاز للشباب

منع التعامل مع مطربي المهرجانات يثير سخط الشباب في مصر ويزيد تعلقهم بأغانيهم

كشف قرار نقيب الموسيقيين المصريين، المطرب هاني شاكر، منع التعامل مع المغنين الشعبيين أو ما يعرف بمطربي المهرجانات، عن غياب الآليات الرسمية لفهم طبيعة الفنون الجديدة وأدواتها. كما أثار حفيظة قطاع كبير من الشباب المصريين، معتبرين القرار إعادة إنتاج لنفس وسائل المنع التي تكررت عشرات المرات وحققت نتائج عكسية في أوساطهم.

أصوات ممنوعة من الدولة مرغوبة من الشباب

محمود زكي
كاتب مصري

قبل نحو 15عاما، ظهر ثلاثة شبان في مدينة الإسكندرية أطلقوا على أنفسهم فرقة "الدخلاوية"، وقاموا بتأليف مجموعات من أغان غير معتادة، وأطلقوا عليها اسم "المهرجان" تمزج بين موسيقى الراب والتكنو، وهي موسيقى إلكترو – شعبي بصبغة محلية.

وحققت الفرقة نجاحا غير متوقع، وسرعان ما ظهرت عشرات الفرق. وفي غضون سنوات تحولت موسيقى المهرجانات إلى الموسيقى الأكثر شعبية واستماعا على مستوى مصر ودول عربية.

وعلى مدار عقد من الزمان، انطلقت أجراس إنذار متعددة تحذر من ذلك "الفن الرديء". وجاءت التحذيرات تارة من الحكومة وأخرى من جهات فنية وثقافية، آخرها إعلان نقابة المهن الموسيقية وقف التعامل مع أيّ جهة تتعامل مع مطربي المهرجانات. وهو القرار الذي ترك الكثير من الجدل وأثار سجالات لدى فئات عديدة من الشباب الذين يستهويهم هذا النمط من الموسيقى.

وشكلت الأغلبية من الشباب رفضا للقرار. وتحولت المسألة من السخرية من حالة المنع إلى "ترند" على المنصات المختلفة. وندد كثيرون بالقرار السلبي باعتباره غير مجد، وأقرب إلى رغبة سلطوية أكثر من أنه يهدف إلى حماية الذوق العام. وخرج البعض منتقما من قرار الفنان هاني شاكر، بالسخرية المباشرة من كلمات وألحان أغانيه.

ولا تعد ظاهرة تقديم فنون بسيطة وليدة المجتمع المصري وحده، فقد تكررت في الكثير من الدول الغربية، ومع بداية الألفية الجديدة ارتفعت أسهم أغاني "الميتيل الأسود"، وأصبحت حديث الشباب، رغم حالة السخط التي صاحبتها وقتها، أما الآن فباتت أغاني "الراب" و"كونتري" أكثر شعبية منها، ولم يعد أحد يتذكر تلك الفترة.

منع لا احتواء

تتبنى الحكومة في مصر مبدأ "المنع خير وسيلة للدفاع". وعلى الرغم من تغير القضايا المثيرة التي تتعلق بالشباب، بقي الحل الأسهل هو التعلل بحماية الأجيال الجديدة من الانهيار الأخلاقي التي تتسبب فيه بعض كلمات الأغاني الخادشة للحياء.

ولا يعتبر الجدل الذي رافق الأغنية الشعبية وليد اللحظة بل تبادلت الأجيال وعلى مدار أكثر من قرن من الزمان الاتهامات بكونها تحمل مسؤولية انهيار الفن. فظهور عبدالحليم حافظ ومحمد رشدي قبل عقود طويلة، اعتبره كبار النقاد مؤشرا على انهيار فن محمد عبدالوهاب وأم كلثوم.

وحين اخترقت أغاني المطرب الشعبي محمد عدوية وحسن الأسمر وحكيم، مسامع الملايين خرج أنصار عبدالحليم ورشدي يناشدون المسؤولين إنقاذ عالم الطرب من الانهيار

ويختار المسؤولون في كل مرة أن يكون منع الفن الصاعد ومحاصرته هو الحل. وفي كل مرة أيضا كان ينتهي الأمر بفشل ذريع والمزيد من الشعبية لصالح ذلك الفن الجديد، وارتفاع تعلق شريحة كبيرة من الشباب به.

ويستند هاني شاكر في قراره، على فكرة حماية الشباب من الكلمات الفاسدة والمحرضة، ومنع التشجيع على تناول المخدرات أو معاكسة المرأة أو تمجيد البلطجة والعنف، مصرا على رفض وصف تلك الأغاني بالفن الذي يمتلك جمهورا واسعا لدى الشباب.

وشمل قرار المنع الممثل والمطرب المصري محمد رمضان حيث أصدر نقيب الموسيقيين هاني شاكر تنبيها إلى كل المنشآت السياحية والبواخر النيلية والملاهي الليلية، بعدم التعامل مع مطربي المهرجانات.

جزء من حياة الشباب

برر نقيب الموسيقيين قراره بالحالة السيئة التي باتت تهدد الفن والثقافة العامة بسبب ما يسمى بأغاني المهرجانات، معتبرا إياها نوعا من أنواع موسيقى وإيقاعات الزار وكلمات موحية ترسخ لعادات وإيحاءات غير أخلاقية في الكثير منها، قد أفرزت ما يسمى بـ"مستمعي الغريزة".

ورغم أن رحلة صعود هاني شاكر الغنائية صاحبها الكثير من اللغط والهجوم، وفشل في فهم عقلية الشباب وطباعهم، واستبدل الاحتواء المطلوب للأجيال الجديدة بسياسة الوصاية التي لا تزيد الشباب إلا عنادا، ولا تضيف سوى المزيد من الفجوة بينهم وبين المجتمع.

وتعتبر المهرجانات جزءا من حياة الشاب المصري، حيث يلتقي معها بداية من ركوب وسائل المواصلات مثل الميكروباص أو التوك توك أو التاكسي، وقد اعتلت موسيقى المهرجانات المراتب الأولى الأكثر استماعا على منصات التواصل، كما سيطرت على الحفلات والسهرات التي يرتادها الشباب.

"وبمنطقة "أولاد علام" الشعبية القريبة من حي الدقي الراقي تتردد كلمات أغنية "رب الكون ميزنا بميزة.. الرجولة والنفس عزيزة"، كلمات قليلة يعاد تكرارها عدة مرات، قادمة من مذياع صغير داخل "توك توك" يقف في حارة لا تكفي لمرور شخص وسيارة معا، أين يقف أيضا أحمد سلامة، الشاب العشريني العاطل، ممتعضا بعد أن اخترقت خلوته الغنائية، بسؤال عن سبب حبه لتلك الأغنية، فأجاب محاولا البحث عن صيغة وافية، "الأغاني تفرحنا وتسعد الناس.. فلماذا لا نحبها".

وأضاف لـ"العرب"، "أعمل سائقا لتوك توك منذ خمس سنوات، ويطلب مني الزبائن من الشباب سماع أغاني المهرجان الشعبية، لأنها تخفف عنهم ضغوط الحياة اليومية، حيث لا يحتاجون إلى التفكير في الكلمات، كل ما عليهم فعله هو ترك آذانهم تذوب مع كلمات ولحن الأغنية المبهج."

يفضل سلامة وغيره من الشباب المحبين للمهرجانات، أغاني مثل "رب الكون" للمطرب حمو بيكا، لأنها تتحدث بلغتهم البسيطة، وتحمل تقاليد الشارع والعديد من الحكم والمواعظ الحياتية في صورة أغنية.

وتعتمد موسيقى المهرجانات على نوع من موسيقى التكنو عن طريق برامج إلكترونية مع إدخال صوت المغني. أما الكلمات فمعظمها مستمد من موضوعات مرتبطة بالمناطق الشعبية في مصر، مثل المواويل الشهيرة التي يطرب لها الكبار والصغار.

ويتفق محمود مرسي، شاب في العقد الثلاثيني ويعمل في بنك أجنبي، ومولع بالاستماع لمهرجانات "أوكا وأورتيجا" الشهيرة، مع أحمد سلامة في أن تلك الأغاني الشعبية لا تحمل معنى ولا تقدم فنا حقيقيا، لكنها تعبر عنهم جميعا. وأكد أنه حمّل على هاتفه النقال أكثر من 200 أغنية لمطربي مهرجانات، أشهرهم علي سمارة وأحمد مدحت وكزبرة ونور توت، قائلا "الاستماع للأغنية الشعبية لأول مرة قد يثير اشمئزاز أو على الأقل استغرابك من الكلمات والألحان، لكن بعد الاستماع إليها مرة أخرى تجد نفسك تتمايل معها بل لا تستطيع كلماتها أن تفارق ذاكرتك".

وتابع "المهرجانات تمتلك سحرا حقيقيا يجعل جميع الشباب بمختلف فئاتهم يحبونها ويرفضون منعها، والسبب الحقيقي لحب المهرجانات أنها تعبر عن حالة الشباب دون تجميل أو تدليس للحقيقة، فإذا كانت الأغنية بها الكثير من الفوضى والسخرية فذلك حال الشباب الآن، وإذا كانت تتحدث عن تناول المخدرات أحيانا، فهو بسبب انتشار المخدرات في المناطق الشعبية بكثافة، وهي حقيقة لا نؤيدها، لكن لا يجب أن ننكرها".

يبدو السخط الشبابي ضد منع المهرجانات نابعا من أسباب رفضها وهذه الظاهرة تعكس تمرد الشاب ومعارضة تقييد تحركه أو آرائه ومنع السخرية من أفكاره. وقد تحولت المسألة إلى عناد أكثر منه إلى تركيز حول القضية ذاتها، ورأى الشباب أن منع المهرجانات تضييق على الحريات العامة وكبح لطاقات الشباب.

> بعد الجدل الذي أُثير بسبب أغنية «بنت الجيران» لحسن شاكوش وعمر كمال أصدر نقيب الموسيقيين هاني شاكر قرارا بإبعاد مطربي المهرجانات عن الساحة الغنائية

وظهر عادل شلبي، الطالب في السنة الثالثة بكلية التجارة – جامعة القاهرة، كشخص سعيد للغاية بعد أن استمع لأغنية واسعة الانتشار اسمها "بنت الجيران" للمطربين حسن شاكوش وعمر كمال التي أصبحت من أكثر الأغاني استماعا خلال شهر فبراير الماضي على موقع (ساوند كلاود).

وجاء قرار هاني شاكر على خلفية الجدل الذي أثير بعد حفل حسن شاكوش وعمر كمال بملعب القاهرة الدولي وغناء أغنية "بنت الجيران" بنسختها القديمة وما تحتويه من عبارات تشجع على الإدمان وشرب الخمر مثل "أشرب خمور وحشيش".

ووصفت النقابة كلمات الأغنية بـ"سفاسف" القول، وأصدرت قرارا بإيقاف عمر كمال عن العمل اعتبارا من 17 فبراير الماضي بسبب المخالفات التي تتعارض مع شروط العضوية.

وقف المهرجانات

عند سؤاله عن رأيه في قرار وقف المطربين الشعبيين، فكر قليلا قبل أن يطلق ابتسامة عريضة، وقال ساخرا "منذ قرار هاني شاكر، تغيرت حياتي، وأصبحت لا أتوقف عن سماع المقطوعة التاسعة لبيتهوفن والسمفونية السادسة لتشايكوفسكي."!

وأوضح أن القضية برمتها أضحوكة كبيرة، ومثال آخر لمواقف عنصرية متشددة، وأن كل ما يرغب فيه نقيب الموسيقيين هو فرض حظر على الشباب ومحاولة تشكيل عقولهم عنوة.

ويؤكد شلبي على أنه أول من يؤيد قرار المنع إن كان وقف المهرجانات سوف يرفع من مستوى وعي المصريين ويجعلهم أكثر انفتاحا ورغبة في الإصلاح ومحاربة الأفكار المغلوطة، مشيرا إلى أن مشكلة الأجهزة الفنية الرقابية في أنها تحارب الجهل بشكل سطحي، وبدلا من رفع المستوى العلمي وسد احتياجات الأفراد تقرر حل المشكلات بالقوة.

ويشبه شلبي قرار منع المهرجان الشعبي بقرار الحكومة منع الحضور الجماهيري لكرة القدم بسبب الفوضى والعنف، واصفا ذلك بنفس العقلية التي تختار دائما الحل السهل الذي لا يستلزم الكثير من التغيير والإصلاح، والكفيل بالمزيد من التدهور.

من جهة أخرى يقلل أحمد علم الدين، أستاذ علم الاجتماع بجامعة حلوان، من أهمية قرار محاصرة الأغاني الشعبية، لعدم قيمة المهرجان الغنائي ككل، ويعتبره لمحة عابرة، ودورة حياته قصيرة، وهو تعبير عن حالة ما في وقت زمني يتبدد مع ظهور حالة جديدة، ويرتبط بأسلوب تعامل الجهات المعنية نفسها مع الظواهر الجديدة.

ويشير علم الدين إلى أن أزمة أغاني المهرجانات تتمثل في أنها لا تخضع لرقابة فعلية،

وقال "كان من الأكثر منطقية احتواء المطربين تحت مظلة نقابة الفنون الموسيقية، لإعادة تدوير تلك الأغاني الشعبية بصورة تقدم فنا مقبولا وتمنع الإسفاف والإيحاءات غير الأخلاقية لدى الشباب".

ويفسر علم الدين، حب الشباب لتلك النوعية من الموسيقى بارتباط تكوين وشخصية الشاب عموما بالتجديد والتمرد على ما هو مألوف، والبحث عما يعبر عن الذات في صور مستفزة للأجيال الأكبر التي تلعب دور الواعظ والموجه.

وخلق قرار منع التعامل مع مطربي المهرجانات أزمة في صفوف عدد من الشبان والشابات المقبلين على الزواج ومنهم لطيفة منصور التي تخشى إلغاء الحفل بعد أن أبلغتها إدارة الفندق أنها لن تسمح بدخول المطرب الشعبي مجدي شطة لإحياء الحفل بالفندق انصياعا لقرار النقابة.

وأصيبت منصور بالدهشة أكثر عندما أخبرها والدها أنه عليها عدم إذاعة أي مهرجان بالحفل لأن ذلك حرام شرعا، بحسب ما أقرت به دار الإفتاء المصرية بحجة أن هذه الأغاني تحرض على الفسق وتهدد أخلاق المجتمع.

وقالت لطيفة منصور التي تحب سماع أغاني المهرجانات إنه من دونها لا داعي لإقامة حفل زفاف لأن المدعوين من الشباب يفضلون الرقص على موسيقاها أكثر من أي أغنية أخرى. وأضافت "المهرجانات تغير المزاج الشخصي وتدفع إلى الرقص والتعبير عن الذات وإخراج الطاقات السلبية وتخفف من توتر الحياة عند الشباب والفتيات."

فن بسيط

بدت الشابة غاضبة من كم القرارات التي صدرت فجأة ضد الأغاني الشعبية، لأنها أعطت حجما أكبر لفن شعبي بسيط يملأ القلوب بالسعادة وتساءلت "هل هي حقا معركة للدفاع عن الذوق العام أم أنها محاولة لاستفزازنا مرة أخرى؟

> في غضون سنوات تحولت موسيقى المهرجانات إلى الموسيقى الأكثر شعبية واستماعا على مستوى مصر ودول عربية

ويكشف الربط بين الأغنية الشعبية التي تتحدث عن الصراعات والعلاقات بين البشر بلغة بسيطة وسهلة، وبين التراث الشعبي الذي ظهر على مدار التاريخ في "حكايات الأراجوز" في النجوع، وأغنيات عازف الربابة في المقاهي، وسرديات شعراء العامية المستمدة من السيرة الهلالية ورحلات السندباد، وغيرها من الفنون الشعبية البسيطة، عن أسباب نجاح المهرجان وتعلقه بالآذان. فالأغنية الشعبية لغة واحدة يتحدث بها الجميع، وهي تكوين لأنشودة تجمع البساطة واللغة الدارجة والكلمات المعبرة ولحنا صاخبا بوتيرة راقصة. وهو الأمر الذي يرتاح له الشباب.

ويرى المهتمون بالشأن الثقافي في مصر أنه من الأفضل للحكومة تبنّي المهرجانات بصورة مختلفة مثلما فعلت عندما دعمت إطلاق عدد من مطربي المهرجانات لأغان شعبية قصد توعية الشباب ضد الإرهاب، وأشهرها "كل شارع في مصر"، وقام بتأديتها ستة مطربين للمهرجانات هم أحمد لبط وعلاء فيفتي وحودة بندق وشاكوش ومحمود العمدة وحلبسة.

وأشاروا إلى أن تلك الظاهرة يمكن أن تكون البديل المناسب للتعامل مع المهرجانات كي تستوعب المطربين لتأثيرهم الواسع على صفوف الشباب. كما تعيد استغلال الموقف ليصبح هؤلاء المغنون أداة تضخ رسائل مفيدة لقطاع كبير من الشباب بصورة غير مباشرة.

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

النساء في عالم السياسة إنجاز حقيقي أم حضور شكلي

عنف معنوي ومادي يضيق الخناق على المرأة العربية في عالم السياسة

"العالم يحتاج ثورة تقودها امرأة"، لم يكن تبني هذه المقولة من قبل عدد كبير من المحتجين على أنظمة بلدانهم الدكتاتورية في العالم العربي اعتباطيا، بل يكشف عن شغور المناصب السياسية شبه الكلي من العنصر النسائي، وترى دراسة عربية حديثة في العنف الممارس ضد المرأة بالبرلمان أحد الأسباب التي تدفع المرأة إلى الإحجام والخوف من الترشح للانتخابات، وعائقا يحد من حرية تعبيرها عن مواقفها ومعالجة قضاياها.

شيماء رحومة
صحافية تونسية

تختلف نسبة مشاركة المرأة العربية في الحياة السياسية من دولة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر حسب منظومة القوانين والقيم والأفكار التي تسود المجتمع. وشهدت العقود الأخيرة زيادة واضحة في وتيرة دعوات تمكين المرأة وإفساح المجال أمام مشاركتها في الحياة السياسية.

وعلى الرغم من هذه الدعوات الحثيثة، إلا أن جهود انخراط المرأة في الحياة السياسية لا تزال تواجه العديد من العقبات.

ويرى بعض المحللين أن هذه العقبات تكمن في أمرين أساسيين، أولهما قبول المجتمع نفسه باضطلاع المرأة بدور قيادي، وثانيا مدى انفتاح الأحزاب السياسية لإشراك المرأة في كوادرها.

كما يرتبط ضعف مشاركة المرأة، بضعف العمل السياسي العام في بعض الدول العربية نتيجة غياب تيارات سياسية وحزبية قوية وفاعلة.

رحاب حنان

نحتاج إلى ثقافة جديدة تنتصر لحق المرأة بالتواجد في الفضاء العام

فاطمة خطري

المشاركة السياسية تقف أمامها عوائق اجتماعية وعقلية المجتمع الذكوري

ولفتت سلوى سعيد، محللة سياسية أكاديمية، ومرشحة برلمانية سابقة، إلى أنه في الكويت "لم يلعب التمييز فحسب دورا في ضعف تمثيل المرأة في عالم السياسة، بل يكمن هذا الضعف أيضا في غياب الأحزاب الذي أثر سلبا على نسب تمثيل المرأة".

وأوضحت سعيد لـ"العرب" أن "هذا عائد إلى أن أسلوب الانتخاب يعتمد على الفردية التي تعمق دور الرجل وتهمش المرأة، نظرا إلى أن المجتمع لأسباب ثقافية ودينية يميل إلى تفضيل الرجل في العمل السياسي على المرأة، وقد عمق عدم وجود الأحزاب هذه المشكلة".

إلا أن عددا من التقارير والدراسات يعتبر أن مستقبل المشاركة السياسية والمجتمعية للمرأة متوقف على المرأة ذاتها ومدى قدرتها على التصدي لمحاولات تهميش دورها في المستقبل من قبل بعض القوى والنخب السياسية، ومدى قدرتها على الحفاظ على المكتسبات المجتمعية التي نالتها سابقا والتي جاءت نتيجة نضالها الطويل، وليس منحة أو هبة من أحد.

فالمرأة العربية تتحمل أيضا جزءا كبيرا من مسؤولية قلة تمثيلها السياسي، نظرا لصمتها أمام عدم جدية الأنظمة العربية الحاكمة في إفساح المجال لها للمشاركة في صنع القرار.

وتؤكد نساء كثيرات أن محاولاتهن للخروج عن هذا الصمت، غالبا ما تبوء بالفشل في إقناع المسؤولين العرب بأهمية دورهن في الحياة العامة والسياسية، أو الأصح لا يسمح لهن بذلك بسبب كمّ العقبات والعراقيل التي تُوضع في طريقهن للحد من تقدمهن وانطلاقهن نحو تحقيق طموحاتهن على جميع الأصعدة.

وتعد مشاركة المرأة في الحياة السياسية ذات وجهين: يكمن الوجه الأول في الترشح في الانتخابات، حيث تقرر خوض معترك الحياة السياسية بنفسها، والعمل من داخل المطبخ السياسي. أما الوجه الثاني فيتمثل في الانتخاب، حيث تُقرر أن يكون لها صوت ودور في تحديد من يمثلها حتى يدافع عن حقوقها ويعبر عن مشكلاتها واهتماماتها.

وأظهرت الكثير من الإحصائيات المتعلقة بمدى تمكين المرأة العربية من ممارسة حقها في الترشح والانتخاب، أن نسب المترشحات عرفت تراجعا وتذبذبا، وقد صرحت وزيرة المرأة والأسرة والطفولة التونسية السابقة، نزيهة العبيدي، مؤخرا، في مؤتمر صحافي على هامش الاجتماع الدوري لمجلس النظراء للمساواة وتكافؤ الفرص بين المرأة والرجل، "أنه رغم الجهود الوطنية المبذولة من أجل تكريس المساواة بين الجنسين، فإن نسب حضور المرأة في مواقع القرار والمسؤولية ما زالت دون المأمول".

وأضافت العبيدي أن نسبة حضور المرأة لا تتجاوز 26 في المئة بمجلس نواب الشعب حاليًا مقابل 33.2 في المئة سنة 2014، و18.75 في المئة صلب الحكومة بـ6 أعضاء فقط من النساء (4 وزيرات وكاتبتا دولة) من مجموع 32.

كما أظهر استطلاع أجرته مؤسسة تومسون رويترز وشمل اثنتين وعشرين دولة عربية، أن ثلاثا من بين الدول الخمس التي طالتها انتفاضات الربيع العربي منذ عام 2011 –تونس وليبيا ومصر واليمن وسوريا– احتلت المراتب الأخيرة ضمن قائمة الدول العربية التي تراجعت فيها حقوق المرأة.

فقد احتلت مصر –طبقا للاستطلاع– المرتبة الأخيرة على القائمة. وجاء كل من اليمن وسوريا في المرتبتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة على التوالي.

واستندت نتيجة الاستطلاع إلى تقييم 336 خبيرا في حقوق المرأة بشأن مدى احترام الحكومات العربية للبنود الأساسية الخاصة باتفاقية الأمم المتحدة من أجل القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، إضافة إلى مدى انتشار ظاهرة العنف ضدها. كما شمل التقييم أيضا دورها في السياسة والاقتصاد.

العنف وراء ضعف التمثيل

كشفت دراسة عربية حديثة عن جملة من الأسباب الكامنة وراء هذا التمثيل الضعيف للمرأة في الحياة السياسية.

ورصدت الدراسة التي أجرتها شبكة البرلمانيات العربيات للمساواة "رائدات" تحت عنوان "العنف ضد النساء في السياسة: البرلمانيات العربيات نموذجا"، ما تتعرض إليه البرلمانية من عنف.

وخلصت إلى أن نسبة 80 في المئة من البرلمانيات في الوطن العربي يتعرضن لعنف ممنهج، تختلف مصادره وأشكاله، ولا تتوقف ممارسته على جنس معين، فقد شكلت المرأة مصدرا للعنف يمارس ضد المرأة بنسبة 11 في المئة، في حين مثل الرجل47 في المئة.

وتقول رحاب حنان، نائبة برلمانية مغربية، "يجب الإقرار بأن الأرقام التي أوردتها الدراسة مخجلة ولاسيما أن الأمر متعلق بنساء رائدات تمكنّ من ولوج مؤسسة تشريعية".

وتعتقد حنان أن "من بين الأمور التي تشجع على العنف ضد النساء غياب قوانين منصفة، فإلقاء نظرة على القوانين التي تجرم العنف ضد المرأة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، يبين أنه توجد دولتان فقط هما المغرب والأردن من أصل عشرة بلدان في المنطقة لديهما قوانين لمكافحة العنف الأسري".

وتابعت النائبة البرلمانية المغربية "أما العنف الممارس داخل المؤسسات والشارع فالقوانين المجرمة –إن وجدت– تظل محتشمة كما أن إثباتها يظل صعبا وأحيانا مستحيلا".

وأضافت أن "أدوات التنشئة في المجتمعات العربية وفي شمال أفريقيا تحتاج إلى التنقية، لأن القوانين وحدها لا تكفي، بل نحتاج كذلك إلى ثقافة تساعد الناشئ على تبني سلوكات جديدة تجاه النساء، تنبذ العنف وتؤمن بالمساواة الكاملة، وتنتصر لحق المرأة بالتواجد في الفضاء العام".

وأشارت إلى أنه "لم يعد مقبولا اليوم السماح بتمرير رسائل ميسوجينية (مصطلح يعني كره النساء أو ازدراء المرأة) في الإعلام، في المدرسة، في المساجد وفي كل الأماكن المتدخلة في تربية الإنسان لأنها تتحول وتترجم إلى فعل عنيف تجاه النساء".

ولعل هذا ما يفسر تبوّؤ الأصدقاء والعائلة المرتبتين الأولى والثانية على التوالي بحسب سجل الشكاوى المتكررة التي تقدمت بها البرلمانيات في حالات العنف، واللاتي تعرضن لها وفق ما جاء في الدراسة. وبذلك تكون الرسائل التي تكرس للمزيد من تهميش المرأة نجحت في تأليب حتى أقرب المؤيدين لها وتحويل البيئة التي كان من المفروض أن تكون بيئة مساندة وداعمة لها، إلى فضاء يمارس عليها ضغوطا مضاعفة.

ولم تكن الأحزاب التي تنتمي إليها بعض البرلمانيات بمنأى عن العنف الذي يمارس ضد المرأة، فالبرلمانية العربية تتعرض للعنف من قبل رئيس الحزب بنسبة 19.8 في المئة، ومن قبل زميل أو زميلة في الحزب بنسبة 15 في المئة.

وجاء في نتائج الدراسة أن التعرض للعنف يكون بدرجات متفاوتة مع اختلاف أشكاله وأساليب استخدامه وطرق ممارسته، ويتمركز العنف النفسي بنسبة 76.2 في المئة بالقائمة، يليه العنف اللفظي المميز جنسيا 47.1 في المئة،

فالاقتصادي وغير ذلك من أشكال العنف.

وهذا ما يكشف أن من أسباب إحجام الكثيرات ممن يحملن شهائد جامعية وكفاءات علمية عن الترشح للانتخابات البرلمانية وحتى الرئاسية، خوف المرأة من البيئة الانتخابية وما يرافقها من منافسة شرسة وحملات إعلامية وتبادل للانتقادات.

وتطرح هذه الدراسة العديد من التساؤلات حول مستقبل المشاركة السياسية للمرأة في ضوء الأرقام التي أظهرتها نتائجها.

تجربة شخصية

استشهدت المحللة السياسية الكويتية بتجربتها الخاصة، قائلة "تعرضت أثناء حملتي الانتخابية في العام 2006 لهذه الأشكال من العنف، حيث تم تخريب مقري الانتخابي خلال أيام ترشحي"، لافتة إلى أن ما تعرضت له موثق وحظي بتغطية إعلامية كبيرة بوصفها كانت المرة الأولى التي يسمح فيها بالترشح للمرأة في الكويت.

وأضافت سعيد "لقد كانت تجربتي الأولى. عملية التخريب أضعفت حملتي الانتخابية ولم أقوَ على استكمال الحملة بذات الوتيرة التي انطلقت بها والتي أطمح إليها، وطبعا فهذا قد أثر على حظوظي في الانتخابات، بالإضافة إلى قصر الحيز الزمني المتاح للانتخابات، وهو ما ساهم في جعلي لا أحظى بفرص متساوية مع المرشحين الآخرين".

وأشارت إلى أن "التفاعل الإعلامي كان سلبيا للغاية في البداية"، متابعة أن "تغطية أنشطة المرأة في المجال السياسي كانت تتم بطريقة هزلية، إذ لم تكن تحمل موضوع المرأة في السياسة محمل الجد، بل كان هناك استخدام للخطاب الديني للحط من قدرات المرأة ولتهميش دورها السياسي، إلى جانب توظيف استخدام القوالب الاجتماعية والأفكار المجتمعية أيضا لإجبار المرأة على الإحجام عن المشاركة في الانتخابات وهذه ظاهرة مستمرة إلى اليوم".

إلا أن الوزيرة السابقة والنائبة الحالية في البرلمان الموريتاني، فاطمة خطري، تقول إن التعرض للعنف يمكن أن يلحق الرجال البرلمانيين أيضا.

وتابعت خطري في حديثها لـ"العرب" "فعلا المشاركة السياسية تقف أمامها عوائق اجتماعية وعقلية المجتمع الذكوري خاصة كلما تعمقنا في المجتمع الريفي القبلي، بالإضافة إلى العوائق الاقتصادية، فضعف القدرة المالية لدى غالبية النساء يجعلهن شبه عاجزات عن خوض انتخابات تنافسية للمال فيها دور كبير".

وأضافت "وهناك أيضا ضغوط الالتزام الأسري والمسؤوليات تجاه البيت والأسرة والعمل والسياسة، كل ذلك يحد من فاعلية المرأة سياسيا في جو لا يسمح فيه الرجل بالتخلي عن مكانه للمرأة التي يكون دورها سياسيا أقل منه للأسباب الآنفة".

واعتبرت أن "المفارقة تكمن في أن المرأة في المجتمع الموريتاني تحتل مكانة متميزة في البيت والمجتمع لكن هذه المكانة لا تنعكس على المجال السياسي فلولا نظام الكوتا لما استطاعت المرأة أن تصل إلى ما وصلت إليه".

وأكدت أن "المرأة الموريتانية تواجه الكثير من العوائق والتحديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لكن عندما تصل إلى مركز القرار لا يبقى أمامها سوى تحدي فرض مكانتها ودورها".

وقالت خطري في خاتمة حديثها "حسب رأيي المكانة تنتزع ولا تعطى، فحتى الرجال بعضهم لا يستطيع احتلال المكانة لضعف قدرته على المنافسة".

ومع ذلك يبقى التمثيل النسوي فاقدا للمصداقية والفعالية، قياسا بأوضاع المرأة خاصة في المناطق الريفية والداخلية، بسبب هيمنة الذهنية الذكورية على هذه المجتمعات، واستحواذ العادات والأعراف البالية التي تصنف المرأة ككائن بشري مرادف لكل نقائص وإخفاقات الرجل.

وفي حال نجحت المرأة بالوطن العربي في الحصول على حقائب وزارية أو منصب سياسي، فعليها أولا التخلص من إرث العهدات البرلمانية السابقة، لأن قضيتها بشكل عام تتعلق بثقافة المجتمع ومن ثم فإنه لن يكن متوقعاً أن تتغير هذه النظرة المجتمعية بين عشية وضحاها.

تأثير سلبي على قضايا المرأة

عدم مشاركة النساء على نطاق واسع في الحياة السياسية يترك تأثيرا سلبيا ولاسيما على بعض القضايا الخاصة بالمرأة، يحمل في طياته حقائق تتجاوز مسألة العنف.

وتقول سعيد إن "كل القضايا التي تتعلق بالمرأة أو بالأسرة أو بالمجتمع تعالج بوجهة نظر أحادية، فكل خصوصيات المرأة والقوانين المتعلقة بها يقررها ويصوت عليها الرجال، لا يتم الأخذ بوجهة نظر المرأة، بل تكون وجهة نظرها مهمشة ومغيبة تماما". وذكرت أن "المرأة لا تستطيع على سبيل المثال أن تمنح أبناءها الجنسية في حين أن الرجل يسمح له بذلك، كما أن المرأة ليست لديها حقوق متساوية مع الرجل في الأمور المتعلقة بالإسكان والحقوق المعيشية".

وأضافت أن "هناك مثالا واضحا اليوم؛ المرأة إذا أدخل ابنها أو ابنتها إلى المستشفى ولم يكن الأب موجودا واحتاج هذا الطفل إلى عملية فإن الأم تعجز عن التوقيع على أي معاملات لتسهيل إجراءات خضوع ابنها لهذه العملية، فيصبح الطفل بذلك ضحية لهذه العقلية الذكورية الأحادية ما يعرض الأسرة بأكملها لمشاكل ليست لها علاقة بالمنطق أو بالواقع".

وتعود أزمة التمثيل والدفاع وتبني قضايا المرأة من طرف النخبة النسوية، بحسب مختصين، إلى استمرار عمل هؤلاء تحت عباءة الرجل، فكل النائبات والناشطات يشتغلن وفق أجندة ذكورية في الحزب أو الجمعية، بحيث لا تمنح الأولوية لقضايا المرأة ويتفرغن كما يتفرغ الرجال للقضايا والملفات الأخرى.

أردنيون يدعون المرأة إلى المشاركة السياسية

الكرك (الأردن) - دعت فعاليات مجتمعية في مدينة الكرك الأردنية، الشباب والمرأة إلى المشاركة في صنع القرار بالحياة السياسية بمختلف مراحلها وأشكالها.

ويرى القائمون على هذه الفعاليات أن الظروف التي يعيشها الأردن تتطلب مشاركة الجميع في التنمية السياسية لتسريع عملية التحول الديمقراطي وتحقيق التنمية المستدامة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتعميق التشاركية في صنع القرار من خلال تفعيل دور الشباب والمرأة ومنحهم مساحة واسعة بالتمثيل في المؤسسات المنتخبة.

ووفقا لوكالة الأنباء الأردنية (بترا)، قالت ميسون المبيضين، رئيسة تجمع لجان المرأة بالكرك، إن المرأة شريك أساسي في الحياة العامة، وهو ما يتطلب توعيتها وتدريبها من خلال برامج هادفة وموجهة، وإشراكها في عملية صنع القرار بإتاحة الفرصة أمامها للترشح والانتخاب بكل حرية ودون ممارسة أي ضغوط وتوصية من قبل أي جهة كانت.

وأشارت وصال الرهايفة، رئيسة فرع اتحاد المرأة بالكرك، إلى أن المرأة الأردنية أثبتت جدارتها وتميزها في جميع المواقع التي تقلدتها من خلال الأداء المتميز والحرص على تمثيل المرأة في كل الأدوار الاجتماعية والتطوعية والسياسية، وأصبحت الآن تتحمّل مسؤولية قيادة العمل الثقافي بحرفية وبإسهام نوعي من خلال البرامج التي أصبحت تلامس الفئات العمرية كافة في عدة أطر، أهمها الانخراط في العمل السياسي على أسس وثوابت وطنية.

وأفاد مهند المجالي، عضو منتدى الفكر للثقافة والتنمية، "دائما نتحدث عن المرأة من بناء تاريخي حمل معاني المشاركة في البطولة، وفي سياق آخر كان للمرأة دور في المشورة التي تمثلت بأن الزعماء كانوا يأخذون برأي نسائهم في مراحل الأمور الحرجة، واستمرت المرأة بذات النخوة لتكون قائدة في كل الميادين السياسية والاجتماعية برمزية مقدسة".

وبين قدر العمرو، رئيس جمعية "مبادرو الخير"، أن الشباب والمرأة شركاء حقيقيون وفاعلون بالمساهمة في الحياة السياسية بالأردن منذ بداية التأسيس إلى يومنا الحاضر؛ مما يتطلب زيادة في البرامج والمشاريع التوعوية والتحفيزية لتحقيق المزيد من المشاركة والانخراط في الحياة العامة.

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

غرف خالية من الأكسسوارات فضاء أرحب

الأثاث ذو الزوايا الحادة خطر على الأطفال

لندن - لا تقل غرف نوم الأطفال أهمية عن بقية غرف المعيشة داخل المنزل، لذلك يتطلب تأثيثها جهدا ودراية.

وتعدّ الرفوف المبتكرة ذات الأشكال الهندسية البارزة من أكثر علامات التصاميم الحديثة لغرف نوم الأطفال. وسواء كانت على شكل خزائن أرضية أو رفوف معلّقة فهي تعتبر من القطع الضرورية داخل كل غرفة.

ويركّز خبراء الديكور على لونين أو ثلاثة لجعل الغرف راقية وفخمة مثل ثنائية الرمادي والوردي أو الرمادي والأبيض للفتيات، أو تدرّجات ألوان الباستيل التي تتناسب مع الجنسين وتبعث الراحة في نفس الطفل.

وينصح الخبراء بالتركيز على اللون الأخضر الفاتح للفتيان والوردي الفاتح للفتيات مع إدخال مزيج من ألوان الباستيل في تفاصيل الغرفة.

كما يعدّ اللون الأزرق خيارا مثاليا لغرف نوم الفتيان والفتيات ومن المستحسن اختيار درجات الأزرق الداكنة مثل الكوبالت أو الأزرق الفاتح أو الفيروزي وتضفي درجات الأزرق مظهرا جميلا على الغرفة وتخلق تباينا جذريا مع الألوان الجريئة مثل البرتقالي أو الأرجواني أو الألوان المحايدة.

وكلما كانت غرف النوم بسيطة وقليلة الأكسسوارات كلما توفر للأطفال فضاء إضافيا للحركة والتنقل واللعب.

لذلك ينصح خبراء الديكور بعدم ملء الغرف بأشياء يمكن الاستغناء عنها ويمكن أن تمثّل خطرا على سلامتهم.

> كلما كانت غرف النوم بسيطة وقليلة الإكسسوارات كلما توفر للأطفال فضاء إضافيا للحركة والتنقل واللعب

ويؤكد الخبراء على ضرورة اختيار المفروشات المتينة، وذات النوعيّة الجيدة، مع الأخذ بالاعتبار أوزان الأطفال، وأطوالهم، وتوقّعات الزيادة في الفترة اللاحقة.

وينصح الخبراء باختيار الخشب الصلد أو الحديد ناعم الملمس لمفروشات غرف نوم الأطفال. كما ينصحون بالابتعاد عن قطع الأثاث والأكسسوار التي يمكن أن تؤذيهم مثل الزوايا الحادّة والخامات سريعة الاشتعال، مع تجنّب استخدام الشموع في تزيين غرف النوم.

كما يرون أنه من المفضل اختيار الأغطية والشراشف والستائر من أنسجة القطن والصوف والحرير لإبعاد الصغار عن الحساسية أو أي أعراض مزعجة أخرى.

وتعتبر الإضاءة عنصرا مكملا في تصميم ديكور غرف نوم الأطفال، لذلك ينصح الخبراء بدرس الأماكن والزوايا التي تتوزّع فيها، مع الابتعاد قدر الإمكان عن الإضاءة الأرضيّة غير المُستقرّة، أو تلك التي تقف في طريق الأطفال، وذلك حتى لا يحدث أي مشكل أثناء الحركة واللعب.

كما يجب العناية بالإضاءة القريبة من مكان دراسة الأطفال، والحرص على أن تكون كافيةً ومُناسبةً. وأشار خبراء الديكور إلى أن أيّ إرباك في توزيع الإضاءة، يُمكن أن يؤثر سلبًا في قوّة العيون، ويُعرّضها للإصابة بالخلل.

المخمل يضفي جاذبية على الأثاث الداخلي للمنزل

قطعة واحدة تغير المظهر الكلي لغرف المعيشة

اختار مصممو الديكور المخمل كأحد الاتجاهات التي تعطي مظهرا مبتكرا للتصميم الداخلي لأثاث المنزل. والجميل في استخدام المخمل هو أن قطعة واحدة من الأثاث مثل أريكة في غرفة المعيشة، من لون يتطابق مع بقية ديكور الغرفة، قد يغيّر المظهر الكلّي للغرفة.

برلين - أكد خبراء الديكور أن المخمل يعتبر من أجمل الأقمشة التي يمكن استخدامها في ديكور المنزل، نظرا إلى ما يتميز به من فخامة ورقي وأناقة وجمال، بالإضافة إلى جودة ملمس هذا النوع من القماش.

كما أوضحت مجلة "المنزل الجميل" الألمانية أن المخمل يتألق بألوان الأحجار الكريمة كالأحمر الياقوتي والأخضر الزمردي والأصفر الكهرماني والأزرق بلون الصفير.

وبيّن الخبراء أن العنصر الأبرز في الديكور المخملي في المنزل هو الأثاث الذي يمكن اختياره بتصاميم مختلفة، ويمكن اختيار الأثاث المخملي ذي اللون المحدد وتزيينه ببعض الوسائد المخملية المنقوشة أو بألوان مختلفة.

كما أشاروا إلى أن قماش المخمل من الأقمشة ذات الجودة العالية، وتعطي ألوانه الزاهية المنزل بهجة وجمالا، حيث إنه كان يستخدم في الأثاث مثل الكراسي والصالونات وغيرها من الأثاث. كما أنه كان يدخل في صناعة الستائر المخصصة لغرف النوم أو غرف الجلوس.

وأوضح الخبراء أن المخمل يستخدم في الكراسي بكافة أحجامها وأنواعها مثل الكرسي الرئيسي في غرفة الجلوس أو الكرسي الجانبي مما يجعلها تمتاز بمنظر رائع وجذاب.

وللمخمل جمال مبهر في أي مكان، الشيء الذي جعله يدخل عالم الديكور من أوسع أبوابه ليثبت مدى جاذبيته وقبوله ولمسته الجمالية.

ومن ميزات المخمل أنه من الأقمشة القليلة التي تليق بكل الألوان وتبرزها، من الأزرق النيلي، إلى البيج، الزهري الفاتح والفوشيا، والأحمر، والعنابي، والبنفسجي وغيرها.

ويضيف المخمل لمسة من الأناقة على القطعة المصنوعة منه ويمكن استخدام كراسي المخمل على سبيل المثال في جميع الأشكال والأحجام وفي أي غرفة في المنزل تقريبًا؛ فالكرسي المريح مناسب تمامًا في غرفة المعيشة، في حين أن كراسي تناول الطعام المخملية هي الأكثر راحة في غرف الطعام.

كما أن من أفخم وأغطية السرير هي المخملية. إضافة إلى أن خلفية السرير المخملية من أجمل الأشكال التي يمكن استخدامها في غرفة النوم.

ويضفي المخمل جوّا دافئا على الصالون، ويتماشى والديكور الكلاسيكي كما العصري حسب درجة لمعانه، ويتطلب الصالون العصري، لمعانا خفيفا، فيما الكلاسيكي يناسبه اللمعان القوي، ويعتبر المخمل أقلّ تكلفة من الجلد، رغم أن هناك أنواعا منه تضاهي أسعار مفروشات الجلد الطبيعية.

وتناسب كل الألوان مفروشات المخمل، لكن ينصح باستعمال الألوان الكلاسيكية؛ كالأبيض والزيتي والبنّي، لتلافي الوقوع في فخّ الألوان. وينصح خبراء الديكور بإدخال أحد الألوان القوية على قطع "الإكسسوارات" والوسائد، مفضلين عند اختيار "الإكسسوارات" الابتعاد عن الخفيفة والاستعانة بالضخمة التي تناسب المخمل.

> المخمل يستخدم في الكراسي بكافة أحجامها وأنواعها مثل الكرسي الرئيسي في غرفة الجلوس أو الكرسي الجانبي

ويميل المخمل إلى الصفة الشتوية نظرا إلى جو الدفء الذي يرسيه والحميمية التي يعززها، فلا يناسب أثاث الحدائق ولكنّه مثالي للصالون، خصوصا لأولئك الباحثين عن نفحة فخامة وترف.

وقد تكون بعض وسائد المخمل المتناثرة على السرير، والكنبات الجلدية أو حتى المصنوعة من قماش، خياراً رائعاً وذلك لحيويتها، ونعومة ملمسها واعتلائها أعلى درجات صيحات الموضة.

ولا شك أن تزيين المنزل بالوسائد لكسر الروتين واعتماد المخمل المادة الأساسية للسرير أو نثر الوسائد المخملية عليه إلى جانب الأغطية المخملية سيحقق أناقة فريدة.

الأرائك

يتميز قماش المخمل بمظهره الملكي وملمسه الناعم وألوانه الجريئة والنابضة بالحياة، كما يتناسب استعمال المخمل في معظم قطع الأثاث. وتتنوّع استخدامات قماش المخمل في ديكور المنزل، سواء في الأنماط العصرية والحديثة أوفي الأنماط الكلاسيكية الأنيقة الملكية.

وبمجرد وضع الأريكة المكسوة بقماش المخمل في الصالون، فإنه يضيف على الفور لمسة ساحرة وأنيقة للمكان، وتتنوع الألوان التي يمكن اختيارها للأريكة، بين اللون البني والأزرق الملكي والأخضر الداكن والأسود، وذلك لنمط كلاسيكي. بينما لنمط عصري وحديث، يمكن استخدام اللون الوردي أو الرمادي أو الأصفر أو الأزرق الفاتح.

ويمكن إضافة الوسائد المخملية على الأريكة كنوع من التغيير حتى وإن لم يكن الأثاث من المخمل، على الرغم من أنه اكسسوار بسيط إلا أن له تأثيرا كبيرا على ديكور المنزل. من الأفكار اللطيفة أيضاً وضع الوسائد المخملية الكبيرة على أرضيات الصالونات أو أسفل الطاولات الصغيرة، من الممكن أيضا اتباع هذا النوع من التغيير في فصل الشتاء كون المخمل يعتبر ديكورا شتويا.

وقد يستبعد بعض الأشخاص فكرة اقتناء القطع المخملية، وذلك لتصورهم صعوبة إزالة البقع منها، لكن استخدام المكنسة الكهربائية قد يكون ملائما لتنظيف الأثاث المصنوع من المخمل.

وينصح الخبراء باستخدام الماكنة الكهربائية بلطف وتجنّب الضغط الذي يسهل تلف القماش، بالإضافة إلى انه يمكن منع حدوث المزيد من البقع والأوساخ التي تتلف النسيج من خلال التنظيف بالمكنسة الكهربائية.

الأسرّة

تتميز أسرّة المخمل بانسجامها مع الديكورات العصرية والكلاسيكية في ذات الحين، وتضفي أسرّة المخمل لمسة من الفخامة على الغرفة كما تعطيها مظهرا مميزا. وتعد إضافة أريكة مخملية خطوة فعّالة لدعم مظهر الغرفة الراقي.

كما تعتبر الوسائد والشراشف من الأشياء الجميلة التي يدخل المخمل في صناعتها فتضفي منظرا رائعا على الغرفة خاصة في فصل الشتاء لما لها من ملمس ناعم يشبه الفرو يبعث على الشعور بالدفء.

ويوصي خبراء الديكور بتحقيق التوازن بين قطع الأثاث عند استخدام المخمل، ويؤكدون على عدم المبالغة كي لا تبدو الغرف مزدحمة ومزعجة للعين.

وينسجم قماش المخمل مع الحرير الناعم، كما يضيف الدانتيل لمسة لطيفة للديكور مع المخمل.

ويفضّل العديد من مصممي الديكور الداخلي استخدام أثاث منجد من المخمل لأنه يجلب الشعور بالراحة والرفاهية لأي غرفة. ويمكن تنجيد كل قطع الأثاث بالمخمل للحصول على لمسة خاصة في غرفة النوم.

وينصح مصممو الديكور باختيار لوح السرير الأمامي بقماش مخملي كلاسيكي وبانتقاء اللون الأزرق الغامق أو الزهري أو البيج، إذ أن هذه الألوان هي الأكثر اعتمادا، وهي تريح عند النوم والاستيقاظ.

الستائر

تعتبر ستائر المخمل من أكثر القطع المخملية التي تعطي ثقلا للديكور الداخلي، وتكون الغرف ذات النوافذ الممتدة على مساحة الحائط بأكمله مناسبة لاستخدام ستائر المخمل.

وتعدّ الستائر أحد الأمور الرئيسية التي تدخل في صنعها مادة المخمل نظرا إلى ما تعطيه من أناقة سواء في الديكور الكلاسيكي أو العصري، حيث تمنح الغرفة جمالا خاصة عند انسدالها على الأرض.

وأكد المختصون أن ستائر المخمل تعتبر أكثر القطع المخملية التي تعطي جمالا ورونقا خاصا للديكور الداخلي.

لونان لا أكثر في الغرفة لتجنب الضجر

برلين - الجدران البيضاء، الأثاث فاتح اللون، والقليل جدا من الأكسسوارات، هذه بالطبع الصورة النمطية عندما يتعلق الأمر بمبدأ التقليل (مينيماليزم). وفي الحقيقة، إذا بحث المرء عبر الإنترنت عن صور للتقليل أو البساطة فسوف يجد عادة صورا لغرف مفروشة بالقليل من الأثاث.

ولكن بالنسبة إلى شتيفاني آدم، التقليل هو ليس ذلك فحسب. وتقول مصممة الديكور الداخلي السابقة "التقليل هو أسلوب حياة، سلوك". وتستخدم آدم هذا المبدأ حاليا في عملها كمدربة حياة.

وتقول آدم "يتمحور التقليل حول تقليل الأشياء للأساسيات في ذهنك وفي محيطك... إنها تخلق وضوحا وتفتح المجال للأشياء المهمة حقا وهي الأسرة والشريك والأصدقاء".

اعتادت المؤلفة أنه فايس امتلاك الكثير من الأشياء حتى أدركت أن التسوّق لا يجعلها سعيدة. وقالت "لا أحتاج كل هذه الأشياء وما يجعل الوضع أكثر سوءا هو أنها غالبا ما تكون مصنوعة تحت شروط موضع تساؤلات وأضر إنتاجها بالبيئة... فجأة أدركت أن هوس التسوق ليس جيدا لي ولا للآخرين".

وعادة ما تشمل العودة إلى الأساسيات خفض عدد الأشياء التي نمتلكها، وبمعنى آخر، الفرز والتفريغ. وتقول آدم "الخارج والداخل يعتمدان على بعضهما البعض". وتنصح بالشروع بشكل ممنهج بالتعامل مع غرفة تلو الأخرى والعمل في اتجاه عقارب الساعة. وتوصي بالمرور على كل قطعة أثاث بشكل فردي، قم بفرز الأدراج واحدا تلو الآخر.

جربت فايس مفاهيم مختلفة. غير أن، الطرق مثل اكتف بعدد معيّن من قطع الملابس أو أن يكون مسموح فقط امتلاك عدد محدد مسبقا من المفردات كانت تخطيطية للغاية بالنسبة لها. وقالت "لقد كان مهما بالنسبة لي أن أجد طريقتي الخاصة، بمعنى ما الذي أشعر بالارتياح تجاهه، ما هو الجيد لي؟".

وفي النهاية وصلت فايس إلى طريقتها الخاصة: وهو ما تصفه بالتسوق العكسي. وتوضح "سرت عبر شقتي محمّلة بسلة كما لو كنت في متجر متعدد الأقسام، لأقوم بملئه ثم أبيع أي شيء يمكنني أن أعيش دونه أو أهادي به آخر أو أتبرع به أو أتخلص منه".

ولكن بغض النظر عن المدى الذي سوف تقوم بتفريغه وتوفير مساحة شاغرة، تعتقد مدربة الحياة آدم أن شقة فارغة بالكامل غير مرغوب فيها. وعلى العكس، هذا النوع من المساحة المعيشية سوف يفتقر إلى شخصية. وترى آدم المنزل على أنه مكان شخصي للقوة حيث تعيد شحن الطاقة. وفي رأيها أن الأشياء الشخصية مثل الصور واللحظات العاطفية هي بالطبع ضرورية للشعور بالراحة.

ولكن يمكن اختيارها بشكل متعمد ومنحها مكانا خاصا في الغرفة. وتقول "المنضدة الجانبية أو عتبات النوافذ، هذه أماكن ملفتة للمساهمة في الشعور بأنك على ما يرام".

كما أن استخدام ألوان أقلّ يمكن أن يساعد في خلق شعور بالهدوء. وتنصح آدم باللجوء بحد أقصى لدرجتين أو ثلاثة من الألوان لتجنّب الضجر في الغرفة. وتضمن التجهيزات الموحدة مثل مجموعة من الأكواب المتماثلة إحساسا بالنظام والبناء. ولكنها تضيف "لا يوجد قواعد في التقليلية لأن كل شخص مختلف ولديه احتياجات مختلفة".

وبالنسبة إلى فايس، لا يعني التقليل خفض الأشياء إلى الأساسيات فحسب ولكن أيضا الاستهلاك الواعي. وتقول "من شراء فستان بوليستر جديد مصنوع في بنغلاديش، وامتلاك سيارة التي لم تكن تعني سوى وقوفي كثيرا في اكتظاظ مروري لأنني أعيش في المدينة، إلى السفر لمسافة طويلة لأخذ راحة بعد كل ضغط العمل... يا لهذا التنافر المعرفي.. من الجيّد التوقف عن التصرّف ضد ضميري طوال الوقت".

إنها لا ترى أسلوب حياتها على أنه تخل مؤلم، ففي النهاية يمكنها اقتراض ما تريده أو شرائه مستعملا. وتقول "إذا كان العيش بهذه الطريقة له مساوئ حقا، ما كنت أقدمت عليه".

التقليل أسلوب حياة

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

غاريدو يستأنس بتجارب الكبار لقيادة الأندية العربية

الإسباني يخوض رحلة تحدّ إلى الألقاب مع الوداد المغربي

رفع الألقاب هواية

أحيانا تُترك آلية الدعاية جانبا لتفسح المجال لما تخطه أيادي المدربين رسما وتكتيكا وتؤكده أقدام اللاعبين على الميدان ليكون المنجز محفزا ودافعا لمواصلة الرحلة حتى وإن تبدّلت المواقع، رحلة المدربين الذين تركوا بصمة في الدوريات العربية في السنوات الأخيرة بينهم الإسباني خوان كارلوس غاريدو الذي بدأ مؤخرا في الإشراف على حظوظ الوداد المغربي.

الرباط – يكتسب العديد من المدربين الأجانب الناشطين في بعض الدوريات العربية حضورهم الدائم من خبرة واطلاع واسع راكمهما هؤلاء بمرور الوقت، فيما الأهم من ذلك تقيّدهم بتجارب بعض الوجوه الكبرى في عالم التدريب التي كانت قاطرتهم الأولى لخوض رحلة التجديد مع الأندية العربية، ولعل أبرزهم الإسباني خوان كارلوس غاريدو مدرب الوداد البيضاوي المغربي.

وشق المدرب الإسباني، الذي بات وجها معروفا في الأوساط الرياضية العربية، طريقه بثبات في أول رحلة مع فريقه الجديد ليؤكد أنه في مستوى الثقة التي وضعتها فيه إدارة الفريق المغربي التي عيّنته مؤخرا خلفا للفرنسي سيباستيان ديسابر.

وأصبحت ظاهرة الاستنجاد بمدرّبين أجانب في منتصف الموسم مسألة اعتيادية لدى الفرق العربية، خصوصا تلك المعنية بالمنافسة على لقب الدوري المحلي أو دوري رابطة الأبطال كحال الفريق المغربي مثلا، لما يكتسبونه من خبرة، والأهم من ذلك اطلاعهم الواسع على الفرق المنافسة وسبر أغوارها من الداخل.

ولم يفوّت الوداد المغربي فرصة إقالة النجم الساحلي التونسي للفني الإسباني ليجدد العقد معه ويقنعه بقيادة النادي في قرار رأى متابعون أنه ينمّ عن متابعة دقيقة لإدارة الفريق المغربي لخصمه في مسابقة دوري أبطال أفريقيا واطلاعها على حيثيات تجربة غاريدو التي لم تعمّر طويلا وشابها جدل كبير في الساعات الأخيرة من ترك الإسباني للفريق التونسي.

وأعرب المدرب الإسباني منذ تسلمه المقاليد الفنية للنادي المغربي عن "فخره" ببدء تجربة جديدة مع الوداد البيضاوي، الذي يتصدر حاليا الدوري المغربي بفارق نقطة واحدة عن المطارد نهضة بركان.

ويصف محللون التجربة الجديدة للفني الإسباني بمثابة تحدّ كبير قبل المدرب القيدوم خوضه، كونه سيكون مطالبا أولا بالمحافظة على صدارة ترتيب الدوري المحلي وتدعيمه دفاعا عن اللقب الذي يتطلع الوداد إلى الفوز به هذا العام، وثانيا وهو الأهم التركيز على مسابقة دوري أبطال أفريقيا وما تخبئه من مفاجآت.

رهان ناجح

راهن المدرب في أول ظهور له مع الفريق على خبرته الطويلة ليضع خطة محكمة ويدخل بعض التغييرات على تشكيلة الفريق وهو ما كان كافيا للإيقاع بخصمه النجم الساحلي على أرضه في جولة الذهاب 2 – 0.

ويدين الوداد البيضاوي، بطل 1992 و2017 ووصيف بطل الموسم الماضي، بفوزه إلى مدافعه محمد الناهيري الذي سجل ثنائية أمام النجم الساحلي.

وقال الناهيري "لم تكن المباراة سهلة وعرفنا كيفية توظيف ما لقنه لنا المدرب، ضغطنا في الشوط الأول وهذه هي قوة الوداد. استطعنا افتتاح التسجيل ما أكسبنا الثقة لنتابع اللقاء على نسق قوي وأضفنا الهدف الثاني".

وأضاف "غاريدو أعاد الثقة إلى الفريق بعد سلسلة مباريات متواضعة، فضلا عن أن مساندة الجماهير كانت عاملا محفزا ومساعدا للخروج من الكبوة".

ويطرح انتقال غاريدو بين الدوريات العربية في السنوات الأخيرة أكثر من تساؤل لدى المحللين الرياضيين على غرار مدرب الزمالك المصري الفرنسي باتريس كارتيرون وغيره من المدربين الأكفاء الذين تمرسوا كثيرا في القارة الأفريقية مثل القيدوم الفرنسي كلود لو روا ومواطنه هيرفي رينارد والتونسي فوزي البنزرتي، والقائمة تطول لذكر الكثيرين الذين تركوا بصمتهم في قيادة الأندية العربية إلى معانقة الألقاب.

ويلفت محللون رياضيون إلى المكانة التي يحظى بها هذان المدربان في السنوات الأخيرة (غاريدو وكارتيرون)، حيث لا يكاد أحدهما ينهي اتفاقه مع فريق ليجد الآخر رهن إشارته لتسريع التعاقد معه في أقرب فرصة ممكنة.

ويتساءل البعض عن الأسباب التي تجعل من غاريدو مثلا مكسبا لبعض الأندية العربية للتهافت على خدماته.

السبب يلوح وجيها ولا يستدعي فلسفة كبيرة وفق بعض المتابعين لنشاط سوق الانتقالات خصوصا في وضعية كالتي يمر بها الوداد المطالب بالدفاع على جبهتين محليا وأفريقيا. وقد أكد المدير الفني الجديد التزامه بالشروط التي وضعها الفريق قبل الإمضاء على العقد. ما يعني أنه في حال الإخلال بهذه الشروط سيجد المدرب نفسه يحجز أمتعته ويغادر.

لكن الأكيد أن التجربة الكبيرة التي يتمتع بها المدير الفني الإسباني في عالم التدريب بعد إشرافه على عدة فرق إسبانية وعربية وخليجية جعلته خيارا لا غنى عنه في نظر الوداديين الشغوفين بأن يتوجوا أبطالا للمغرب ولم لا لأفريقيا؟

ودفع المستوى اللافت الذي يقدمه هذا المدرب في السنوات الأخيرة برفقة الكثير من الأندية العربية المتابعين إلى النبش في الخزائن في محاولة لاستكشاف تجربة هذه المدير الفني عبر التاريخ والوقوف على أبرز المراحل التي مر بها غاريدو في مسيرته التدريبية.

البداية من إسبانيا

رأى غاريدو النور في مارس 1969 بمدينة فالنسيا على الساحل الشرقي لإسبانيا. واستنادا إلى بعض المصادر المطلعة على مسيرة هذا الفني، فإنه بعد إتمام دراسته الجامعية انتقل مباشرة إلى عالم التدريب في سن شابة (24 سنة) حيث درّب في الهواة نادي "بويغ" الإسباني سنة 1992 ليصعد به درجتين من أقسام الهواة إلى القسم الجهوي واستمر في قيادته قرابة ستة مواسم متتالية حتى 1998، كما كان أفضل إنجاز له هو وصافة الدوري الجهوي الإسباني.

> ظاهرة الاستنجاد بمدربين أجانب في منتصف الموسم أصبحت مسألة اعتيادية لدى الفرق العربية المعنية بالمنافسة على الألقاب

بعدها انتقل غاريدو إلى نادي فياريال الإسباني، حيث درب فريق الأمل وصعد معه إلى القسم الثالث ثم الثاني. وفي سنة 2008 تم تعيينه مدربا للفريق "ب" خلفا للمقال كارلوس أوليفيا الذي ترك النادي في منتصف الموسم في قاع الترتيب. لكن غاريدو تمكن من كسب الرهان وحقق البقاء في القسم الثاني في نهاية الموسم ليحافظ بذلك على مكانته بالدرجة الثانية وينافس في ما بعد على بلوغ القسم الثاني الممتاز، وهو الذي يعتبر في إسبانيا القسم الوطني الثاني بعد الدوري الممتاز.

وفي موسم 2009 تحقق حلم غاريدو حيث قاد الفريق الرديف إلى صعود تاريخي إلى القسم الثاني الممتاز بحسب تعبير صحيفة "ماركا" الإسبانية التي وصفت إنجاز غاريدو بمفاجأة الموسم الذي نجا من النزول في 2008 وصعد موسم 2009 إلى القسم الممتاز درجة 2.

بعد إنجازه هذا وضعت إدارة فياريال ثقتها في غاريدو وعينته في الأول من فبراير 2010 مدربا رسميا للفريق الأول خلفا للمقال حينها إرنستو فالفيردي مدرب برشلونة السابق، وأنهى الموسم في المرتبة السابعة التي أهلته إلى الدوري الأوروبي في موسم 2011 مما خوله تجديد عقده مع نهاية الموسم براتب مضاعف.

وفي موسم 2011، والذي كان أفضل موسم في مسيرة غاريدو، قاد فياريال لمنافسة كبار الليغا وأنهاه في المرتبة الرابعة ليتأهل الفريق إلى دوري أبطال أوروبا. كما قاده في نفس الموسم إلى نصف نهائي الدوري الأوروبي "يوروبا ليغ" بعد إقصائه لكل من دينامو زغرب، كلوب بروج، نابولي، تفينتي أنشخيدة الهولندي وباير ليفركوزن الألماني، قبل خروجه على يد بورتو البرتغالي في نصف النهائي.

كل هذه الإنجازات كانت بمثابة محفز هام للمدير الفني الإسباني لمواصلة العمل والركون إلى الدفاتر لتدوين سجله بين كبار مدربي أوروبا. لكن مثلما تكون النتائج إيجابية أحيانا فقد يتعرض أي مدرب إلى مرحلة من الشك لأسباب قد تكون خارجة عن صنعه.

بعد هذا الموسم الباهر لفياريال فرط النادي الإسباني في جل نجومه وانفصل غاريدو عن النادي في ديسمبر 2011 بعد تتالي النتائج السلبية. بعد ذلك خلد غاريدو إلى فترة راحة دامت حوالي سنة قبل العودة إلى الواجهة في شهر نوفمبر 2012 بعد تعيينه مدربا لكلوب بروج البلجيكي الذي حقق معه نتائج مبهرة دفعت الإدارة إلى المسارعة في تجديد عقده بعد ثلاثة أشهر فقط من التعاقد معه، حيث تسلم غاريدو الفريق وهو في المركز الثامن لكنه أنهى الموسم في المرتبة الثالثة بل وبقي في سباق المنافسة على اللقب حتى الدورة ما قبل الأخيرة حيث لم يفصله عن المرتبة الأولى سوى 4 نقاط، وكان ذلك أفضل موسم في تاريخ كلوب بروج من حيث التصنيف وكذلك من حيث عدد النقاط.

انطلق موسم 2013 وبعد مرور ست جولات تصدر غاريدو الترتيب بـ14 نقطة من 4 انتصارات وتعادلين لكنه انفصل بسبب خلاف مع إدارة النادي بعد رفضه تدخلها في خياراته الفنية، فغادر الإسباني بلجيكا تاركا النادي متصدرا دون هزيمة.

ثلاثة أشهر بعدها وبالضبط في ديسمبر من عام 2013 وقع غاريدو لفريق ريال بيتيس الإسباني كمدرب جديد خلفا لبيبي ميل، لكن سرعان ما انتهت مسيرته معه بعد شهر ونصف الشهر فقط عقب هزيمته أمام ريال مدريد بخماسية نظيفة ما تسبب في إقالته سريعا ليغير وجهته نحو الدوريات العربية التي كانت منصة جاذبة لاحتوائها على العديد من الأندية البارزة.

دوريات عربية جاذبة

عندما تكون البداية مع ناد كبير في حجم الأهلي المصري أو الزمالك أو غيرهما من الأندية المغربية أو التونسية، فإن أول انطباع يكون له بالغ الأثر على أي مدرب يروم خوض غمار التدريب في شمال أفريقيا، بل الأكثر من ذلك أن معاودة التجربة تصبح بمثابة هاجس يراود هذا الفني أو ذاك لمتابعة الرحلة خصوصا أن الراتب مغر وطبيعة المنافسة تكون أكثر إغراء.

ويعتبر الأهلي المصري البوابة التي دخل منها غاريدو إلى الأندية العربية وكان ذلك في يوليو من العام 2014. وفي سبتمبر من نفس السنة فاز غاريدو بأول ألقابه حينما حصد السوبر المصري على حساب الغريم التقليدي الزمالك.. وبعدها بشهرين فقط حقق كأس الكونفيدرالية الأفريقية بعد تغلبه على سيوي سبورت الإيفواري بهدف نظيف بالقاهرة بعد هزيمة الذهاب 1 – 2.

واستمر غاريدو على رأس القيادة الفنية للعملاق المصري حتى شهر مايو 2015 حين تمت إقالته بعد الخروج من دوري أبطال أفريقيا على يد المغرب التطواني بركلات الترجيح. انتقل بعدها غاريدو إلى تجربة جديدة في الشرق الأوسط من بوابة الاتفاق السعودي في نوفمبر 2016 لكنها لم تعمر طويلا.

> الأهلي المصري البوابة التي دخل منها غاريدو إلى الأندية العربية وتوج معه بلقبي السوبر المصري وكأس الكونفيدرالية

وفي موسم 2017 – 2018 تعاقد نادي الرجاء البيضاوي المغربي مع المدرب الإسباني الذي قبل المهمة رغم المشاكل التي كانت تضرب الفريق آنذاك رغبة منه في ترك بصمة على انطلاقته الجديدة في مشواره ولمعرفته المسبقة بحجم نادي الرجاء وطنيا ودوليا.

وبالفعل فقد تمكن غاريدو من أن يدوّن اسمه في دفاتر الدوري المغربي عندما حقق مع الرجاء لقبي بطولة الاتحاد الكونفيدرالية الأفريقية وكأس العرش.

ورغم أنه يمكن السكوت على التجربة المتواضعة والقصيرة التي قادت غاريدو إلى الإمارات من بوابة نادي العين "الزعيم" في فترة لاحقة، إلا أن ذكرها يبقى مهمّا لعدة اعتبارات كونها تكشف الطلب المتزايد على خدمات هذا المدرب من عديد الدوريات العربية أولا، وثانيا الأثر الإيجابي الذي تركه هذا المدير الفني وقدرته على خوض التحدي مع كل فريق يضع ثقته فيه بحثا عن الألقاب، حتى أن هناك من وصف الإسباني بعبارة فيها من المديح والإطراء الشيء الكثير بقوله "أينما وجدت غاريدو فهناك ألقاب".

في رحلة كالتي يخوضها حاليا المدرب الإسباني القيدوم مع الوداد المغربي تنصب آلية البحث لدى المحللين الرياضيين على ما سيقدمه هذا المدير الفني من خطط تكتيكية وعمل مضاعف، والأهم رؤيته في كيفية إعادة الابتسامة إلى جمهور واسع من الوداديين ليثبت جدارته بالبقاء على رأس الفريق، خصوصا أنه يعتبر مراهنا بارزا على الألقاب هذا الموسم.

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

ليفربول يستعيد توازنه بفوز صعب على بورنموث

ديربي مانشستر يشد الأنظار إلى الدوري الإنجليزي

تمكن ليفربول من استعادة توازنه لكن بطريقة غير مقنعة عندما حقق فوزا هزيلا على ضيفه بورنموث 2 - 1 في افتتاح المرحلة الـ29 من بطولة إنجلترا والتي ستشهد اليوم الأحد مباراة قمة بين الجارين مانشستر سيتي ومانشستر يونايتد.

لندن – عاد فريق ليفربول إلى نغمة الانتصارات وتمكن السبت من افتكاك ثلاث نقاط بصعوبة أمام بورنموث المتواضع ما يدل على أن الفريق لم يتعاف بعد من مرحلة الشك التي دخلها مؤخرا.

ومني ليفربول بأول هزيمة في الدوري المحلي هذا الموسم بسقوطه أمام واتفورد بثلاثية قاسية في الجولة الماضية، قبل أن يخرج من الدور الخامس لكأس إنجلترا بخسارته أمام تشيلسي 0 – 2.

وابتعد الريدز بالتالي 25 نقطة عن مانشستر سيتي الذي يلتقي جاره مانشستر يونايتد اليوم الأحد، وبات في حاجة إلى 3 انتصارات في مباريات التسع الأخيرة لكي يتوّج بطلا بغض النظر عن نتائج سيتي.

ولم يكن فوز ليفربول مقنعا لأن هدفيه جاءا من هديتين من دفاع بورنموث الذي افتتح التسجيل مبكرا.

وكانت هذه المباراة آخر تجربة للفريق الشمالي قبل مواجهته لأتلتيكو مدريد الإسباني الأربعاء المقبل والذي تقدم عليه 1 – 0 ذهابا في العاصمة الإسبانية في ثمن نهائي دوري أبطال أوروبا.

انتصار يعيد شيئا من الثقة

ليفربول ابتعد 25 نقطة عن سيتي الذي يلتقي جاره يونايتد، وبات في حاجة إلى 3 انتصارات ليتوج بطلا للدوري الإنجليزي

وغاب الحارس البرازيلي أليسون فيليكس لإصابة في وركه وحل بدلا منه الإسباني أدريان، في حين لم يشارك مهاجم بورنموث النرويجي الدولي جوشوا كينغ المصاب بتمزق في العضلة الخلفية.

وإضافة إلى غياب الحارس الأول للريدز، اختار يورغن كلوب التضحية بالظهير الأيسر أندي روبرتسون بشكل مفاجئ السبت أمام بورنموث.

وفسر كلوب سبب استبعاد روبرتسون في تصريحات أدلى بها إلى الموقع الرسمي للفريق "استبعاد روبرتسون بسبب المداورة أو مشكلة بدنية؟ كان سيبدأ اليوم (السبت)، لكنه شعر بعد ذلك بشيء ما خفيف". وقال المدرب الألماني "كل شيء جيد في ما يخص حالة روبرتسون، وسيكون على ما يرام في مباراة دوري الأبطال الأربعاء ضد أتلتيكو مدريد، لكن لم يكن من الجيد تواجده خلال مباراتنا ضد بورنموث".

وأضاف "بسبب هذا الأمر لم أرغب في وضعه على مقاعد البدلاء، حيث سننظر له ونفكر في إمكانية الدفع به، وربما نقوم بإشراكه.. لكن ذلك الأمر لن يكون منطقيًا، وهذا وراء قرار الاستبعاد، إلا أنه سيكون بخير".

وحقق ليفربول 22 فوزا بيتيا تواليا في الدوري المحلي وهو رقم قياسي جديد علما وأن السابق كان صامدا في حوزته منذ عام 1972 بقيادة مدربه الأسطورة الأسكتلندي بيل شانكلي. وكان آخر فريق نجح في انتزاع نقطة على ملعب "أنفيلد" هو ليستر سيتي (1 – 1) في يناير 2019.

وبالعودة إلى مجريات اللقاء فقد بدأ ليفربول المباراة ضاغطا آملا في الاقتراب أكثر فأكثر من إحراز اللقب الغائب عن خزائنه منذ عام 1990، لكن وسط هذا الضغط قام بورنموث بهجمة مرتدة سريعة حيث سيطر كالوم ويلسون على الكرة وقام بتمريرها باتجاه فيليب بيلينغ الذي عكسها ذكية إلى الكولومبي جيفرسون ليرما ومنه إلى ويلسون مجددا ليتابعها الأخير من مسافة قريبة داخل الشباك.

واعترض لاعبو ليفربول على صحة الهدف لاعتبار أن ويلسون دفع جو غوميز في ظهره للسيطرة على الكرة، لكن الحكم احتسبه بعد اللجوء إلى تقنية الفيديو.

وأنقذ أدريان مرماه من هدف أكيد إثر رأسية للمدافع الهولندي ناثان أكي أبعدها ركلة ركنية. وتصدى حارس بورنموث أرون رامسدايل لكرة سددها البرازيلي فيرمينو على الطاير.

وأخطأ مدافع بورنموث جاك سيمسون الذي كان شارك بديلا لقائده ستيف كوك المصاب قبلها بدقائق قليلة، في الخروج من منطقته فانتزع السنغالي ساديو مانيه الكرة منه ومررها باتجاه صلاح الذي راوغ مدافعا داخل المنطقة وسددها بيسراه زاحفة في الزاوية السفلى مدركا التعادل.

والهدف هو السبعون لصلاح الذي كان يخوض مباراته الرقم 100 في الدوري الإنجليزي الممتاز مع ليفربول. وبات صلاح أول لاعب في صفوف ليفربول يتخطى حاجز العشرين هدفا في مختلف المسابقات في ثلاثة مواسم توالیا منذ مايكل أوين بين موسمي 2000 – 2001 و2002 – 2003.

وسرعان ما أضاف مانيه الهدف الثاني، عندما كسر مصيدة التسلل بتمريرة أمامية من الهولندي فيرجيل فان دايك لينفرد بالحارس ويسجل عن يساره.

وهدأ إيقاع المباراة نسبيا في الشوط الثاني وكانت الفرصة الأبرز انفراد راين فرايزر بحارس ليفربول وإسقاط الكرة من فوقه باتجاه المرمى، لكن جيمس ميلنر شتت الكرة قبل أن تجتاز الخط.

وتتجه الأنظار اليوم الأحد إلى مانشستر أين يلتقي فريقا سيتي ويونايتد في لقاء قمة حاسم للفريقين وخصوصا للثاني الذي ينافس على الاقتراب من مركز مؤهل لدوري الأبطال.

وكان فريق المدرب الإسباني بيب غواردیولا فاز على مانشستر يونايتد بقيادة مدربه النرويجي أولي غونار سولسكاير 3 – 1 في آخر مواجهة جمعتهما في "أولد ترافورد" بالدور قبل النهائي لبطولة كأس الرابطة الإنجليزية المحترفة، وذلك قبل أن يتوج سيتي باللقب بالفوز على أستون فيلا الأحد الماضي.

وتعود المرة الأخيرة التي فاز فيها يونايتد على سيتي في "أولد ترافورد" إلى موسم 2014 – 2015 حين انتصر فريق "الشياطين الحمر" 4 – 2 على الفريق السماوي.

وكان سيتي فاز على شيفيلد وينزداي 1 – 0، في دور الـ16 لبطولة كأس الاتحاد الإنجليزي، وذلك بعد أيام قليلة من فوزه بلقب كأس الرابطة المحترفة.

وقال غواردیولا إن فوز فريقه الأربعاء منح اللاعبين استعدادا مثاليا لمباراة يونايتد. وأضاف "من الأفضل أن نواصل الفوز في المباريات، وأن نستمر في بطولة الكأس بدلا من الخروج منها".

ويحظى البرتغالي برونو فيرناندیز لاعب مانشستر يونايتد بثقة مدربه النرويجي سولسكاير، وهو الذي تعاقد معه في يناير الماضي، حيث أكد استحقاقه للمبلغ الذي دفعه الفريق من أجل ضمه والبالغ 47 مليون جنيه إسترليني (67.5 مليون دولار). وقال سولسكاير "لست مندهشا، لكن بعض اللاعبين يستغرقون ستة أشهر من أجل التأقلم على الفريق، لكنه لم يحدث معه ذلك (فيرناندیز) نظرا لما يتمتع به من إمكانياته كبيرة".

حلم الميرينغي

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

خلال منتصف التسعينات من القرن الماضي تم عرض مسلسل مصري بعنوان "حلم الجنوبي"، كان يتحدث عن قصة مواطن مصري متعلق أيّما تعلق ببلده، لم يكن يهتم بالمجد والكسب الشخصي بقدر رغبته في خدمة بلده.

ذلك المسلسل حقق شهرة واسعة في تلك الفترة، فهو تجسيد حيّ لرجل كان حلمه الوحيد خدمة بلده والقيام بدوره كأفضل ما يكون، وذلك عبر استعادة التاريخ وكتابته من جديد في سبيل تقديم الخدمات الجليلة لوطنه.

أحداث ذلك المسلسل بدَت في بعض فصولها مشابهة لحالة فريدة قد تعيشها كرة القدم العالمية في المستقبل القريب، ففصول التعلق والعشق والتطلع إلى رؤية النادي في أبهى حالاته وقمة توهجه تدفع المرء إلى الحلم، وتستفز العاشق إلى استحضار الماضي وجعله واقعا قريب التحقق.

هذا ما يمكن أن يحصل مستقبلا في قلعة ريال مدريد، هذا ما يأمل كل مناصر للفريق الملقب بـ"الميرينغي" أن يحصل في المواسم القادمة، هذا ما يحلم به كل عشاق "البيت الأبيض المدريدي"، فالحلم حتى وإن كان عصيًا مستحيلا يبقى في نظر كل شغوف حدثا قد يحدث يوما ما.

هو حلم "الميرينغي" بأن يعود "الدون" إلى عرشه في القلعة، هاجس كل محبّ للريال هو إعادة عجلة الزمن إلى الوراء، وإعادة النجم البرتغالي كريستيانو رونالدو إلى بيته، إلى المكان الذي عانق خلاله الروعة وبلغ ذروة المجد، بعد أن طغى بسحره وتأثيره على القلعة بأسرها.

منذ أيام قليلة، حصل حدث مهم، حدث شدّ كل الاهتمام والانتباه، رغم رمزيته، فكريستيانو واكب مباراة الكلاسيكو بين الريال وبرشلونة، وكان من أوائل المساندين والمشجعين للفريق الملكي.

لقد واكبته عدسات المصوّرين وهو يهتز فرحا وطربا بعد تقدم فريقه السابق في النتيجة، لقد تابع كل عشاق الريال تحركات "الدون" وتفاعله الدائم مع هجومات الريال.

لقد كانت الفرجة مكتملة وممتعة بين متابعة تقدم الريال في النتيجة وتحركات رونالدو في المدارج، بدت الصورة لدى البعض مكتملة الأركان.

لكن في قلوب محبي الفريق الملكي، لم تكتمل الغبطة والفرحة، فمكان رونالدو في قلوبهم كان يتوجب أن يتجسد أيضا على الملعب، كان يتوجب عليه مثلما يحلم هؤلاء أن يركض ويركض ليصنع في القلعة الانتصارات ويقضي على الانكسارات.

آه يا رونالدو، ماذا لو عدت إلى الريال، هكذا ربما كانت عبارات أنصار ريال مدريد، بعد أن علمت أن رونالدو ما زال بدوره يحنّ لتلك السنوات التسع التي قاد خلالها الفريق إلى تحقيق نتائج مبهرة وتاريخية خاصة في دوري الأبطال.

هو حلم.. هكذا حَلم كل الميرينغي، فالكل يودّ أن يعود "الدون" إلى البيت الملكي، والكل يحلم بأن ينهي رونالدو فصول مسيرته الأسطورية مع الريال، هم يريدون أن يكون مثل زيدان وراؤول وكاسياس، هم يتطلعون إلى أن تكون نهاية رونالدو في الملاعب من بوابة القلعة البيضاء.

منذ موسم ونصف كتب القدر نهاية قصة رونالدو الجميلة مع الريال، فهذا اللاعب آثر أن يغادر ويخوض تحدّيا جديدا، خيّر أن يتحسّس قوة المنافسات في دوريّ مختلف وبطل مغاير، فحصل الرحيل إلى يوفنتوس الإيطالي، ليبدأ "صاروخ ماديرا" رغم تجاوزه سن الثلاثين مرحلة جديدة في مسيرته الرياضية المفعمة بالتتويجات والأرقام القياسية والنجومية الصارخة، لكن بقي في القلب بعض من الهوى لذلك الفريق الملكي، فالتجربة لم تكن قصيرة، وحكاية الارتباط العاطفي بين الريال ورونالدو لم تكن مجرد قصة بسيطة.

هو ارتباط من الصعب أن يبرَأ المرء من تداعياته، فكيف لأنصار الريال التغاضي عمّا قدمه اللاعب لفريقهم، وكيف لرونالدو أن يتجاوز بسهولة كل تفاصيل قصة النجاح الساحق في أركان القلعة البيضاء.

لهذا استيقظ الحلم في نفوس عاشقي الريال، بات وكأنه رغبة دفينة بدت للوهلة الأولى مستحيلة لتغدو اليوم أملا قائما، وهدفا ساميا ربما قد يتحقق في الموسم القادم.

لقد خرج الحلم من مكمنه الخفي إلى العلانية، وتجسدت الرغبة أمرا واقعا خلال الفترة الأخيرة عندما بدأت بعض جماهير النادي تطالب بفتح باب المفاوضات مع رونالدو ونادیه الحالي اليوفي علّ ذلك يكون كافيا لإعادة "الدون".

وما حصل في المباراة الأخيرة قد يؤكد ولو بشكل مباشر أن رونالدو ربما لن يرفض إنهاء مسيرته في الريال لو عرضت عليه فكرة العودة من جديد.

لكن من يدري، فالحنين إلى المجد السابق وإيمان عشاق الفريق الملكي بأنه لا شيء مستحيل مع رونالدو قد يحيل حلم "الميرينغي" واقعا عن قريب.

الأندية العربية تُحكم سيطرتها على نصف نهائي أبطال أفريقيا

تونس – تمكنت ثلاثة فرق عربية من حجز مقاعدها إلى الدور نصف النهائي لمسابقة دوري أبطال أفريقيا وهي الزمالك المصري الذي تمكن الجمعة من إزاحة بطل المسابقة في الموسمين الماضيين الترجي التونسي، ليلتحق به السبت كل من الرجاء المغربي والأهلي المصري.

والتحق الأهلي المصري والرجاء البيضاوي المغربي بالزمالك المصري بتعادل الأول مع مضيفه ماميلودي صنداونز الجنوب أفريقي 1 – 1، ورغم خسارة الثاني أمام مضيفه مازيمبي الكونغولي الديمقراطي 0 – 1 السبت في إياب الدور ربع النهائي.

وبانتظار المتأهل من اللقاء الذي سيلعب في وقت لاحق من السبت بين النجم الساحلي والوداد المغربي يكتمل نصاب الدور نصف النهائي للمسابقة القارية بتواجد أربعة فرق عربية ستخوض المنافسة في ما بينها ليمر فريقان إلى اللقاء النهائي الذي سيقام في أبريل المقبل. وأصبح المربع الذهبي واللقاء النهائي لبطولة دوري أبطال أفريقيا عربيا خالصا بعد خروج ماميلودي صنداونز الجنوب أفريقي ومازيمبي الكونغولي من دور الثمانية.

وفي المباراة الأولى في بريتوريا، تقدم الأهلي بفضل النيران الصديقة عندما سجل المهاجم ليبوهانغ مابوي بالخطأ في مرمى فريقه، ورد صنداونز بسرعة عبر الأوروغوياني غاستون سيرينو.

وضمن الأهلي، حامل الرقم القياسي في عدد الألقاب في المسابقة (8)، تأهله لفوزه ذهابا بثنائية نظيفة في القاهرة، ورد الاعتبار بالتالي لخروجه من الدور ذاته الموسم الماضي على يد الفريق الجنوب أفريقي، بطل 2016، عندما خسر بخماسية نظيفة ذهابا في بريتوريا، وفاز 1 – 0 إيابا في الإسكندرية.

وفي المقابلة الثانية، سجل إسحاق تشيبانغو هدف المباراة الوحيد، لكنه لم يكن كافيا لمواصلة مازيمبي حامل اللقب خمس مرات، مشواره في المسابقة بعدما خسر 0 – 2 ذهابا في الدار البيضاء.

وكان الزمالك جرَّد الترجي التونسي من اللقب الذي ناله في الموسمين الأخيرين وحرمه من أن يصبح أول فريق يتوج باللقب ثلاث مرات متتالية، عندما خسر أمامه 0 – 1 إيابا في رادس بعدما تغلب عليه 3 – 1 ذهابا في القاهرة. وفي نصف النهائي، يلعب الزمالك مع الرجاء البيضاوي (في الأول من مايو المقبل ذهابا في الدار البيضاء والثامن منه إيابا في القاهرة)، والأهلي مع النجم الساحلي التونسي أو الوداد البيضاوي المغربي اللذين يلتقيان لاحقا في رادس.

وعاد المربع الذهبي لدوري الأبطال إلى الصبغة العربية للمرة الأولى منذ موسم 2016 – 2017 الذي شهد تأهل 4 أندية عربية هي الأهلي المصري والنجم الساحلي التونسي والوداد المغربي واتحاد العاصمة الجزائري.

وفي موسم 2017 – 2018 تأهلت ثلاثة فرق عربية هي الأهلي والترجي التونسي ووفاق سطيف الجزائري، إضافة إلى بريميرو دو أوغوستو الأنغولي. وفي موسم 2018 – 2019 تأهل فريقا الترجي والوداد بجانب صنداونز ومازيمبي.

المربع الذهبي لدوري الأبطال يعود إلى الصبغة العربية للمرة الأولى منذ موسم 2016 - 2017 الذي شهد تأهل 4 أندية عربية

هيمنة واضحة

بطلا الأردن للملاكمة يقتربان من أولمبياد طوكيو

عمان – تأهل الشقيقان حسين وزياد عشيش، ملاكما منتخب الأردن، إلى الدور ربع النهائي في التصفيات المؤهلة إلى أولمبياد طوكيو 2020 عن قارتي آسيا وأوقيانوسيا.

ونجح الشقيقان عشيش في تحقيق الفوز في نزالاتهما التي جرت على صالة الأمير حمزة بمدينة الحسين للشباب الجمعة.

وتخطى حسين، الذي سبق وتأهل إلى أولمبياد ريد دي جانيرو 2016، الكوري الجنوبي كيم هيونغ كيو في دور الـ16 ضمن وزن تحت 91 كلغ وسط سيطرة مطلقة له على النزال، فيما تغلب زياد في الدور ذاته لوزن تحت 69 كلغ على الأسترالي ملايا جيسون.

وسيلتقي حسين الأحد مع لاعب ساموا بلودسكي في الدور ربع النهائي، فيما يلاقي زياد في نفس الدور لاعب ساموا أيضا ماريون فو ستينو.

وكان الأردنيان عبادة الكسبة (وزن تحت 63 كلغ) وعدي الهنداوي (وزن تحت 81 كلغ) قد تأهلا كذلك إلى الدور ربع النهائي من نفس المنافسات.

ومن نتائج الجمعة خسارة العراقي كاظم زادة بوشر في دور الـ16 على يد اللاعب ماريون فوستينو ضمن منافسات تحت 69 كلغ.

وكان الاتحاد العربي للملاكمة برئاسة يوسف بن علي الكاظم، قد قرر تأجيل البطولة العربية لمنافسات الشباب في نسختها الخامسة التي كانت مقررة بالقاهرة في الفترة بين الـ23 والـ28 من مارس الجاري.

وجاء ذلك التأجيل إلى حين إشعار آخر بالتنسيق مع الاتحاد المصري للعبة، في إطار تعميم اتحاد الاتحادات الرياضية العربية والذي ينص على تأجيل الأنشطة الرياضية العربية بسبب انتشار فايروس كورونا.

وبخصوص تصنيف مصر في بطولة أفريقيا بالسنغال والمؤهلة إلى طوكيو 2020، والتي تأهل منها البطل المصري عبدالرحمن عرابي، قال محمد عبدالعزيز غنيم، رئيس الاتحاد المصري للملاكمة "ليس هناك أيّ تصنيف في هذه البطولة أو مراكز". وأضاف "هي بطولة خاصة بالتأهل فقط، ومن يقول غير ذلك فهو بعيد كل البعد عن اللوائح والقوانين".

العرب
الأحد 2020/03/08
السنة 42 العدد 11640

«فريد شوقي» يكرم المرأة في يومها العالمي بالأقصر

اختار مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية الفنان الراحل فريد شوقي اسما لفعاليات دورته الحالية، وذلك احتفالا بمناسبة مئوية ميلاده، وأقام لأفلامه معرضا وكتابا حول مسيرته الفنية، كما كرم المرأة في يومها العالمي.

صابر بن عامر

الأقصر (مصر) – تحت عنوان "سينما أفريقية من كل الدنيا" افتتح مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية، مساء الجمعة، فعاليات نسخته التاسعة التي حملت اسم الممثل المصري الراحل فريد شوقي بمناسبة مئوية ميلاده (1920 – 2020).

احتفى المهرجان في حفلة الافتتاح بالفنان المصري الراحل فريد شوقي، حيث تسلمت عائلته درع التكريم، وسط تصفيق الجمهور الذي ما انفك يؤكد تعلقه بـ"وحش الشاشة" كما يلقبه عشاقه، رغم مرور أكثر من عقدين على رحيله.

وتخليدا لذكرى الراحل فريد شوقي الممثل والمؤلف والمنتج، أطلقت إدارة المهرجان "بوستر" مئوية فريد شوقي من تصميم الفنان المصري أحمد صيام، وعن المعلقة قال السيناريست المصري سيد فؤاد، رئيس المهرجان، لـ"العرب" "فيه يبرز تمثالي ممنون بالأقصر وهما يحملان شاشة سينمائية عليها صورة لفريد شوقي، كما يحضر الجيل الجديد ممثلا في طفلة تشاهد التاريخ الفرعوني والتاريخ السينمائي الحديث، حيث يمتزج الحاضر بالماضي في لوحة واحدة تعبر عن خلود فريد شوقي لدى كل الأجيال".

ويقيم المهرجان معرضا حول أفلام فريد شوقي وأعماله من أرشيف المصور محمد بكر وبإشراف الأكاديمي حسين بكر، كما سيتم عرض فيلمين للفنان الراحل، هما "السقا مات" إخراج صلاح أبوسيف و"الغول" للمخرج سمير سيف الذي يحتفي به المهرجان أيضا. بالإضافة إلى إصدار كتاب "وحش الشاشة.. ملحمة السينما المصرية" لأمل الجمل، وفيه تناولت الكاتبة المصرية المسيرة الفنية للراحل.

ويشهد المهرجان هذا العام حضورا قويا لأفلام الشتات، في إطار مسابقة الدياسبورا، بجانب أفلام المرأة من خلال فعاليات "بانوراما المرأة في السينما الأفريقية"، وذلك احتفاء باليوم العالمي للمرأة الذي يحل في الثامن من مارس من كل عام.

وكرم المهرجان في حفلة الافتتاح كلا من الفنانة المصرية زينة والراحلة عقيلة راتب، والفنانة السنغالية النيجرية ميمونة نداي.

وميمونة نداي واحدة من أهم الممثلات في أفريقيا، واشتهرت بدورها الرائد في فيلم "عين العاصفة" وكانت الأفريقية الوحيدة في لجنة تحكيم المسابقة الرسمية في مهرجان كان السينمائي الدولي، وهي فنانة متعددة المواهب، فهي ممثلة بفرنسا وأفريقيا، وهي أيضا مخرجة أفلام تسجيلية وروائية وناشطة في المجال الاجتماعي خاصة كل ما يتعلق بقضايا المرأة والطفل. وآخر أفلامها الوثائقية يتناول قضية الصحة العقلية في أفريقيا بعنوان "المجنون، العبقري والحكيم".

كما كرّم المهرجان في حفلة الافتتاح النجم العالمي جيمي جون – لوي، مع عرض فيلمين من أعماله، وهما "ديزرانس" من بوركينا فاسو للمخرج أبولين تراوريه والذي يشارك في مسابقة الأفلام الروائية الطويلة، وفيلم "أفاعي مجلجلة" من الولايات المتحدة في قسم الدياسبورا.

وعاش جون – لوي في أحد الأحياء الفقيرة في هايتي حتى عمر 12 عاما، بعدها انتقل إلى باريس. عمل لمدة ثلاث سنوات في المسرح الموسيقي بإسبانيا "لا بيل إيبوك" (الحقبة الجميلة) قبل عمله كعارض أزياء ناجح في أنحاء أوروبا.

وانتقل في العام 1998 إلى لوس أنجلس ليحترف التمثيل. وتشمل أعماله "دموع الشمس" مع بروس ويلس، و"الحماة المتوحشة" مع جين فوندا وجنيفر لوبيز، و"فتيات سمينات" مع الفائزة بالأوسكار مونيك، ومسلسلات "الأبطال" و"السهم" و"فرح" مع جينيفر لورانس وبرادلي كوبر وروبرت دي نيرو.

وحش الشاشة يطغى على الحدث (صورة من صفحة المهرجان على فيسبوك)

ويصدر المهرجان كتابين الأول تحت عنوان "السينما الأفريقية المعاصرة وسينما الشتات" من تأليف أنجالي برابهو والثاني بعنوان "سينما التحريك في أفريقيا" من تأليف محمد غزالة.

وأكدت المخرجة عزة الحسيني، مديرة المهرجان، أن الدورة الجديدة ستعرض على امتداد أسبوع أكثر من 90 فيلما ضمن المسابقات الرسمية والأقسام المختلفة من 37 دولة أفريقية، مع حلول كينيا ضيف شرف المهرجان.

افتتح، السبت، فيلم "صندوق الدنيا" للمخرج المصري عماد البهات النسخة التاسعة من مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية، وهو يدور حول أربع قصص، تبدو لأول وهلة أنها منفصلة الأحداث، ويعالج الفيلم مدى سطوة وعبثية المدينة في قصصه الأربع، من خلال المحاولات الحثيثة لأبطاله لتحقيق التوازن بين المدينة والذات، في ظل الحياة في مدينة القاهرة ذات الإيقاع اللاهث والقاهر في الكثير من الأحيان لحلم الفرد.

ويعرض المهرجان، أيضا، خمسة أفلام مصرية حديثة الإنتاج في قسم بانوراما الأفلام المصرية، وهي "الممر"، و"أولاد رزق 2"، و"الفيل الأزرق 2"، و"كازبلانكا" و"الفلوس"، و15 فيلما تعرض في عرض أفريقي وعالمي أول.

موريتانية تطور تطبيقا لحماية النساء

نواكشوط – تسعى الموريتانية ديولي عمر ديالو إلى مساعدة النساء في بلادها على أن يصبحن "مسؤولات عن سلامتهن الخاصّة"، بعد موجات العنف التي تعرّضن لها في واحد من أكثر المجتمعات محافظة في العالم.

وبهدف تحقيق مبتغاها، أطلقت تطبيقا يجعل ركوب سيّارة الأجرة أكثر أمانا، وأسّست مشروعا لتعليم النساء الفنونَ القتالية والدفاع عنَ النفس.

وفي عام 2015، أنشأت ديالو الحاصلة على شهادة في هندسة الاتصالات تطبيق "تاكسي سيكيور" الذي يمكن تحميله مجانا على الهواتف الذكية، ويسمح بالتعرّف إلى سيارة الأجرة بفضل لوحة الترخيص الخاصة بها.

وأوضحت ديالو (38 عاما) أن خلال الرحلة في السيارة "يمكن لأي مستخدمة أن ترسل تنبيهاً إذا شعرت بأن سائق التاكسي يريد أخذها إلى وجهة مختلفة"، وبالتالي تحديد مكان السيارة.

لكن على الرغم من ذلك، تدرك الشابة الثلاثينية محدودية استعمال "تاكسي سيكيور" نظراً إلى أن الهواتف الذكية ليست في متناول الجميع.

وهذا ما دفع ديالو إلى إطلاق مشروع جديد باسم "ريم سيلف ديفانس"، تقوم فكرته على تزويد النساء والشابات بتوجيهات مناسبة لمواجهة المعتدين جنسيا.

وقالت ديالو "يجب إعطاء النساء فرصة لأن يكن مسؤولات عن أمنهن الخاص، والإفلات من مخالب المتربّصين المفترسة، بدل انتظار –وأحيانا يكون ذلك دون جدوى– مرور أحد المارة لإنقاذهن".

ويتشابه هذا المشروع مع صالات ونوادي التدريب على الفنون القتالية مثل الكاراتيه والجودو والكونغ فو والجوجيتسو، لكنّه يتخطّى عقبة قيام الرجال بتعليم النساء فنون القتال، الذي يعدّ أمرا صعبا في هذه الجمهورية الإسلامية.

أعلنت الإعلامية السعودية لجين عمران عن تعاقدها على أول أعمالها في مجال التمثيل دون أن تقدم أي تفاصيل عن العمل، وأعربت عن سعادتها قائلة في تغريدة عبر تويتر «الفخر لي وإن شاء الله بداية تعاون مثمر للجميع».

كبار السن يتحدون كورونا بالموسيقى

بيروت – تحدت الأوركسترا الفلهارمونية اللبنانية وعازف البيانو الفرنسي جيلام فابر أجواء التوتر التي تخيم على الشارع اللبناني جراء الأزمة الاقتصادية وانتشار فايروس كورونا مفتتحين فعاليات شهر الفرنكوفونية في لبنان في كنيسة القديس يوسف.

وكان كبار السن الفئةَ الأكثر حضورا في الحفل الكلاسيكي كالعادة رغم أنهم الفئة الأكثر عرضة للتأثر بالفايروس.

وقالت جوزفين (70 عاما) "لن نسجن أنفسنا في البيت، نأخذ احتياطاتنا للوقاية ونتحدى الصعوبات لتستمر الحياة". واتفقت معها صديقتها أوغيت (68 عاما) التي أضافت "نحن هنا لنؤكد أن الثقافة تبعد الأمراض وتنسينا همومنا المعيشية، كفانا خوفا وهلعا، ولا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا".

أما قائد الاوركسترا وليد مسلم فأكد "هذه الحفلة ليست مجرد حفلة عادية، بل هي ضرورية لتؤكد مثابرتنا على الحياة، ولا شيء يقاوم الأزمات سوى الموسيقى".

روس يسخرون أجسامهم للتكنولوجيا لإطالة أعمارهم

موسكو – يدخل فلاديسلاف زايتسيف بين إبهام المريض وسبابته قطعة زجاجية صغيرة هي شريحة توضع تحت الجلد ستسمح له بفتح باب مكتبه.

وينتمي هذا الروسي إلى حركة تعرف باسم "بايوهاكينغ" (بيولوجيا الهواة) التي انطلقت من سيليكون فالي في كاليفورنيا الأميركية وتقوم على "تحسين" جسم الإنسان من خلال إضافة إكسسوارات إليه.

ويغرس البعض في جسمه التكنولوجيا لتسهيل حياته والبعض الآخر لفرض سيطرة شاملة على الجسم على أمل العيش لفترة أطول فيما يحاول البعض كذلك الاعتماد العلاج الجيني.

ولا يزال عدد هؤلاء قليلا في روسيا إلا أن منتديات الإنترنت والشركات المتخصصة حول هذا الموضوع تزداد.

وقد تعلم زايتسيف، وهو خبير برمجيات، زرع شرائح في جسم الإنسان بنفسه. ولفت الأنظار على الصعيد العالمي في 2015 عندما زرع لنفسه بطاقة لقطار الأنفاق في موسكو. ولتسلية أصدقائه، زرع زايتسيف قطعا مغنطيسية في أصابعه، ويقول "أحب الأشياء التي تترك أثرا كبيرا، مثل زرع الرقاقات". وأضاف "أحب فكرة توسيع قدرات جسم الإنسان".

ويسعى البعض إلى أكثر من زرع إكسسوار، إذ يهدف ستانيسلاف سكاكون عبر ذلك إلى إطالة حياته إلى الأبد.

ويقول رجل الأعمال البالغ 36 عاما "لم أجد بعد الرقاقة التي تطيل أمد الحياة".

ويؤكد عالم الأحياء الروسي ماكسيم سكولاتشيف، المتخصص في العمر المديد في جامعة موسكو العامة، أن أتباع "البايوهاكينغ" على حق، مضيفا "نعتبر أن الشيخوخة هي بطريقة أو بأخرى برنامج في مجيئنا والطريقة الوحيدة لمكافحتها تكمن في تحطيم هذا البرنامج أي قرصنته نوعا ما".

طفل يعاني من الشلل الدماغي، يشارك في احتفالات مهرجان هولي الذي يحتفل به الهندوس في الربيع. وذلك بعد أن نظمت مؤسسة تريشلا غير الربحية مهرجانا للأطفال الذين يعانون من الشلل الدماغي في منطقة الله أباد.

بيع إناء خزف مهمل بـ5 ملايين يورو

شار (فرنسا) – بيع إناء خزف صيني يعود تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر في مزاد بمبلغ 4.1 مليون يورو السبت في مدينة بورج بإقليم شار وسط فرنسا. وبإضافة الرسوم، يرتفع المبلغ ليصبح حوالي 4.94 مليون يورو.

واشترى هذه القطعة التي كان سعرها مقدرا بين مليون ومليوني يورو، صيني لم يكشف عن اسمه عبر الهاتف.

وقال المشرف على المزاد أوليفييه كلير "إنه إناء مزين برسوم باللون الأزرق على خلفية بيضاء تعرف باسم 'بيانهو' وتعود إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر في عهد الإمبراطور تشيان لونغ".

وعُثر على الإناء خلال توزيع تركة في شقة باريسية تعود إلى عائلة تملك عقارا في منطقة شير (وسط)، وفق كلير.

وأوضح "مر أصحاب المنزل مئات أو آلاف المرات أمام هذه القطعة دون أن يكون لديهم أدنى فكرة عن قيمتها". وغالبا ما يكون الطلب مرتفعا على القطع التي تعود إلى عهد الإمبراطور تشيان لونغ.

صباح العرب

عدلي صادق

الفايروس ومآرب أخرى

لم يتأخر صدور الارتجاعات، أو -لنقل- البيانات المرتدة، التي لا بد أن تتلو الأنباء عن تفشي وباء الكورونا. وفي سياق هذه الارتجاعات، جرى تسليط الضوء على طبائع أنظمة الحكم، والاختلافات البينة بينها في السلوك وردود الأفعال!

ترافقت أولى الارتجاعات مع أول التفشي. فالبداية كانت من الصين، وبلد الانتشار التالي، كان إيران، وقد شدت طبائع النظامين الشموليين، الانتباه إلى طريقة تصديهما للوباء، وإلى المنطق الذي يعتمدانه في طرح رواية الفايروس. وفي هذه النقطة تحديداً، كان الإيرانيون أكثر خفة.

في البدايات، رفضت سلطات الصين ثم إيران، فرض الحجر الصحي على المدن التي تفشى فيها الفايروس، وأظهرت سلطات البلدين، تحسباً شديداً من الشفافية وتجنبت تحديد الأشخاص المصابين وعزلهم، وتلكأت في اتخاذ التدابير العلاجية. فعندما ظهر الفايروس مبكراً، تكتم عليه الصينيون، وعندما اضطروا إلى المصارحة والإعلان عنه، كان قد انتشر على نطاق واسع!

ولد الفايروس في مدينة ووهان الصينية، دون أن يعرف أحد مصدره، سواء كان بعض الوجبات الشعبية أم إنه بسبب طبيعة الأنظمة الزراعية ذات المعايير الصحية المتدنية. فما حدث أن الصينيين لم يصارحوا العالم، في بداية الانتشار، ولم يطلبوا التعاون من دول متقدمة في أبحاث الأوبئة والفايروسات، بل إن هناك رواية تقول إن الأمن الصيني، تعرض لطبيب، كان أول من تحدث عن الوباء، داخل حلقة اتصال بالهاتف مع زملاء له. قيل إن الأمن لوّح له بتهمة الإضرار بالنظام العام. وعندما فوجئ العالم بالفايروس، كان الفايروس قد توغل في أجساد عشرات الألوف من المواطنين الصينيين، وقفز إلى الخارج وانتشر في أرجائه.

الخفة الإيرانية في ارتجال التعليلات، جعلت الملالي يقولون للشعب، إنها "مؤامرة أميركية شريرة" لتقييد الشعائر الدينية وجعل المدن "المقدسة" غير آمنة!

كان الأمر مختلفاً في الدول التي تأخذ بالحد الأدنى من الليبرالية والشفافية. فهذه لم تتردد في الإعلان عن الإصابة الأولى، وشرحت تدابيرها للوقاية. لكن الأنظمة الشمولية بطبعها تتكتم على الرزايا في دواخل بلدانها، بل تحاول الاستفادة من الأوبئة عندما تتفشى، وعندما يفلت الأمر من يدها، ترقع بالصوت. في فلسطين، اضطرت إحدى الديكتاتوريتين معميتيْ البصر والبصيرة؛ إلى الإعلان عن إصابات، لكي يتسنى للحاكم فرض حال الطوارئ، وفي ذهنه مقاصد أخرى تتعلق بهواجس أخرى. فالطوارئ ذات منحى سياسي وسلطوي، لا علاقة له بالحجر الصحي وتدابير الوقاية. أما الديكتاتورية الحمساوية، ضُرة العباسية، فقد رفضت الطوارئ، وزعمت بأن غزة محصنة ضد كل الفايروسات، وكان للإثنتين، في المسألة، مآرب أخرى!